

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين - قسم التفسير وعلومه

الإصلاح وأثره على الفرد والمجتمع دراسة قرآنية موضوعية

رسالة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير

إعداد الطالب
فايز حسان سليمان أبو عمرة

إشراف الدكتور
رياض محمود جابر قاسم

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : " لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا "

(النساء ١١٤)

قال الله تعالى : " قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي
وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ
إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "

(هود ٨٨)

قال الله تعالى : " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ "

(النحل ١١٩)

الإهداء

* إلى والدي ووالدي العزيزين

* إلى زوجتي الفاضلة

* إلى أبنائي وبناتي

* إلى إخواني وأخواتي

* إلى الأمة المسلمة :

أهدي ثمرة هذا الجهد وأسأل الله حسن الثواب

وجزيل العطاء بمنه وكرمه .

شكر وتقدير

أحمد الله حمداً كثيراً يليق بعظمته وجلاله ، وأشكره عز وجل على فضله وكرمه ، وأصلي وأسلم وأبارك على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الأطهار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأرى لزاماً عليّ أن أدوّن شكري وتقديري لكل من أعانني على مواصلة المسيرة التعليمية ولكل من ساهم في إخراج هذا البحث العلمي ، وأسأل الله لهم حسن الثواب .

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي وشيخي ومشرفي على هذا البحث الدكتور رياض محمود قاسم الذي أولاني برعايته واهتمامه وإرشاداته القيمة للنهوض بهذا البحث ، فكنت أستشيريه في كل وقت وحين ولا أجد منه إلا سعة الصدر وحسن القبول والاستقبال .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الدكتور عبد السلام اللوح ، والدكتور زهدي أبو نعمة اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى العاملين في الجامعة الإسلامية بجميع هيئاتها الإدارية والتدريسية التي سهلت لي فرصة إكمال الدراسة .

وأخص بالشكر والتقدير أساتذتي في كلية أصول الدين ، وفي الدراسات العليا .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى مكتبة الجامعة الإسلامية ، ومكتبة ابن كثير والرضوان في دير البلح اللاتي فتحت لي أبوابها للبحث والاستعارة والاستفادة منها .

كما أتوجه بالشكر والتقدير للأخ محمد سليمان أبو عمرة ومحمد خلف اللذين شاركاني عناء التصحيح اللغوي لهذه الرسالة .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأخ عبد الله أبو موسى (أبو عامر) الذي قام بطباعة هذه الرسالة .

والحمد لله الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات .

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الإصلاح هدف رسالة الإسلام ، وغايته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المصلحين ، وسيد الأنبياء ، الذين كان لسان حالهم ، (إن أُريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ) ، ورضي الله عن الصحابة ، الذين أصلح الله بهم البلاد ، والعباد في مشارق الأرض ومغاربها ، وبعد :

فإن الناظر إلى كتاب الله يجد أنه مشتمل على آيات كثيرة تتحدث عن موضوع الإصلاح في مجالات كثيرة ومتعددة ، فمن بين ذلك ، آيات تذكر الصلح والإصلاح وتحث عليه ، ومن بينها آيات تعالج أحوال الناس وأوضاعهم ، بما يحقق الصلاح في حياتهم الدنيوية ، والأخروية ، وما القصص القرآني في كثير منه ، إلا نماذج من حياة الرسل في سعيهم الدؤوب لإنقاذ الناس ، وإصلاح نفوسهم وبواطنهم ، وإصلاح أحوالهم الظاهرة وحياتهم المعيشية .

وقد جاءت رسالة الإسلام في جملتها ، رسالة إصلاحية لأحوال الناس ، وأوضاعهم إلى يوم القيامة ؛ فدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي انطلقت من مكة المكرمة ، وتنامت في المدينة المنورة ، خرجت جيلاً من الصحابة - رضوان الله عليهم - صالحاً ، مصلحاً ، انطلق فيما بعد موسعاً دائرة الإصلاح لتشمل كل الجزيرة العربية ، ودولة فارس ، والروم .

ويظهر الإصلاح في القرآن وبدرجة كبيرة على الفرد والمجتمع على حد سواء .

وقد وجدت أن القرآن الكريم عدداً كبيراً من الآيات يزيد على مائة وثمانين آية

في موضوع الصلاح والإصلاح ، يمكن أن تكون مادة علمية للبحث الذي سميته "

الإصلاح ، وأثره على الفرد ، والمجتمع دراسة قرآنية موضوعية .

الدراسات السابقة

من خلال مراجعة مكتبة الجامعة الإسلامية ، وبعد أن تم استعراض الاسطوانة المتخصصة والصادرة من مركز الملك فيصل في السعودية ، تبين لي عدم وجود دراسات سابقة في هذا الموضوع ، وقد وجدت من الأبحاث والرسائل ما يبحث في هذا الموضوع من زوايا متعددة مثل :
(١) عقوبة الحد في ضوء القرآن وأثرها في إصلاح المجتمع ، للباحث محمد زواوي عبد الله - جامعة الأزهر .

ومن خلال النظر في العنوان يتبين لنا أن الباحث اقتصر على جانب الحدود كالقتل ، والزنا والسرقه والخمر ، وغيرها من الحدود في القرآن الكريم ، ولم يتعرض إلى مصطلح الصلاح ، والإصلاح ، إضافة إلى أن طبيعة هذه الدراسة أقرب إلى الفقه منها إلى التفسير .
(٢) منهج السنة في الحدود وأثره في إصلاح المجتمع ، للباحث عبد المنعم عطية عبد القوي سكران - جامعة الأزهر .

ويتعرض الباحث في هذه الرسالة إلى إصلاح المجتمع من خلال السنة ، وليس من خلال القرآن الكريم .

(٣) منهج القرآن الكريم في إصلاح النفس الإنسانية ، للباحث الجوهرة محمد العنقري - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وقد قمت بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، وبعد الحصول على مقدمة الرسالة وخطة البحث والإطلاع عليها ، تبين لي أن الموضوع مغاير تماماً لما نحن بصدده ، حيث يتعرض الباحث في رسالته إلى أسس العقيدة ، ودورها في إصلاح النفس الإنسانية ، إضافة إلى العبادات والعقوبات ، وإقامة الأدلة ، والبراهين في الكون المحيط بالإنسان ، ودور ذلك كله في الإصلاح .

٤) مقومات الصلاح والإصلاح في الفرد في ضوء القرآن الكريم ، للباحث عبد الستار محمد علي نوير - جامعة القاهرة .

وقد استطعت الحصول على فهرس الرسالة وتبين لي من خلال الإطلاع على فهرسها أنه يتناول كل ما يُقَوِّم الفرد من عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، وهذا بعيد عن موضوع البحث وهو التركيز على الآيات التي تضمنت الصلاح والإصلاح ، ودراستها دراسة موضوعية .

الأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع:

هناك أسباب عديدة دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع منها :

- ١- اعتناء القرآن الكريم بموضوع الإصلاح ، فقد وردت مادة الإصلاح في أكثر من مائة وثمانين موضعاً في القرآن الكريم ، وهذا يدل على مدى أهمية موضوع الإصلاح في القرآن الكريم .
- ٢- الحاجة الشديدة إلى الإصلاح وآثاره الطيبة على الفرد والمجتمع .
- ٣- إن جميع الأنبياء ومنهم نبينا محمد ﷺ قد جعلوا صلاح الفرد والمجتمع هدفاً رئيساً في دعواتهم .
- ٤- الرغبة في بيان أسباب الفساد الذي تعاني منه المجتمعات وبيان أسس الإصلاح كما يصورها القرآن الكريم .

أهداف الموضوع :

- ١- فهم قضية الإصلاح فهماً قرآنياً كما يوضحه القرآن ضمن دراسة موضوعية علمية .
- ٢- إبراز جوانب هامة في المجتمع ، والنفس البشرية ، ومعالجتها من خلال السياق القرآني ، بتفعيل دور التصور القرآني ، وانعكاسه على الفرد والمجتمع .

- ٣- بيان آثار الإصلاح على المجتمع الإسلامي من خلال رسالة علمية .
- ٤- إبراز الآثار الإيجابية التي يجلبها الإصلاح على الفرد ، والمجتمع في الدنيا والآخرة .
- ٥- إبراز المقومات والوسائل التي يقوم عليها الإصلاح وفي مقابلها المحبطات والصوارف التي تعوق الإصلاح ، وبالتالي تقضي على الأمة .

منهجى في البحث :

- (١) قمت بجمع الآيات التي تتحدث عن الصلاح والإصلاح .
- (٢) وضعت عنواناً لكل مجموعة من الآيات التي تبحث في جزئية واحدة .
- (٣) تتبعت مدلولات لفظة الصلاح في كتب اللغة وغريب القرآن .
- (٤) تتبعت تفسير الآيات من كتب التفسير القديمة ، والحديثة قدر المستطاع .
- (٥) استخلصت الدلالات والعبر ، واللطائف من الآيات ، وبينت مواطن ووجه الاستدلال مع التركيز على الدلالات ذات البعد الاجتماعي ، والإنساني .
- (٦) اطلعت على الدراسات ، والأبحاث القرآنية المعاصرة التي لها صلة بموضوع الصلاح واستفدت منها .
- (٧) اطلعت على بعض الدوريات والنشرات المعاصرة لإثراء هذا البحث ، وربطه بالواقع المؤلم الذي تعيشه هذه الأمة .
- (٨) وثقت الآيات القرآنية ، وذلك في متن البحث .
- (٩) قمت بتخريج الأحاديث وبيان حكم العلماء عليها عدا الأحاديث التي ذكرت في الصحيحين .
- (١٠) ترجمت للأعلام غير المشهورين من المراجع المختصة .

(١١) اكتفيت بذكر اسم المؤلف مرة واحدة وإن تكرر الكتاب ذكرت المرجع بدون اسم المؤلف
أما عن باقي البيانات الكاملة للمؤلف فقد ذكرتها في فهرس المراجع اختصاراً .

(١٢) قدمت الآيات المكية على الآيات المدنية في الغالب .

(١٣) رجعت إلى كتب اللغة الأصلية للوقوف على معاني الألفاظ الغامضة .

(١٤) ذكرت سبب نزول الآية إن وجد ، وذلك من الكتب المختصة .

(١٥) ذكرت مناسبة الآيات في كثير من الأحيان .

(١٦) وضعت فهرس عامة في نهاية البحث للآيات ، والأحاديث ، والتراجم ، والمراجع ،
والموضوعات .

وتحقيقاً للأهداف ، والأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع، وانطلاقاً من المنهجية السابقة
قد جعلت بحثي مشتملاً على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة .

المقدمة :

وفيها الدراسات السابقة ، والأسباب التي دعت إلى هذه الدراسة ، والأهداف التي أسعى لتحقيقها
والمنهجية التي اعتمدها ، وختاماً بخطة البحث .

التمهيد :

ويشتمل على ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى : مفهوم الإصلاح في اللغة والإصلاح .

المسألة الثانية : وجوه الإصلاح في القرآن .

المسألة الثالثة : نظائر الإصلاح في القرآن الكريم .

الفصل الأول

إصلاح الفرد في السياق القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإصلاح دعوة جميع الأنبياء ومواقف الناس من الدعوة إلى الإصلاح :

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الإصلاح دعوة جميع الأنبياء .

ويشتمل على مسألتين :

المسألة الأولى : دعوة الرسل قائمة على إصلاح العقيدة عند الفرد .

المسألة الثانية : دعوة الرسل إلى إصلاح الأعمال .

المطلب الثاني : مواقف الناس من الدعوة إلى الإصلاح .

ويشتمل على ستة مسائل :

المسألة الأولى : المؤمنون وتجاوبهم مع دعوة الإصلاح .

المسألة الثانية : المنافقون وادعائهم للإصلاح .

المسألة الثالثة : اتهام أهل الباطل أهل الحق بعدم الإصلاح .

المسألة الرابعة : أهل الكتاب وموقفهم من دعوة الإصلاح .

المسألة الخامسة : المشركون وموقفهم من دعوة الإصلاح .

المسألة السادسة : التفريق بين المصلحين والمفسدين سنة إلهية .

المبحث الثاني: الإصلاح وأثره في علاقة العبد بربه:

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: ارتباط الإيمان بالعمل الصالح

المطلب الثاني: العمل الصالح شرط من شروط التوبة وغفران الذنوب.

المطلب الثالث : العمل الصالح شرط من شروط إجابة الدعاء .

المطلب الرابع: الصالحون أولياء الله .

المبحث الثالث : حال المقصرين في عمل الصالحات :

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اغترار المقصرين بأعمالهم في الحياة الدنيا

المطلب الثاني : تمنى المقصرين العمل الصالح عند الاحتضار .

المطلب الثالث : تمنى المقصرين العود إلى الدنيا لعمل الصالحات .

الفصل الثاني

إصلاح المجتمع في السياق القرآني

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد : واقع الأمة العربية قبل البعثة وبعدها .

أولاً : واقع الأمة العربية قبل البعثة .

ثانياً : واقع الأمة العربية بعد البعثة .

المبحث الأول: دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة:

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح .

المطلب الثاني : الإصلاح في علاج نشوز المرأة .

المطلب الثالث : الإصلاح في علاج نشوز الرجل .

المطلب الرابع : دور الآباء والأمهات في إصلاح الأبناء وتربيتهم .

المبحث الثاني : دعوة القرآن إلى إصلاح المجتمع :

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : وجوب الإصلاح بين المسلمين المتنازعين .

المطلب الثاني : الإصلاح صيانة للمجتمع من الفرقة والاختلاف .

المطلب الثالث : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الرابع : الأخذ بأسباب القوة .

المطلب الخامس : إصلاح المناهج والتعليم

المبحث الثالث: الإصلاح التشريعي والمالي:

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الإصلاح التشريعي:

ويشتمل على خمسة مسائل:

المسألة الأولى: تحريم السرقة وحدها .

المسألة الثانية : تحريم الخمر ومشروعية حد شارب الخمر .

المسألة الثالثة : تحريم الزنا ومشروعية حد الزنا وحد القذف .

المسألة الرابعة : تحريم القتل ومشروعية القصاص

المسألة الخامسة : حد الحرابة .

المطلب الثاني: الإصلاح المالي :

ويشتمل على أربعة مسائل:

المسألة الأولى : الاعتدال في النفقة وتحريم الإسراف.

المسألة الثانية : تحريم التبذير.

المسألة الثالثة : تحريم الربا.

المسألة الرابعة : الحجر على مال السفية .

الفصل الثالث

آثار الإصلاح ووسائله ومحيطاته

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : أثر العمل الصالح على الفرد في الدنيا :

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : العمل الصالح سبب في جلب الرزق .

المطلب الثاني : العمل الصالح سبب في جلب الطمأنينة .

المطلب الثالث : العمل الصالح يعصم النفس الإنسانية من اليأس .

المبحث الثاني : أثر العمل الصالح على الفرد في الآخرة :

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : العمل الصالح سبب في المغفرة وتكفير الذنوب .

المطلب الثاني : ثواب العمل الصالح في الآخرة .

المبحث الثالث : أثر العمل الصالح على المجتمع :

ويشتمل على ستة مطالب :

المطلب الأول : التماسك بين أفراد الأسرة .

المطلب الثاني : التماسك بين أفراد المجتمع .

المطلب الثالث : العدالة بين الناس .

المطلب الرابع : الاستخلاف في الأرض .

المطلب الخامس : الأمن بعد الخوف .

المطلب السادس : التمكين في الدين .

المبحث الرابع : وسائل الإصلاح ومحيطاته :

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : وسائل الإصلاح.

ويشتمل على ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى : المحافظة على أداء الشعائر الدينية الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج.

المسألة الثانية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المسألة الثالثة : القضاء العادل .

المطلب الثاني : محيطات الإصلاح .

ويشتمل على ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى : عدم المحافظة على الشعائر الدينية

المسألة الثانية : غياب تحكيم الشريعة .

المسألة الثالثة : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخاتمة :

وفيها خلاصة البحث وما توصل إليه من نتائج وتوصيات .

التمهيد

ويشتمل على ثلاث مسائل :

- المسألة الأولى : مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح .
- المسألة الثانية : وجوه الإصلاح في القرآن الكريم .
- المسألة الثالثة : نظائر الإصلاح في القرآن الكريم .

المسألة الأولى : مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح :

أولاً : الإصلاح في اللغة :

"الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد" (١) "وقوبل الصلاح تارة في القرآن بالفساد ، وتارة بالسيئة" ، قال تعالى : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ (التوبة: ١٠٢) وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (الأعراف: ٥٦) ، "وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال" (٢) .
"والاستصلاح نقيض الاستفساد ، وأصلح الشيء بعد فساده ، بمعنى أقامه وأصلح الدابة ، أحسن إليها فصَلَحَتْ" (٣) .

"والمفسد : يضاد الله تعالى في فعله فإنه يفسد ، والله تعالى يتحرى في جميع أفعاله ، الصلاح فهو إذا لا يصلح عمله" (٤) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٨١) .

ويقال : "صَلَحَ الرجل صلاحاً وصلوحاً" (٥) ، "والصَّلَاحُ والصلُّوحُ بمعنى واحد ، فهو يَصْلُحُ صلاحاً وصلُّوحاً ، فهو صالح ، وصلِّح ، والجمع صلحاء وصلُّوح" (٦) .

وقوله وتعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّحُونَ ﴾ (البقرة: ١١) ، أي مصلح في أعماله وأموره ، "ويحتمل وجهين :

الأول : أنهم يظهرون أنهم يصلحون .

الثاني : يحتمل أن يريدوا أن هذا الذي يسمونه إفساداً هو عندنا إصلاح
وقومٌ صلِّح ، أي متصالحون ، كأنهم وصفوا بالمصدر" (٧) .

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ج ٣ ، ص ٣٠٣ .

(2) مفردات الألفاظ للراغب ، ص ٣١٨ ، انظر عمدة الحفاظ للسمين ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ ، بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ، ج ٣ ، ص ٤٣١ .

(3) لسان العرب لابن منظور ، ج ٤ ، ص ٢٤٧٩ .

(4) مفردات الألفاظ للراغب ، ص ٣١٩ .

(5) جمهرة اللغة لابن دريد ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ، انظر لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٤٧٩ .

(6) المحكم والمحيط لابن سيدة ، ج ٣ ، ص ١٠٩ ، انظر لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٤٧٩ .

(7) المحكم والمحيط ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .

"والصُّلْحُ بالضم وسكون اللام ، اسم من المصالحة خلاف المخاصمة مأخوذ من الصلاح ، وهو الاستقامة" (١) .

"يقال صلح الشيء ، إذا زال عنه الفساد" (٢) ، "والكمال في الصلاح : منتهى درجات المؤمنين ، ومتمنى الأنبياء والمرسلين" (٣) .

"والصلح يختص بإزالة النِّفَار بين الناس ، حيث قال : اصطَلَحُوا ، وتَصَالَحُوا" (٤) ، قال تعالى : ﴿ أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ (النساء: ١٢٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (النساء: ١٢٨) .

"والصلح بمعنى السُّلْم ، وقد اصطَلَحُوا ، وصَالَحُوا ، واصَّالَحُوا ، وتَصَالَحُوا ، واصَّالَحُوا مشددة الصاد" (٥) .

"وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون بإحدى هذه النقاط :

الأول : يكون بخلقه إياه صالحاً .

الثاني : بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده .

الثالث : يكون بالحكم له بالصلاح" (٦) .

قال تعالى : ﴿ وَأَصْلِحْ بِأَلْهَمِ ﴾ (محمد: ٢) ، "وأصلح : أتى بالصلاح ، وهو الخير والصواب ، وفي الأمر مصلحة أي خير ، والجمع المصالح" (٧) .

"ورجل صالح في نفسه : من قوم صلحاء ، ومُصْلِحٌ في أعماله وأموره ، وقد أصلحه الله" (٨) ، "والصالح : المستقيم الحال في نفسه" .

(1) كشف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد علي التهانوي ، ج ٣ ، ص ٢١ ، انظر كتاب المُعَرَّب في ترتيب المُعَرَّب للإمام أبي الفتح المطرزي ، ص ٢٧٠ .

(2) كشف اصطلاحات الفنون ، ج ٣ ، ص ٢١ ، انظر المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٥٢٠ .

(3) الكليات لأبي البقاء ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

(4) مفردات الألفاظ للراغب ، ص ٣١٨ .

(5) لسان العرب لابن منظور ، ج ٤ ، ص ٢٤٧٩ .

(6) الكليات لأبي البقاء ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

(7) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد الفيومي ، ج ١ ، ص ٥٢٨ .

(8) لسان العرب لابن منظور ، ج ٤ ، ص ٢٤٧٩ .

"وقال بعضهم : القائم بما عليه من حقوق الله ، وحقوق العباد" (١) ،
"وتصالح القوم ، واصطلحوا ، وهو صالح للولاية ، أي له أهلية القيام بها" (٢) ،
قال تعالى : ﴿ لئن آتيتنا صالحاً ﴾ (الأعراف: ١٨٩) ، "أي ولداً صالحاً ، صحيح
البدن ، تام الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود: ٤٦) ، أي ولد مُعْرِضٍ عن
التوحيد" (٣) ، "وصالح : هو اسم للنبي المشهور عليه الصلاة والسلام" (٤) ، قال
تعالى : ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾ (هود: ٦٢) .
ثانياً : الإصلاح في الاصطلاح :

عرف العلماء الصلاح والإصلاح بعدة تعريفات وهي :

* "الصلاح : هو سلوك طريق الهدى" .

* وقيل : "هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل" (٥) .

* وقيل : "هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع" (٦) .

ومن خلال النظر في هذه التعريفات الثلاثة ، نجد أنها متقاربة ، ويمكن
الجمع بينها بتعريف شامل وهو : (سلوك طريق الهدى واستقامة الحال على
ما يدعو إليه العقل والشرع) .

* "والصالح : هو المستقيم الحال في نفسه .

* وقيل : "القائم بما عليه من حقوق الله ، وحقوق العباد" (٧) .

* والصلح : في الشرع : "هو عقد يرفع النزاع" (٨) .

(1) الكليات لأبي البقاء ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

(2) المصباح المنير للفيومي ، ج ١ ، ص ٥٢٨ .

(3) بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ، ج ٣ ، ص ٤٣١ .

(4) مفردات الألفاظ للراغب ، ص ٣١٨ .

(5) الكليات لأبي البقاء ، ج ٣ ، ص ١١٦ ، انظر كشف اصطلاحات الفنون ، ج ٣ ، ص ٢١ .

(6) كشف اصطلاحات الفنون ، ج ٣ ، ص ٢١ .

(7) الكليات لأبي البقاء ، ج ٣ ، ص ١١٦ ، انظر كشف اصطلاحات الفنون ، ج ٣ ، ص ٢١ .

(8) كشف اصطلاحات الفنون ، ج ٣ ، ص ٢١ .

وفي الفقه : "إزالة الخصومة بترك بعض الحق" (١) .

المسألة الثانية : وجوه الإصلاح في القرآن :

وردت لفظة الصلاح في القرآن الكريم على عدة وجوه ، وبينت هذه الوجوه مدى أهمية هذه اللفظة ، من حيث استعمالها في القرآن الكريم ، فكل لفظة من وجوه صلح لها مدلولها الخاص ، ومن أشهر وجوه الإصلاح في أذهان الناس ، إصلاح ذات البين ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (الحجرات: ٩) ، وقال تعالى : ﴿ أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ (النساء: ١٢٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (النساء: ١٢٨) ، وإنما يعد هذا وجه من الوجوه .

وإذا تأملنا في لفظة صلح ، نجد أن دعوات الأنبياء هي دعوات إصلاحية ، جاءت لتصلح عمل الإنسان في الدنيا ، لينال رضا ربه والدرجات العلا في الآخرة ، ونجد أن لهذه الكلمة وجوه كثيرة .

وجوه مادة الإصلاح :

الوجه الأول : "الإيمان ، قال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ ﴾ (الرعد: ٢٣) يعني ومن آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، وقال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل: ١٩) يعني المؤمنين ، وقال تعالى : ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ (النور: ٣٢) يعني المؤمنين" (٢) .

الوجه الثاني : "المنزلة ، قال تعالى : ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (يوسف: ٩) يعني تصلح منزلتكم عند أبيكم ، وقال تعالى عن إبراهيم : ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النحل: ١٢٢) في المنزلة عند الله تعالى" ، وكل ما ذكر في القرآن لإبراهيم في الآخرة لمن الصالحين يعني في المنزلة" .

(1) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

(2) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل البلخي ، ص ٢٦٤ ، انظر كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر لابن العماد ، ص ٢٩٨ ، انظر إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للرافعاني ، ص ٢٨٢ ، التفسير الوجيز للدكتور وهبة الزحيلي ، ص ١٧٧ .

الوجه الثالث : "الرفق ، قال تعالى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القصص: ٢٧) يعني من المرفقين بك ، وقول موسى لأخيه هارون : ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾ (الأعراف: ١٤٢) يعني وأرفق بهم" .

الوجه الرابع : "الخلق السوي ، قال تعالى : ﴿ لئن آتيتنا صالحاً ﴾ (الأعراف: ١٨٩) بمعنى لئن أعطيتنا الولد في صورة البشر ، قال تعالى : ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٨٩) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً ﴾ (الأعراف: ١٩٠) يعني سوى الخلق في صورة النبيين" .

الوجه الخامس : الإحسان ، لقول شعيب : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ (هود: ٨٨) يعني الإحسان ما استطعت .

الوجه السادس : الطاعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ ﴾ (البقرة: ١١) بمعنى مطيعون لله في الأرض ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (الأعراف: ٥٦) يعني بعد الطاعة فيها ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (العنكبوت: ٥٨) يعني أطاعوا الله فيما أمرهم ، وفرض عليهم .
الوجه السابع : الأمانة ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ (الكهف: ٨٢) يعني أنه كان ذا أمانة (١) .

الوجه الثامن : بر الوالدين ، قال تعالى : ﴿ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾ (الإسراء: ٢٥) يعني بارين بوالديكم .

الوجه التاسع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ ﴾ (هود: ١١٧) يعني مصلحون في القرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الوجه العاشر : الحج ، قال تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون: ١٠٠) أي أحج (٢) .

الوجه الحادي عشر : جعل العاقر صالحاً للإنجاب ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ (الأنبياء: ٩٠) أي بعد أن كانت عاقراً ، فجعلها صالحاً للإنجاب ، وقيل

(1) انظر الأشباه والنظائر ، ص ٢٦٤ ، كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر ، ص ٢٩٨ ، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن ، ص ٢٨٢ .

(2) انظر إصلاح الوجوه والنظائر للدماغاني ، ص ٢٨٢ .

كانت سيئة الخلق ، فحسن خلقها (١) .

الوجه الثاني عشر : إصلاح ذات البين (٢) ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (الحجرات: ٩) .

الوجه الثالث عشر : الفائزون ، قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل: ١٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النحل: ١٢٢) أي أدخلني بجملة عبادك الفائزين بدار السلام (٣) .

الوجه الرابع عشر : المتوكلون عليه (٤) ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٦) .

المسألة الثالثة : نظائر مصطلح الصلاح :

قال بعض العلماء : إن النظائر ما يتعلق بالألفاظ المتواطئة ، وقد جعل البعض النظائر ضرباً من معجزات القرآن ، وهذا النوع لا يوجد في كلام البشر (٥) .

ومن نظائر الصلاح في القرآن الكريم :

١ - الذكر : بمعنى العمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٥٢) يعني الطاعة ، أي اعملوا صالحاً .

٢ - لا يهدي : بمعنى لا يصلح ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (يوسف: ٥٢) بمعنى لا يصلح عمل الزناة .

٣ - الرشد : بمعنى إصلاح المال ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ (النساء: ٦) يعني إصلاحاً للمال .

٤ - اللباس : بمعنى العمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف: ٢٦) .

(1) انظر إيجاز البيان عن معاني القرآن ، محمود النيسابوري ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ، ص ٧٨٧ .

(2) انظر أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ، ص ١٢٦١ .

(3) انظر المرجع السابق ، ص ٩٠٦ ، ص ٦٦٤ .

(4) انظر أوجز التفاسير لابن كثير ، ص ١٧٦ .

(5) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

- ٥- تزكى : بمعنى أصلح ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى ﴾ (فاطر: ١٨) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾ (فاطر: ١٨) ، وقوله تعالى : ﴿ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (التوبة: ١٠٣) أي تصلحهم .
- ٦- السلم : يعني الصلح ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (الأنفال: ٦١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ (النساء: ٩٤) أي الصلح ^(١) .

(1) انظر إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ، ص ١٨٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٤٥ ، ٤١٤ ، ٤٧٥ ، .

الفصل الأول

إصلاح الفرد في السياق القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : الإصلاح دعوة جميع الأنبياء ومواقف الناس من الدعوة إلى الإصلاح .
- المبحث الثاني : الإصلاح وأثره في علاقة العبد بربه .
- المبحث الثالث : حال المقصرين في عمل الصالحات .

المبحث الأول

الإصلاح دعوة جميع الأنبياء ومواقف الناس
من الدعوة إلى الإصلاح

ويشتمل على مطلبين :

الأول : الإصلاح دعوة جميع الأنبياء .

الثاني : مواقف الناس من الدعوة إلى الإصلاح .

المطلب الأول

الإصلاح دعوة جميع الأنبياء

ويشتمل على مسألتين :

المسألة الأولى : دعوة الرسل إلى إصلاح العقيدة عند الفرد :

من رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان أن خلق له عقلاً يميز به بين الحق والباطل ، الإصلاح والفساد ، قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ١٠) ثم إن الله سبحانه وتعالى غمرنا برحمته ومزيد لطفه ، فلم يكلنا إلى عقولنا ، ولكنه أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب .

فكلما تكثرت البشرية الطريق المستقيم وسلكت سبل الفساد تداركتها عناية الله بإرسال رسول يأخذ بأيديهم ، وينتشلهم من الفساد العقدي والسلوكي إلى الإصلاح في كل المجالات .

لقد ركز الرسل في دعواتهم على الإصلاح العقدي بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وترك الفساد ، قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (هود: ٥٠) والناس محتاجون في كل زمان ومكان إلى المصلحين الذين يعملون على ما فيه سعادة الجماعة والأفراد ، فلولا المصلحين لظل الناس في جهلهم يعمهون . إن الأمة التي حرمت من المصلحين ، ولم تجد من يرشدها ، فإنها تكون منحطة في كل شيء ، فرقي الأمم وانحطاطها منوطان بوجود المصلحين وعدمهم بلا نزاع .

والرسل هم الذين يوحى إليهم بأحوال الآخرة ؛ ليبينوها للناس ، ويرشدوهم إلى الوسائل الدنيوية المرتبطة بالآخرة ، من خير وشر ، ويعلموهم ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، الموصلة للسعادة الأخروية ، سواء كانت متعلقة بالله ، أو بعباد الله ، فالرسل كانوا في كل أمة مرجعاً للناس عند الحيرة ، وهادياً إلى الصراط المستقيم ، والطريق القويم في أمور الدنيا والآخرة^(١) .

(1) انظر توضيح العقائد في علم التوحيد ، عبد الرحمن الجزيري ، ص ١٤١ .

ومن هنا كانت مهمة الأنبياء تتتابع لكي يهدي كل نبي قومه ، قال تعالى :
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ
هُدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ (النحل: ٣٦) .

"فكل رسالة تقوم على أمر واحد هو تعبيد الناس لرب العالمين ، وأن هذه
العبودية لله الواحد ، ونزع السلطان من كل الطواغيت التي تدعيه ، هذه القاعدة
لا يقوم شيء صالح بدونها في حياة البشر" (١) .

"فالرسالات السماوية ضرورة اجتماعية تحتاج إليها البشرية في مختلف
العصور ، إذ هي رحمة الله بخلقه ، ومعالم الطريق المستقيم إليه لذا جرت
سنة الله في خلقه أن يبعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى توحيد وطاعته
ومخافته في التعامل مع خلقه ، لكي يقيم شريعة عادلة" (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ
اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٥) .

فهذا خطاب من الله تعالى إلى بني آدم لكي يؤكد قضية التوحيد ، إنها
قضية الفطرة التي تصلح شأن الإنسان إلى قيام الساعة ، فيلقى الله وهو
على العقيدة الصحيحة عقيدة الأنبياء جميعاً .

فدين الله واحد لا يختلف باختلاف الأزمان والأماكن إلا في
شرائعه ، وأما روحه وحقيقته فواحدة لا تتغير ، وهذا ما ثبت على
ألسنة الأنبياء والمرسلين ، وهو إيمان بالله الواحد الأحد ، وإخلاص له
في العبادة ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، وأن لا يتعاونوا على
الإثم والعدوان ، وحذرهم من خطر الوثنية والإشراك بالله
تعالى (٣) .

(1) في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٦٠٦ .

(2) مجلة البحوث الإسلامية ، العدد التاسع ، ص ٢٦٥ ، بتصرف يسير .

(3) انظر النبوة والأنبياء ، محمد الصابوني ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ،

د. محمد مهران ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، حجة الله البالغة للدهلوي ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : "الأنبياء إخوة من
علات (١) وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد" (٢) .

وهذه بعض المشاهد من القرآن الكريم ، تبين أن دعوة الأنبياء واحدة ،
لا تتبدل ، ولا تتخلف باختلاف الزمان والمكان ، وأن التوحيد أساس عقيدتهم ،
فقد دعا نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف: ٥٩) .

كما دعا إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد :

قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٦) .

ودعا هود عليه السلام إلى التوحيد :

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف: ٦٥) .

ودعا صالح عليه السلام إلى التوحيد :

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف: ٧٣) .

ودعا شعيب عليه السلام إلى عبادة الله وحده :

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا
الْيَوْمَ الآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٦) .

ودعا المسيح عليه السلام إلى عبادة الله وحده :

قال تعالى : ﴿ ... وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢) .

(1) علات : بمعنى إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، ج ٣ ،
ص ٢٩١ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ، ح رقم ٢٣٦٥ ، ج ٤ ، ص ١٨٣٧ .

فجميع الأنبياء دعوا إلى عبادة الله وحده ، وأن دينهم الذي بعثهم الله به هو دين التوحيد الذي فرضه الله على البشر منذ خلقهم إلى أن ختم برسالة نبينا ﷺ كما بينا في الشواهد القرآنية .

ولقد توحد الأنبياء في دعوتهم للإسلام ، فجميع الأنبياء دعوا للإسلام وأوصوا أبناءهم به ، قال تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: ٧١-٧٢) .

ودعا سليمان عليه السلام إلى الإسلام :

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٣٠-٣١) .

ودعا موسى عليه السلام بني إسرائيل إلى اعتناق الدين الإسلامي :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: ٨٤) .

وإبراهيم عليه السلام أوصى بنيه بالتمسك بالإسلام ، وأن لا يموتوا إلا وهم مسلمون .

قال تعالى : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢) .

ودعا عيسى عليه السلام إلى الإسلام :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٢) .

وبعد عرض للآيات القرآنية التي تحدثت عن عقيدة الأنبياء ، وأنهم دعوا إلى عبادة الله وحده ، وأن دينهم الإسلام من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين ﷺ ، فإننا سنورد بعض الحوادث التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم في الدعوة إلى إصلاح العقيدة .

أولاً : نوح عليه السلام :

نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل ، فقد دعا قومه إلى عبادة الله تعالى إلى العقيدة الصحيحة ، قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف: ٥٩) .

فالبشرية بدأت طريقها على التوحيد ، عن ابن عباس قال : "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق" (١) .

"فبعث الله نوحاً عليه السلام عندما عبّدت الأصنام والطواغيت ، وشرع الناس في الضلالة ، والكفر ، فبعثه الله رحمة للعباد ، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض" (٢) فأرسل الله عز وجل نوحاً إلى قومه ليبشّرهم وينذرهم ، ويقول لهم ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ فهي حقيقة يقوم عليها دين الله ، ويتعاقب بها الرسل جميعاً على مدار التاريخ ، فالسياق القرآني يوحد الألفاظ التي عبر بها جميع الرسل صلوات الله عليهم ؛ مع اختلاف لغاتهم ، وهذا يدل على وحدة العقيدة عند الرسل جميعاً فكل الرسل كانوا ناصحين أمناء لأقوامهم (٣) .

لقد دعا نوح قومه إلى التوحيد الخالص والعمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (نوح: ١-٢) ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ (نوح: ٥) ، وحذر قومه من الإشراف بالله ، فقد دعاهم إلى أمور عدة منها :

أ- أفراد الله بالعبادة ونبذ ما يعبدون من دونه ، قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف : ٥٩) .

ب- تقوى الله وتصديقه وطاعته فيما جاء به من عند الله ، قال تعالى : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (الشعراء: ١٠٧-١٠٨) .

(1) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله النيسابوري ، ح ٣٦٥٤ ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .

(2) القصص القرآني ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٦٦ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٣٠٤ .

ج- حذرهم من عاقبة كفرهم حتى لا يحل بهم عذاب الله تعالى ، وقد أنذرهم بقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأحقاف: ٢١) .

فلما كان الإيمان برسالته وتصديقه واتباعه فيما يدعو إليه من توحيد الله يتعارض مع ما ألفوه عن آبائهم ، وتوارثوه من عبادة الأصنام ، واجهوا دعوته بالرفض والإعراض بالإضافة إلى الطعن في صدق الدعوة فأخذوا يتهمونهم بالجنون والضللال (١) ، وبين القرآن ذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الأعراف: ٦٠) .

وكانت دعوة نوح - عليه الصلاة والسلام - لقومه بأساليب مختلفة ، فحيناً يدعوهم جهراً في مجتمعاتهم ، وحيناً انفراداً ببعضهم سراً (٢) ، إلا أنهم تنكروا له ﴿ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أي غطوا رؤوسهم لئلا يسمعوا ما يقول ﴿ وَأَصْرُوا ﴾ أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ أي استكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ، فعندها دعا الله - عز وجل - أن لا يبقي على وجه الأرض منهم أحداً ولا ديّاراً (٣) ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦-٢٧) .

ثانياً : إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

"لقد اصطفى الله إبراهيم في الدنيا ، فجعله أبا الأنبياء ، وجعله في الآخرة من المشهود لهم بالصلاح والاستقامة ، وإرشاد الناس للعمل بملته ، وهذه بشارة لإبراهيم بصلاح حاله في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٤) " (البقرة: ١٣٠) .

فإبراهيم - عليه السلام - دعا قومه إلى عبادة الله وحده ، وترك الوثنية ، وترك عبادة الأصنام ، قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا *

(1) انظر معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، ج ١ ، ص ١٤١-١٤٢ .

(2) انظر مع الأنبياء في القرآن للدكتور عفيف طيارة ، ص ٦٥ .

(3) انظر تفسير فتح القدير للشوكاني ، ج ٥ ، ص ٣٦٤ .

(4) التفسير المنير للزحيلي ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤١-٤٥﴾ (مريم : ٤١-٤٥) .

لقد اتبع إبراهيم - عليه السلام - في دعوة أبيه وقومه الحجة المقنعة ليعدهم عن عبادة الأصنام التي كانوا يعبدونها وكان لنا في دعوتهم حتى لا يكابروا ويعاندوا الحق الذي جاء به - عليه الصلاة والسلام - فالعبادة التي يعبدونها غير مقبولة عقلاً ، فهي اتباع للشيطان ولهوى النفس الذي لا يرضى به عاقل^(١) ، فكان عليه السلام مصدقاً لجميع الأنبياء وكتبهم ، واستن سنتهم في الدعوة إلى ربوبية الله وعبودية الإنسان ، ولذلك فقد دعا أباه إلى عبادة الله وترك عبادة غيره من الأوثان ، لأن ذلك انحراف عن الصراط المستقيم ، فالآيات تدل على تحرر الإنسان من عبادة الوثنية أو عبادة الأصنام أو البشر أو الشيطان ، فعندما رفض أبو إبراهيم الانصياع إلى عبادة الله تعالى اعتزل إبراهيم الكافرين ، وذلك بعد استفاد كل ما بوسعه وطاقته^(٢) .

ثالثاً : رسالة النبي ﷺ :

إن دعوة النبي ﷺ جاءت امتداداً لدعوات الأنبياء السابقين وهي العقيدة الصحيحة التي دعا إليها جميع الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦) ، وقال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦) . وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : "الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد"^(٣) ، وفي الحديث المتفق عليه عن

(1) انظر تفسير أبي السعود ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ .

(2) انظر الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ج ٦ ، ص ٣٢٧٦-٣٢٧٩ .

(3) سبق تخريجه ص ١٣ من هذا البحث .

ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي "يا بني فهر ، يا بني عدي" لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش وقال : "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ (المسد : ١-٢) (١) .

فهذا يدل على أن النبي ﷺ دعا إلى عبادة الله وحده وحذر من عذابه في أول عهد الجهر بالدعوة .

فدعوته ﷺ تتميز عن دعوات الأنبياء السابقين بأنها عامة لجميع أجناس البشر ، ولا يختص بها قوم ولا جماعة ولا هي محددة بظروف المكان أو الزمان أو البشر ؛ بل هو دين الله الباقي الخالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (٢) ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨) ، أي وما أرسلناك إلا برسالة عامة لجميع الخلائق من المكلفين ، تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨) ، وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١) .

قال ابن عباس : "إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء ، قالوا : يا ابن عباس فيمَ فضله الله على الأنبياء ؟ قال رضي الله عنه : إن الله تعالى قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم: ٤) ، وقال للنبي ﷺ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨) (٣)

(1) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب "وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك" ح (٤٧٧٠) ، ج٣ ، ص ٢٣٩ .

(2) انظر مجلة البحوث الإسلامية ، العدد التاسع ، ص ٢٧١ .

(3) انظر تفسير القاسمي ، ج١٤ ، ص ٢٥ .

ولم تكن دعوة النبي ﷺ خاصة للبشر لكي تصلح من شأنهم ، وإنما جاءت عامة للإنس والجن ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأحقاف : ٢٩-٣٢) .

"وكما جاءت الشريعة الإسلامية عامة للبشر على اختلاف أجناسهم لا فضل فيها لعربي على أعجمي إلا بالتقوى فإنها كذلك رسالة شاملة لكل جوانب الحياة ومناحي الاجتماع ، لم تترك شاردة ولا واردة إلا ذكرت فيها خبراً أو شملتها حكماً ، أو كانت مندرجة تحت أصل أو قاعدة" (١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" (٢) .

ولقد جعل النبي ﷺ للذي يؤمن من أهل الكتاب أجرين ، أجراً على اعتناقه الديانة السابقة ، وأجراً على اعتناقه الإسلام ، قال رسول الله ﷺ : "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران ... " (٣) .

اختلاف الشرائع :

وإذا كان الدين الذي جاء به الرسل واحداً ، وهو الإسلام ، فإن شرائع الأنبياء مختلفة ، قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: ٤٨) ،

(1) مجلة البحوث الإسلامية ، العدد التاسع ، ص ٢٧٢ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ، ح (١٥٣) ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من أسلم من أهل الكتاب ح (٣٠١١) ج ٢ ، ص ٢٥٣ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، ح (١٥٤) ج ١ ، ص ١٣٥ .

والاختلاف بينهما إنما يكون في بعض التفاصيل ، فأعداد الصلوات وشروطها ، وأركانها ومقاديرها ومواضع النسك ، ونحو ذلك ، قد اختلفت من شريعة إلى شريعة ، وقد يحل الله أمراً في شريعة لحكمة ، ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة أخرى (١) .

وجاءت شريعة محمد - عليه الصلاة والسلام - متممة للشرائع السابقة ، ومن هذه الشرائع التي تفرد بها النبي ﷺ عن الشرائع الأخرى ، ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيا من رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي ﷺ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة" (٢) .

المسألة الثانية : دعوة الرسل إلى إصلاح الأعمال :

لقد أرسل الله - سبحانه وتعالى - الرسل لإصلاح البشرية ، وحثهم على الطاعات ، واجتناب المحرمات ، فكانت الدعوة عامة لجميع الرسل دون استثناء لذلك ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون: ٥١) .

وهذه إعلام من الله - سبحانه وتعالى - بأن كل رسول في زمانه نودي بهذا المعنى ، ووصى به ليعتقد السامع أن أمراً نودي له جميع الرسل ، ووصوا به حقيق بأن يؤخذ به ويعمل به (٣) .

وهو أمر منه - سبحانه وتعالى - لرسله الكرام عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم بالأكل الحلال ، والعمل الصالح ، وهذا يدل على أن الأكل من الحلال له أثر في العمل الصالح ، ولم يقتصر هذا الأمر على الرسل بل تعداهم إلى

(1) الرسل والرسالات ، د. عمر الأشقر ، ص ٢٤٣ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، حديث الباب ح ٣٣٥ ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(3) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج ٢٣ ، ص ٩١ .

المؤمنين ^(١) ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢) .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أيها
الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين
فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
(المؤمنون: ٥١) ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا
لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢) ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ،
يمد يده إلى السماء ، يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه
حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك " ^(٢) .

وهذا يدل دلالة واضحة أن دعاء الرجل وهو من أعظم القرب لم ينفعه ،
لأنه لم يأكل من الحلال ، ولم يشرب منه ، ولم يركب منه .

وفي حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس ^(٣) أنها بعثت إلى رسول الله ﷺ
بقدر من لبن في شدة الحر عند فطره ، وهو صائم فرده الرسول إليها ، وقال :
من أين لك هذا ؟ فقالت : من شاة لي ، ثم رده ، وقال : من أين هذه الشاة ؟
فقالت : اشتريتها بمالي فأخذه ، ثم إنها جاءتته وقالت : يا رسول الله لم رددته ؟
فقال عليه السلام : "بذلك أمرت الرسل أن لا يأكلوا إلا طيباً ولا يعملوا إلا
صالحاً" ^(٤) .

لطيفة (١) :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ دلالة على أن العمل
الصالح لا بد وأن يكون مسبوقاً بأكل الحلال .

(1) انظر أضواء البيان للشنقيطي ، ج ٣ ، ص ٥٦١ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، ج (١٠١٥) ، ج ٢ ، ص ٧٠٣ .

(3) شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، صحابي مات بالشام قبل الستين أو بعدها ، تقريب التهذيب ،

ابن حجر ، ترجمة رقم ٢٧٥٢ ، ص ٢٦٤ .

(4) المستدرک على الصحيحين ، محمد النيسابوري ، ح (٧١٥٩) ، ج ٤ ، ص ١٤٠ ، قال الحاكم هذا

حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير ، ح (١٣٦٧) ،

ج ١ ، ص ٢٩١ .

لطيفة (٢) :

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ تحذير من مخالفة ما أمرهم به ، وإذا كان ذلك تحذيراً للرسول مع علو شأنهم ، فمن باب أولى تحذيراً لغيرهم (١) .
"وهذا فيه تحريض على الاستزادة من الأعمال الصالحة ، لأن ذلك يتضمن الوعد بالجزاء عنها ، وأنه لا يضيع منه شيء" (٢) .

لطيفة (٣) :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاَعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ "عطف العمل الصالح على الأمر بأكل الطيبات ، إيماء إلى أن همة الرسول إنما تنصرف إلى الأعمال الصالحة" (٣) ، فدعوة الرسول قائمة على العمل الصالح الذي به تصلح العباد والبلاد ، وتستقيم أمورهم في الدنيا والآخرة .
نماذج من دعوات الأنبياء إلى إصلاح الأعمال :
أولاً : شعيب عليه السلام :

لقد جاء شعيب - عليه السلام - قومه بالعقيدة ، والعقيدة الصحيحة لا بد لها من عمل صالح لكي يثبت صدق هذه العقيدة ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:٨٨) .

حيث بعث الله - سبحانه وتعالى - شعيباً إلى قومه ، وهم ينقصون المكيال والميزان ، ويبخسون الناس أشياءهم ، ويعيثون في الأرض فساداً (٤) ، قال تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (هود:٨٥) ، فقال - عليه الصلاة والسلام - لقومه : يا قوم أرايتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم

(1) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج٢٣ ، ص ٩١ .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور ، ج١٨ ، ص ٦٩ .

(3) المرجع السابق ، ج١٨ ، ص ٦٩ .

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي ، ج٣ ، ص ٤٤٩-٤٥٠ .

إليه من عبادة الله والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ﴿ وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ يعني حلالاً طيباً ، ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ يقول : وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه بل لا أفعل إلا ما أمركم به ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه" (١) .

فهو ينهاهم عن الاستمرار على المعاصي ، لأن ذلك يفسد الدين والعقائد ، ويهلك الحرث والنسل ، فهو ينهاهم عن فعل المحرمات ، ويأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفعل الصالحات ، ويأمرهم كذلك بالعبادات كالصلاة ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ (هود: ٨٧) ، فالصلاة تأمرهم وتنهاهم عما كان يعبد آبؤهم الضالون ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، أو عن عبادة غير الله كما تنهى عن أكل حقوق عباد الله ، أو سرققتها بالمكاييل والموازين ، فهو عليه الصلاة والسلام ، يريد إصلاحهم في الدنيا لينالوا رضوانه في الآخرة ، لذلك قال : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ (هود: ٨٨) ، أي ليس لي مقصد إلا أن تصلح أحوالكم وتستقيم منافعكم (٢) وذلك "بإصلاح نفوسكم بالتركية ، والتهيئة لقبول الحكمة ما دمت مستطيعاً متمكناً منه" (٣) ، "فلو وجدت الإصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه" (٤) .

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ : المقصود من ذلك أن القوم قد أقرؤا بأنه حليم رشيد ، لأنه كان مشهوراً بهذه الصفة ، فكأنه قال لهم : إنكم تعرفون من حالي أنني لا أسعى إلا في الإصلاح ، وإزالة الفساد والخصومة ، فلما أمرتكم بالتوحيد ، وترك إيذاء الناس ، فاعلموا أنه دين حق وأنه ليس غرض منه إيقاع الخصومة وإثارة الفتنة ، فإنكم تعرفون أنني أبغض ذلك الطريق ،

(1) جامع البيان للطبري ، ج١٢ ، ص ١٠٣ .

(2) انظر تفسير الطبري ، ج١٢ ، ص ١٠٣ ، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ، ج٣ ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(3) تفسير القاسمي ، ج٩ ، ص ١٦٣ .

(4) حاشية الشهاب ، ج٥ ، ص ٢١٦ .

ولا دور لي إلا ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتي ، ثم إنه عليه السلام أكد ذلك بقوله : "وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" فتوكله عليه السلام واعتماده في تنفيذ كل الأعمال الصالحة بتوفيق من الله تعالى وهدايته (١) .

ثانياً : داود عليه السلام :

بعث الله - سبحانه وتعالى - داود إلى قومه ليرشدهم إلى الطريق المستقيم وكان الله قد امتن على داود بنعم كثيرة ، كالنبوة ، والزبور ، وفصل القضاء بالعدل ، والفطنة ، والذكاء ، ورحمة الضعفاء ، وحسن الصوت ، وتسخير الجبال له والطير (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سبأ: ١١) . فقد خاطبه - سبحانه وتعالى - وحثه على كثرة العمل الصالح ، وقوله - سبحانه وتعالى - في نهاية الآية ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ تحريض على إصلاح العمل مع ما تشكر النعمة التي أنعمها الله - سبحانه وتعالى - على عبده .

والعمل الصالح يُقَوِّم النفوس ، ويصقل الروح ، ويحفظها من المزالق والانحرافات ، فلم يستثن سبحانه نبياً ولا رسولاً من إلزامه بالعمل الصالح . لقد أعقب الله بيان نعمه وأفضاله على داود بأمره مع أهله بصلاح العمل ، وهو فعل الأوامر ، وترك النواهي كما قال تعالى : ﴿ اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ (سبأ: ١٣) .

وعلى الترغيب بالعمل الصالح بأنه بصير بأعمال عباده وأقوالهم ، لا يغيب عنه شيء فيجازيهم عليها (٣) ، وأنهم مخلوقون فقط للعمل الصالح ، والإكثار منه (٤) لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

(1) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج ٦ ، ص ٣٨٩ ، التفسير المنير للزحيلي ، ج ١٢ ، ص ١٢٩-١٣٤ .

(2) انظر النكت والعيون للماوردي ، ج ٤ ، ص ٤٣٧ .

(3) انظر التفسير المنير للزحيلي ، ج ٢٢ ، ص ١٤٩ .

(4) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج ٢٥ ، ص ٢١٣ .

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿﴾ (النزيات: ٥٦) ، فالعمل الصالح يشمل جميع الطاعات بما فيها قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر (١) .

فالعمل الصالح فضل من الله سبحانه ، يوفق إليه من يشكر نعمته ويحمد فضله لهذا .

ثانياً : موسى عليه السلام :

لقد بعث الله - سبحانه وتعالى - موسى إلى بني إسرائيل ليصلح شأنهم من ذل الطاغوت الذي واجه موسى عليه السلام ، وبني إسرائيل بكل شراسة .
جاءهم موسى - عليه السلام - ليخلصهم من حياة الذل والهوان والنكال ، ومن حياة القهر والاستعباد التي ذاقوها من فرعون وملئه (٢) .

وبعد أنخلصهم موسى - عليه السلام - من فرعون وبطشه تنكروا لهذه الدعوة التي خلصتهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ، وطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة يعبدونها من دون الله ، قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨) .

فموسى - عليه السلام - يعلم طبيعة بني إسرائيل ، وما هم عليه من الفسوق والفجور ، لذلك أوصى أخاه هارون أن يصلح في بني إسرائيل ، ولا يتبع سبيل المفسدين ، قال تعالى : ﴿ وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٢) .

ولقد أوصى موسى - عليه السلام - أخاه هارون أن يرفق ببني إسرائيل ، ويتفقد أحوالهم ولا يسلك سبيل العاصين ، ولا يكون عوناً للظالمين (٣) .

ولكن طبيعة بني إسرائيل لا تستقيم على حال ، ولا تلتزم على مبدأ ، فهم يسبغون حسب الأهواء والأمزجة ، فما إن دعاهم السامري إلى عبادة العجل

(1) انظر النكت والعيون للماوردي ، ج ٤ ، ص ٤٣٧ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٣٦٧ .

(3) انظر فتح القدير للشوكاني ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

المصنوع من الذهب سرعان ما استجابوا لذلك وتركوا عبادة الله سبحانه وتعالى^(١) ، وخالفوا نبيهم موسى - عليه السلام - وما جاءهم به من الخير والصلاح ، والتمكين في الأرض والدين ، بعد أن كانوا مستضعفين أذلاء ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٧) .

ثالثاً : محمد ﷺ :

فقد انتشرت دعوة النبي محمد ﷺ في جميع البلاد ، في مشارق الأرض ومغاربها ، مثلها مثل الغيث الذي يصيب الأرض فتتبت الخير الكثير ، وكذلك دعوته - عليه الصلاة والسلام - بعثه الله بها ليصلح العباد في الدنيا وينالوا رضا ربهم في الآخرة ، ويبعدهم عن الفساد الذي نهى عنه - سبحانه وتعالى - وهو الإشراف بالله في الأرض وعصيانه فيها بعبادة الأصنام^(٢) ، وغيرها من العبادات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، "ومن فساد الأديان الكفر بالبدعة ، وإفساد النفوس بالقتل ، وبقطع الأعضاء ، وإفساد الأموال بالغصب ، والسرقعة ، والاحتيال ، وإفساد العقول بشرب المسكرات ونحوها ، وإفساد الأنساب بالإقدام على الزنا ، واللواط والقذف"^(٣) لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦) .

وفي هذه الآية حث على عدم الفساد في الأرض بعد الإصلاح الذي بناه المرسلون وأتباعهم المصلحون ، إن هذا الفساد كفيل بأن ينزل الله - سبحانه وتعالى - غضبه وسخطه على أهل هذه البلاد ، لولا رحمة الله - سبحانه وتعالى - بإرسال الرسل لإكرام البشرية بهم ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي ، ج ٣ ، ص ٩١ .

(2) انظر جامع البيان للطبري ، ج ٨ ، ص ٢٦٣ .

(3) التفسير المنير للزحيلي ، ج ٨ ، ص ٢٤٠ .

مَنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٦-١١٧﴾ .

"وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التي أهلكتها ، التي قص عليك نبأها ظلماً وأهلها مصلحون في أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم ظلماً ، ولكنه أهلكتها بكفر أهلها وتماديهم في غيهم وتكذيبهم رسلهم وركوبهم السيئات" (١) .

فهذه الآيات تبين سنة من سنن الله في الأمم ، فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله ، ويكون فيها من ينهض بها ويدفع عنها هذا الفساد لهي أمة الناجين من عذاب الله وسخطه ، أما الأمم التي يظلم فيها الظالمون ، ويفسد فيها المفسدون ، ولا يوجد فيها من يأخذ بيدها إلى صراط الله المستقيم ، إلى النجاة من عذاب الله وسخطه ، بدفع الظلم والفساد عنها ، فإن سنة الله تعالى تحق عليها إما بهلاك الاستئصال ، وإما بهلاك الانحلال والاختلال ، فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله وحده ، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره ، هم صمام الأمان للأمم والشعوب (٢) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠) .

سبب نزول هذه الآية :

"قال طاوس : قال رجل : يا نبي الله إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى مكاني فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال مجاهد : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله - سبحانه وتعالى - فيذكر ذلك مني ، وأحمد عليه فيسرنى ذلك وأعجب به ، فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً صالحاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

(1) جامع البيان للطبري ، ج ١٢ ، ص ١٧٤ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ١٩٣٣ .

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١﴾ .

لقد تعددت أسباب النزول لهذه الآية الكريمة ، ولكن مضمونها واحد وهو أن العمل الصالح مهما تعددت أشكاله وأصنافه ، سواء كان هذا غير ظاهر أم ظاهراً للناس كالجهاد ، والإنفاق ، وصلة الرحم ، وغيرها من أعمال البر فإن لصاحبها الأجر العظيم إذا أخلص فيها النية لله - سبحانه وتعالى - أما إذا أشرك في نيته أحداً غير الله ، كالمراءاة ، حتى يقول الناس إنه مجاهد ، ومنفق كريم ، فإن هذا العمل فيه شرك ، فلا يقبله - سبحانه وتعالى - بل يكون وبالاً على صاحبه .

"فمن آمن بقاء الله ، وطمع في ثواب الله على طاعته ، فليتقرب إليه بصالح الأعمال ، وليخلص له العبادة ، وليجتنب أن يشرك بعبادة الله أحداً من مخلوقاته ، سواء أكان شركاً ظاهراً كعبادة الأوثان ، أم شركاً خفياً كفعل شيء رياء أو سمعة وشهرة" (٢) . "إن المؤمن بربه الذي يرجو رؤيته وثوابه ويخشى عقابه يجب عليه أن يعمل العمل الصالح المرضي لله ، وألا يشرك بالله أحداً في عبادته" (٣) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : "أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه" (٤) .

يبين - سبحانه وتعالى - في الحديث القدسي السابق أن عمل المرئى باطل لا ثواب فيه ، ويأثم فاعله ، إذا قصد بذلك المراءاة للناس وأن يصفه الناس بأنه كريم وشجاع ، وغيرها من الصفات الحسنة ، أما إذا قصد بإنفاقه حث الناس على البذل والعطاء لا من أجل الشهرة ، فليس في ذلك شيء والله أعلم ، وهذا

(1) أسباب النزول للواحي النيسابوري ، ص ٢٤٦ .

(2) التفسير المنير للزحيلي ، ج ١٦ ، ص ٤٣ .

(3) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرفاق ، باب من أشرك في عمله غير الله ، ح (٢٩٨٥) ، ج ٤ ،

ص ٢٢٨٩ .

ما يؤيده سبب نزول الآية .

لقد بعث الله - سبحانه وتعالى - محمداً ليدعو الناس للإيمان بالله والعمل الصالح وجعل جزاء ذلك دخول الجنة وتوسيع الرزق ، قال تعالى : ﴿رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾ (الطلاق: ١١) . فالله - سبحانه وتعالى - أنزل القرآن على قلب رسوله ليذكرهم به ويحضهم على الإيمان بالله ، والعمل بطاعته واجتناب المحرمات ، رسولاً يتلو عليكم آيات الله لتسمعوها وتتدبروها ، وتعملوا بما فيها من أحكام ، فالذين يؤمنون به ويعملون بما أمرهم الله به فإنه يخرجهم من الكفر وهي الظلمات إلى النور وهو الإيمان ، ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾ (الطلاق : ١١) (١) .

وبيين - سبحانه وتعالى - أن هناك ركائز وآداب لا بد أن يتحلى بها المسلم في هذا الدين ، فلا يتمسك بها إلا الذين أخلصوا في طاعته سبحانه وتعالى وعملوا الصالحات ، فكانت لهم منهجاً يسلكونه ، لذلك قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ * وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد : ١٩-٢٥) .

(1) انظر تفسير الطبري ، ج ١٩ ، ص ١٦٨ .

إن هناك علاقة وثيقة بين الفساد الذي يصيب حياة البشر في هذه الأرض وبين ذلك العمى عن الحق الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله - سبحانه وتعالى - لهداية البشر إلى الحق والصلاح والخير ، فالذين لا يستجيبون للحق الذي جاء من عند الله هم الذين يفسدون في الأرض ، أما الذين آمنوا بالقرآن ، ويستجيبون لما جاء فيه من أوامر ونواهٍ ، وأحكام ، هم الذين يصلحون في الأرض وتزكو بهم الحياة .

فحياة الناس لا تصلح إلا بأن يتولاها قادة ربانيون ، يعلمون أن ما أنزل على محمد هو الحق ، ويوفون بعهد الله ، ويدينون له ، ولا يستمدون أحكامهم من غيره ، ومن ثم يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، وينفقون مما رزقهم الله سراً وعلانية ، ويدفعون السوء والفساد في الأرض بالصلاح والإحسان .

أمثال هؤلاء يصلحون حياة الناس في الأرض بالاستقامة على دينه سبحانه وتعالى ، أما القيادات الضالة التي تتخذ منهجاً علمانياً أو اشتراكياً غير المنهج الذي جاء به النبي ﷺ وهو الحق من عند الله ، فإنهم ينشرون الفساد في الأرض بجميع أشكاله وأجناسه ، وعندها يكونون أرذل الأمم ، لا وزن لهم لبعدهم عن دين الله ، واتباعهم سبل الشيطان (1) .

المطلب الثاني

مواقف الناس من الدعوة إلى الإصلاح

ويشتمل على ست مسائل :

المسألة الأولى : المؤمنون وتجاوبهم مع دعوة الإصلاح :

إن الناظر في أحوال الأنبياء السابقين يجد أن أتباعهم من المؤمنين قليلون جداً ، فالنبي ومعه الرهط ، والنبي وليس معه أحد ، بل كانت الحرب على الأنبياء ، حرباً لا هوادة فيها ، فبنو إسرائيل قتلت العديد من

(1) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٤ ، ص ٢٠٧٥ .

الأنبياء ، وذلك لأنهم دعوا إلى عبادة الله تعالى وإلى إصلاح البشرية ، فكان الناس يحاربونهم ولا يتبعونهم فيما يدعون إليه إلا القليل من الفقراء والضعفاء .

فبين رسول الله ﷺ أن أكثر الأمم السابقة هم من أهل النار ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي ﷺ : "يقول الله - عز وجل - يوم القيامة يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج عن ذريتك بعثاً إلى النار ، قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ، فقال النبي ﷺ : "من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ، ثم قال : ثلث أهل الجنة ، فكبرنا ، ثم قال : "شطر أهل الجنة" فكبرنا" (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "عرضت عليّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى ﷺ وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" (٢) .

فالمؤمنون الذين آمنوا بأنبيائهم واحد من كل ألف والباقون في النار ، فإن دل هذا فإنما يدل على تنكرهم لدعوة الإصلاح التي دعا إليها الأنبياء صلوات الله

(1) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب وترى الناس سكارى ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ ، ح (٤٧٤١) .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب

ولا عذاب ، ح ٢٢٠ ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

وسلامه عليهم ، بل كانوا يحاربون كل من دعا إلى الإيمان والتوحيد من غير الأنبياء الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

فهذا مؤمن آل ياسين رضي الله عنه دعا قومه إلى اتباع الرسل فكان مصيره مقابل هذه الدعوة أن قتلوه ، قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (يس: ٢٠) .

فصاحب ياسين هو حبيب بن مري ، عندما جاءت الرسل تبليغ دين الله وتتهى عن عبادة الأصنام ، أجمع القوم على قتلهم ، فجاء دور الداعية حبيب يدعوهم إلى اتباع الرسل وينهاهم عن قتلهم ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن عبادة الأصنام ، ويظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأنه لا يملك نفعه ولا ضره غير الله - سبحانه وتعالى - فقتلوه على ذلك (١) ، قال تعالى : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ ﴾ (يس: ٢٢-٢٣) .

فهذا شأن المؤمن الصادق أن ينصح قومه ولا يغشهم ويرشدهم ولا يضلهم مهما عومل من شدة وقسوة حتى الموت (٢) ، قال ﷺ : "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر" (٣) .

كما دعا مؤمن آل فرعون قومه إلى النجاة من النار ، ودخول الجنة ، بالإيمان بالله تعالى ، وعبادته وحده لا شريك له ، وتصديق رسوله المبعوث من عند الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سِئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ

(1) انظر جامع البيان للطبري ، ج ١٢ ، ص ١٩٤ .

(2) انظر أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ، ج ٣ ، ص ٦٥١ .

(3) سنن أبي داود كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، ح (٤٣٤٤) ، ج ٤ ، ص ١٨٥٧ ، السلسلة الصحيحة ج ١ ، ص ٨٨٦ ، ح (٤٩١) .

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ
وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا
أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا
وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ *
فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ *
فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ
عَلَيْهَا غُدُورًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾
(غافر : ٣٨-٤٦) .

عندما دعا موسى - عليه السلام - فرعون إلى عبادة الله تعالى تنكر
فرعون وقومه لهذا الحق الذي جاء به ، وتآمروا على قتله .

فكان دور الداعية المؤمن الذي استجاب لهذه الدعوة ، والذي نور الإيمان
قلبه للدفاع عن نبي الله موسى ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ
يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٨) ، فكان يقول لقومه وهو يعظهم يا قوم اتبعوني
فيما أقول لكم وأدعوكم إليه أدلكم على طريق الرشاد والخير والصلاح والسداد ،
وهو اتباع دين الله الذي جاء به موسى ، وعدم اتباع سبيل فرعون ، سبيل البغي
والضلال والفساد ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
الْقَرَارِ ﴾ (غافر : ٣٩) أي يا قوم ما هذه الحياة الدنيا إلا مجرد متاع قليلاً يستمتع به
ثم يزول وينتهي بالموت ، وإن الآخرة هي دار الاستقرار والبقاء والخلود ،
فالسعيد من سعى إلى النعيم والشقي من سعى إلى الجحيم ، لأن النعيم فيها دائم ،
والعذاب فيها دائم .

ثم قال : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر : ٤٠)
أي من ارتكب المعاصي فلا يجزى في الآخرة إلا مثلها ، عدلاً من الله ، ومن

عمل صالحاً وهو اتباع أمر الله واجتناب ما نهى الله عنه ، وكان مصدقاً بالله ورسوله ، فهؤلاء هم أهل الجنة يتمتعون بنعيمها ورزقها فضلاً من الله ونعمة .

فكانت النتيجة لمن دعا إلى الله وأمرهم بالإيمان وعبادة الله وحده أن وقاه مكر وسوء فرعون ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (غافر : ٤٥) ، حفظه الله وحماه في الدنيا من سوء وشر ما أرادوا به من قتل ، ونجاه من بأس فرعون ، كما نجاه في الآخرة من النار ، وأنعم عليه بالجنة ونزل بفرعون وقومه سوء العذاب في الدنيا بالغرق في البحر ، وسيعذبون في الآخرة بالنار (١) .

إن دعوة الغير إلى الهدى والخير مرتبة عالية ولا يلقاها إلا أفراد قلائل زكت نفوسهم وطهرت أرواحهم وامتلت إيماناً و يقيناً ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: ٣٣)

فهذه الآية تشمل كل من دعا إلى الله بالمواعظ والحجج ، ولا أحد أحسن قولاً وأرفع منزلة ممن دعا إلى الله ودعا غيره إلى دين الله ، فهؤلاء الذين يرفعون عقائدهم في المجتمعات والمحافل وعلى المنابر يطالبون بتحكيم كتاب الله والسير على شريعة العدل ، شريعة المنطق السليم ، شريعة السماء ، هم أحسن قولاً من غيرهم الذين لا يدعون إلى الله ، لأن قولهم ليس فيه خير ولا في عملهم بركة .

فالداعية لا بد أن يكون عمله صالحاً يلتقي مع قوله الظاهر والباطن ، وأن يكون أشد الناس مراقبة لله وخشية منه (٢) .

فالآية عامة نزلت في كل من دعا إلى الله تعالى ، في كل مؤمن يقوم بأعمال البر والخير من عبادات كالصلاة والصيام وأداء الفرائض ، واجتناب

(1) انظر التفسير المنير للزحيلي ، ج٢٤ ، ص ١٢٩ .

(2) انظر التفسير الواضح ، د. محمد حجازي ، ج٣ ، ص ١٤٢ .

المحرمات ، وكثرة المنذوبات ، فكل هذه الأعمال وغيرها من أعمال البر تتدرج في العمل الصالح ^(١) ، وهذه الدعوة امتداد لدعوة الرسل عليهم السلام ، فالنهوض بواجب الدعوة إلى الله في مواجهة انحرافات النفس البشرية ، وجعلها واعتزازها بما توارثته عن آبائهم وأجدادهم ، وحرصها على شهواتها وعلى مصالحها هو أمر شاق ^(٢) .

فنحن في زمن كثرت فيه الفتن ، وكثر فيه علماء السلاطين ، فما أحوجنا إلى علماء ووعاظ ربانيين ، يكون عملهم مثلاً أعلى يحتذيه كل مسلم ^(٣) ، فكلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض ، وتصدق في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء ، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ، وهو شرط من شروط الدعوة ، ولا بد أن تكون الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ ^(٤) .

فاختتم - سبحانه وتعالى - الآية بفاصلة مسوقة لتثبيت قلب كل من يدعو إليه وتربيته بأدب القرآن ﴿ **إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ والله يعلم أن دعاة الحق لا بد أن يصادفهم ما يؤلمهم ، ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ** ﴾ (فصلت: ٣٤) ، أي لا تستوي الحسنة ، أي الدعوة إلى الله ، ولا السيئة ، أي الإعراض عنها وذنم القائمين بها ^(٥) .

"والآية فيها ثناء على المسلمين بأنهم افتخروا بالإسلام واعتزوا به بين المشركين ولم يتستروا بالإسلام ، والاعتزاز بالدين عمل صالح ، ولكنه خص بالذكر ، لأنه أريد به غيظ الكافرين ، ومثال هذا ما وقع يوم أحد حين صاح

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج١٥ ، ص ٣٦٠ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٥ ، ص ٣١٢١ .

(3) انظر التفسير الواضح ، ج٣ ، ص ١٤٢ .

(4) انظر في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص ٣١٢١ .

(5) انظر التفسير الواضح ، ج٣ ، ص ١٤٣ .

أبو سفيان اعل هبل ، فقال النبي ﷺ قولوا : "الله أعلى وأجل" فقال أبو سفيان :
لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال النبي ﷺ : "قولوا الله مولانا ولا مولى لكم" (١) .
قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا
فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ ﴾
(هود: ١١٦-١١٧) .

مناسبة الآية لما قبلها :

"بعد أن أهلك الله الأمم السابقة بظلم ، بين أن سبب إهلاكه إياهم هو ظلمهم
سواء كان صغيراً أو كبيراً ، ولو كانوا مصلحين لما عمهم الله بالعقاب ، لأن
الهلاك في حال إصلاحهم يكون في غير موقعه" (٢) .

يبين - سبحانه وتعالى - أنه لم يكن من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون
عن الفساد في الأرض إلا يسيراً ، فإنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر فنجاهم الله من عذابه ، وأخذ من كان مقيماً على الكفر .

لقد أنجى الله - سبحانه وتعالى - نوحاً ومن معه لأنهم قاموا بواجب
الدعوة إلى الله واستجابوا لأمره ، وأغرق الكافرين ، قال تعالى : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ
اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ
مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨) .

وبعث الله هوداً إلى عاد ، فنجى الله هوداً والذين آمنوا معه وأهلك
الكافرين ، وبعث الله صالحاً إلى ثمود ، فنجى الله صالحاً وأهلك الكافرين ، فسنة
الله في خلقه أن يأخذ القرى الظالمة ، وينجي الله الذين اتقوا ، الذين يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويصلحون إذا فسد الناس ، لقوله تعالى :
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ ﴾ (هود: ١١٧) .

(1) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ج٢٤ ، ص ٢٨٨ .

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، ج٣ ، ص ٥٨٩ ، وانظر التفسير المنير للزحيلي ،

ج١٢ ، ص ١٧٧ .

وهنا يخاطب رب العزة النبي ﷺ ويواسيه ، فيقول : ما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التي أهلكتها ، والتي قص عليك نبأها ظلماً وأهلها مصلحون ، في أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم ، وطاعتهم ربهم ظلماً ، ولكن الله - عز وجل - أهلك أهلها بكفرهم ، وتماديهم في غيهم وتكذيبهم رسلكم ، وهذه سنة الله في خلقه الذين طغوا ، وظلموا ، وتجبروا على عباده الصالحين (١) .

"وهذا يدل على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب" (٢) .

عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده" (٣) ، ولهذا أمر الله - سبحانه وتعالى - هذه الأمة أن يكون فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤) ، قال تعالى : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١١٣-١١٥) .

سبب نزول الآية :

-
- (1) انظر جامع البيان للطبري ، ج ١٢ ، ص ١٧٤ .
 - (2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج ٩ ، ص ١١٤ .
 - (3) صحيح الترغيب والترهيب للألباني ، ح (٢٣١٧) ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (١٥٦٤) ، ج ٤ ص ١٥٦٤ ، .
 - (4) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٧ ، ص ٤٨٨ .

"عن ابن عباس قال : لما أسلم (عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سحنة ، وأسيد ابن سحنة ، وأسد بن عبيد)^(١) ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا ، وصدقوا ، ورجبوا في الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبار يهود ، وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله - عز وجل - في ذلك قولهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ... إِلَى قَوْلِهِ وَأَوْلَيْكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٢) ."

ويبين - سبحانه وتعالى - أنه لا يستوي أهل الإيمان القائمين على كتاب الله وفرائضه ، وحدوده المطيعين لما أمر سبحانه وتعالى ، المستقيمين على الهدى وعلى صراطه المستقيم ، وعلى شرائع الله ، بالعدل ، والطاعة ، وغير ذلك من أسباب الخير ، وبين أهل الكفر الذين لم يستجيبوا لدعوته سبحانه وتعالى ودعوة نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فهم متفاوتون في الصلاح والفساد وفي الخير والشر^(٣) .

فحال أهل الكتاب أنهم فريقان ، مؤمن صالح استجاب لدعوة الله ورسوله ، وكافر فاسد تنكب طريق الحق ، فأنثى الله على أهل الصلاح أنهم على الإيمان الحق ، والدين الصحيح ، وهم الذين أسلموا لله تعالى ، يتلون آيات الله يقرأونها في صلاتهم آناء الليل ، وهم يسجدون ، وخصهم الله بالسجود ، إذ هو أعظم مظاهر الخضوع لله تعالى ، كما أنثى عليهم بالإيمان الصادق ، والأمر بالمعروف وهو الدعوة إلى عبادة الله تعالى ، وينهون عن المنكر ، وهو الشرك بعبادة الله تعالى ، والكفر به ورسوله "يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويسارعون في الخيرات" .

(1) أسد بن سعية القرظي ، وأسد بن عبيد القرظي ، وثعلبة بن سعية كلهم أسلموا مع عبد الله بن سلام ،

انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ترجمة ١٠٠ .

(2) جامع البيان للطبري ، ج ٤ ، ص ٦٨ ، انظر أسباب النزول للواحي ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(3) انظر جامع البيان ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

عن النعمان بن بشير ^(١) رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : "مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء ، مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نُؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" ^(٢) .

وعطف - سبحانه وتعالى - في الآية على الإيمان بالله واليوم الآخر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسارة في الخيرات ، وذلك حتى يبادروا إلى فعل الخيرات قبل فواتها .

والخيرات : كل قول وعمل صالح من سائر القربات ، ثم شهد الله تعالى لمن كانت هذه صفاتهم بالصلاح ^(٣) ، فقال : ﴿ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وختم - سبحانه وتعالى - الآية بقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي "وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله تعالى ، ورضيهم ، واعلم أن الوصف بذلك غاية المدح ، ويدل عليه القرآن ، والمعقول .

أما القرآن : فهو أن الله تعالى مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال بعد ذكر إسماعيل وإدريس وذو الكفل ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٦) ، وذكر حكاية عن سليمان عليه السلام أنه قال : ﴿ وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل: ١٩) ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التحريم: ٤) .

(1) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، من سكان الشام ، وأصبح والياً على الكوفة وقتل بحمص سنة خمس وستين .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ، ح (٢٤٩٣) ، ج ٣ ، ص ١٥٢ .

(3) انظر أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

أما المعقول : فهو أن الصلاح ضد الفساد ، وكل ما لا ينبغي أن يكون فهو فساد ، سواء كان ذلك في العقائد أو في الأعمال ، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون ، فقد حصل الصلاح ، فكان الصلاح دالاً على أكمل الدرجات (١) .

هذه صورة للمؤمنين من أهل الكتاب فقد آمنوا إيماناً صادقاً ، وقاموا على حراسة هذا الدين ، آمنوا بالله واليوم الآخر وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فجعلوا الهدف الذي يتسابقون إليه هو فعل الخيرات فاستحقوا لأجل ذلك شهادة الله لهم بأنهم من الصالحين (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (المائدة: ٨٣-٨٤) .

إن دعوة الأنبياء السابقين كانت خاصة لأقوامهم ، بينما دعوة النبي ﷺ للبشر كافة ، للأبيض ، والأسود ، والأحمر ، وغيرهم من البشر الذين خلقهم الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨) ، لذلك كان أتباع النبي ﷺ كثيرين بالنسبة لأتباع الأنبياء السابقين ، ويدل على ذلك حديث النبي ﷺ السابق : إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة (٣) .

لذلك امتدت دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها ، حتى إنه لم يبق بيت إلا قد دخله الإسلام ، قال ﷺ : "ليبغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ،

(1) التفسير الكبير للرازي ، ج ٨ ، ص ١٦٦ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .

(3) سبق تخريجه في ص ٣١ من هذا البحث .

ولا يترك الله بيت مدر^(١) ، ولا وير إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل
ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر"^(٢) .

عندما سمع النجاشي وغيره من أهل الكتاب رضي الله عنهم بدعوة النبي
ﷺ لم يترددوا في الاستجابة للخير الذي جاء به - عليه الصلاة والسلام - فأمنوا
بدعوته ، وأنزل الله في شأنهم ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ
تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾
(المائدة: ٨٣) أي مع أمة محمد ﷺ ، ثم قالوا "وما لنا لا نؤمن بالله ولا نقر بوحدانيته
وما جاءنا من عند الله هو الحق ، ونطمع بإيماننا أن يدخلنا مع القوم الصالحين
المؤمنين بالله المطيعين له ، الذين استحقوا من الله الجنة بطاعتهم إياه ، ونكون
بصحبة رسول الله ﷺ وأصحابه"^(٣) .

فموقفهم من هذه الدعوة هو الانضمام إلى الصف المسلم ، وأن يجعلهم من
الشاهدين لهذا الحق ، وأن لا يسلكوا إلا طريقاً واحداً ، هو طريق الإيمان بالله ،
وبالحق الذي أنزله على رسوله ، فعندما علم الله صدق قلوبهم وأسننتهم ، وصدق
عزيمتهم على المضي في طريق الإيمان ، ورجاءهم في ربهم أن يدخلهم مع
القوم الصالحين ، فقبل الله منهم قولهم ، وكتب لهم الجنة ، وشهد لهم بأنهم
محسنون ، والإحسان أعلى درجات الإيمان والإسلام^(٤) . قال تعالى : ﴿ فَأَتَابَهُمُ
اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ٨٥) .

وأنزل - سبحانه وتعالى - في شأن صهيب الرومي قوله تعالى :
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾
(البقرة: ٢٠٧) .

سبب نزول الآية :

(1) مدر : بمعنى أهل القرى والأمصار ، ومفردها مدرة ، انظر كتاب النهاية في غريب الحديث ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ .

(2) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الفتن والملاحم ، ح (٨٣٢٤) ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ ، السلسلة الصحيحة
ج ١ ، ص ٣٢ ، ح (٣) .

(3) انظر جامع البيان ، ج ٧ ، ص ١٠ .

(4) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٩٦٣ .

قال سعيد بن المسيب : أقبل صهيب الرومي مهاجراً إلى النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش ، فنزل من راحلته ، ونثر ما في كنانته ، ثم قال : يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أركم رجلاً ، وأيم الله ، لا تصلون إليّ حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ، ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، قالوا : دلنا على بيتك ، ومالك ، ونخلي عنك ، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ففعل ، فلما قدم على النبي ﷺ قال : أبا يحيى ربح البيع ، ربح البيع ، وأنزل الله ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (١) .

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن ذكر الله - تعالى - صنفاً من المنافقين ، وهم يخادعون ويكتمون ، أعقب ذلك بقصة المؤمن الذي استجاب لدعوة الله تعالى ، يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله ، فتراه يجاهد في سبيل الله لإقرار الحق ، والعدل ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويتحرى صالح الأعمال ، وقول الحق مع الصدق والإخلاص فيهما .

ولقد باع كل ما يملك من أعراض الدنيا من أجل ما عند ربه من حسن الجزاء ، والله رؤوف بالناس ، فيجزئهم بالنعيم الدائم على العمل القليل .

فالمخلص في عمله ، والذي جاهد في سبيل الله يستحق رضوان الله ورحمته (٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (التوبة: ١١١) .

فالمؤمنون الذين استجابوا لله ورسوله ﷺ وعبدوا الله مخلصين فإن الله

(1) أسباب النزول للواحي ، ص ٥٩ .

(2) انظر التفسير المنير ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

سيجزئهم على إصلاحهم لأنفسهم ، ولغيرهم أعظم الجزاء ، فالله - سبحانه وتعالى - لا يضيع أجر المصلحين ^(١) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة:٧) ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسْكُونُ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٠) .

إن استجابة المؤمنين لدعوة النبي ﷺ للصالح لا تقتصر على عبادة الله وحده من أحكام وشرائع ، بل تتعدى ذلك إلى ما فيه عز المسلمين ، ألا وهو الجهاد .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّأُونَ مَوْطِئًا يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٠-١٢١) .

فالتعب موجه للمؤمنين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ عندما دعاهم للجهاد في غزوة تبوك ، فالمؤمن لا يرضى لنفسه بالراحة والدعة ، ورسول الله ﷺ في المشقة ، لأن ما يصيب المؤمن من ظمأ ، أي عطش "ولا نصب" ، أي تعب ، "ولا مخمصة" ، أي مجاعة في سبيل الله ، "ولا يَطَّأُونَ مَوْطِئًا" ، أي أرضاً بوطئهم إياها ، "ولا ينالون من عدو نيلاً" ، أي قتلاً وهزيمة ، "ولا يقطعون وادياً" إلا كتب لهم به عمل صالح ^(٢) .

لقد استجاب المؤمنون لدعوة رسول الله ﷺ حينما دعاهم لتجهيز جيش العسرة فبذلوا الغالي والنفيس من أجل نصره الدين ، فهذا أبو بكر - رضي الله عنه - تبرع بكل ماله ، وعمر - رضي الله عنه - تبرع بنصف ماله ، وعثمان جهز جيش العسرة ^(٣) .

(1) انظر جامع البيان من تأويل آي القرآن ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ .

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج ٨ ، ص ٢٩٠ ، انظر التفسير الواضح ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

(3) انظر هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب لأبي بكر الجزائري ، ص ٣٤٤ .

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان - رضي الله عنه - إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال : فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول : "ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم ، يرددها مراراً" (١) .

"ومعنى كتب لهم به عمل صالح : أي جعل الله كل عمل من تلك الأعمال عملاً صالحاً ، وإن لم يقصد به عاملوه تقرباً إلى الله ، فإن تلك الأعمال تصدر عن أصحابها وهم ذاهلون في غالب الأزمان ، فليست لهم نيات بالتقرب بها إلى الله ، ولكن الله تعالى بفضله جعلها لهم قربات باعتبار شرف الغاية منها" (٢) .

المسألة الثانية : المنافقون وادعائهم للصلاح :

لقد تحدث القرآن الكريم عن المنافقين ، ووصفهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين حتى يتعرفوا عليهم ويتعدوا عن خطرهم ، وذلك بعد هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة .

بدأ كيد المنافقين يشتد على المسلمين وبدأ يظهر خطر المنافقين على المسلمين من الكفار والمشركين أنفسهم ، فالمنافقون متغلغلون في الصف المسلم يتجسسون عليهم ، وينقلوا أخبارهم إلى أعداء الله ، فلا أحد يسلم منهم ، فقد آذوا النبي ﷺ في نفسه وعرضه ، وآذوا صحابته رضوان الله عليهم ، فكيف بنا اليوم ونحن بعيدون عن عصر النبوة ، إنهم أكثر ما يكون في هذا الزمان ، سواء كان ذلك النفاق على مستوى زعماء ، أو على مستوى أفراد .

إن أتباع الكفار والمشركين اليوم يوالون أعداء الله جهاراً نهاراً كما هو الحاصل في عهد النبي ﷺ من أمثال عبد الله بن أبي بن سلول مع يهود بني قينقاع .

لقد بينت السنة والسيرة النبوية موقف المنافق عبد الله بن سلول من مسانדתه ودفاعه عن يهود بني قينقاع ، "فعندما حاصر الرسول ﷺ بني قينقاع ،

(1) سنن الترمذي كتاب المناقب ، باب رقم ٦١ ، ح (٣٧٠١) ، ج ٥ ، ص ٤٤٥ ، قال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٧ ، ص ٣١٥ ، التحرير والتنوير ، ج ١١ ، ص ٥٧ .

أول قبيلة يهودية كبيرة تتقضى عهدها مع الرسول ﷺ ، ونزلوا عند حكمه ، بعد أن رأوا ألا فائدة من المقاومة ، وجد عبد الله بن أبي أن انتصاراً آخر بعد بدر سيحرزه المسلمون في داخل المدينة هذه المرة ، وإن هذا ربما سيستفز أعداء الإسلام ، عرباً ويهوداً ، ويؤلبهم على المسلمين ، وإن هؤلاء ربما وجدوا أنفسهم في موقف لا يحسدون عليه ، فليتحرك زعيم المنافقين بسرعة إذن ، وليقف إلى جانب بني قينقاع مدافعاً عنهم إزاء هجوم المسلمين ، علّ الدائرة تدور على هؤلاء ، فيكون ابن أبي قد وجد لنفسه ولأتباعه ثغرة ينفذون منها بجلودهم ، سيّما وأن يهود بني قينقاع كانوا مواليه في الجاهلية فلا يعقل أن يسلمهم لمصيرهم دون أن يظهر على الأقل إسناده في محنتهم .

تقدم إلى الرسول ﷺ متوسلاً : يا محمد أحسن في مواليّ ، فلم يجبه الرسول ﷺ ، فأعاد : يا محمد أحسن في مواليّ ، فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع الرسول ﷺ وراح يكرر توسلاته : فرد عليه الرسول ﷺ ، وقد كست وجهه ملامح الغضب : ويحك أرسلني ، فأجاب ابن أبيّ : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ ، أربعمائة حاسر^(١) ، وثلاثمائة دارع^(٢) ، قد منعوني من الأحمر والأسود في غداة واحدة ؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، ويبدو أن الرسول ﷺ ما كان ليريد إنزال عقاب بهم ، بل أن يغادروا حصونهم إلى حيث يشاؤون ، ما داموا قد نزلوا عند حكم الرسول ﷺ ، ولذا أجاب عبد الله : هم لك ! ثم التفت إلى أصحابه قائلاً : خلّوهم ، لعنهم الله ، ولعنه معهم .

ونزلت آيات القرآن منددة بهذا الموقف المناق المتأرجح بين ولاية الإسلام وولاية أعدائه^(٣) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ

(١) حاسر : هو الذي لا درع عليه ولا مغفر ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(٢) دارع : جمع درع وهي الزرديّة ، انظر النهاية ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(٣) دراسة في السيرة ، د. عماد الدين خليل ، ص ٣٧٢ .

تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥١-٥٢﴾ .

وهذا الموقف من ابن سلول شبيهه بموقف الزعماء اليوم ، فهم يوالون أعداء الله ضد المسلمين ، ويحاربون الإسلام تحت مصطلحات يعلنها أعداء الله في الحرب ضد الإرهاب ، ويجيشون الجيوش ، ويسفكون دماء المسلمين دون شفقة أو رحمة ، فأعداء الله اليوم كثيرون ، إذا كان هذا على مستوى الزعماء فكيف يكون حال الأفراد ، إن المجاهدين اليوم يلاقون أشد أنواع العذاب سواء كان قتلاً أو أسراً ، كل ذلك بسبب الأيدي الخبيثة من المنافقين المندسين بين صفوف المسلمين .

فالله - سبحانه وتعالى - كشف اللثام عن هؤلاء المنافقين بفضحهم وتعريتهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين من بعده .

"لقد كان لمنافقي اليهود أثر كبير على المشركين ، إذ جلَّ المنافقين من المشركين كان نفاقهم بسبب منافقي اليهود ، إذ حسنوا لهم ذلك تحت عنوان النصيحة لهم وإرشادهم إلى السلوك اللائق بهم حفاظاً على وجودهم ومكانتهم بين الناس (١) ."

ولأثر المنافقين على هذه الأمة فقد أنزل الله - سبحانه وتعالى - سورة كاملة سماها سورة المنافقون ، بين فيها حقيقة المنافقين ، وكذلك بين حقيقتهم في سور شتى من كتابه الكريم .

فمثلاً كرر - سبحانه وتعالى - قوله في سورة المرسلات ﴿ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات: ١٥) عشر مرات بياناً لحال هؤلاء المكذبين للدين ولرسوله ، ودورهم الخطير الذي يقومون به في نشر الفساد في المجتمع ، ومع ذلك فهم يحسبون أنهم بهذا الفعل يحسنون صنعاً .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ *

(1) هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب ، ص ١٥٤ .

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿البقرة : ٨-١٦﴾ .
مناسبة الآيات :

ذكر الله - سبحانه وتعالى - في صدر سورة البقرة أصناف الناس ، فتحدث أولاً عن صفات المؤمنين في خمس آيات ، وأوجز الحديث عنهم ، ثم تحدث عن الكافرين في آيتين وأجمل الحديث عنهم ، ثم أسهب في الحديث عن المنافقين في ثلاث عشرة آية ، لما لهم من خطر على هذه الأمة .
سبب النزول :

هذه الآيات نزلت في المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ، ولكنها عامة في جميع المنافقين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (١) .
فالمنافقون ادعوا الصلاح في الأرض ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ونفوا عن أنفسهم صفة الفساد ، ولكن الله عز وجل ألزمهم هذه الصفة ، وقال عنهم : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ والإفساد في الأرض هو العمل فيها بما نهى عنه الله - جل ثناؤه - وتضييع ما أمر الله بحفظه ، فقد أخبر عن الملائكة بقوله : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (البقرة: ٣٠) .
أي تجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمرك ، فالمنافقون مفسدون في الأرض بمعصيتهم لله تعالى ، وتضييع فرائضه ، والتشكيك في دين الله تعالى وتكذيبهم المؤمنين ، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، وهم يحسبون أنهم يصلحون .

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٤) .

ولكن حكم الله - سبحانه وتعالى - نزل عليهم من فوق سبع سموات ، أنهم بتكذيبهم لله ولرسله ولأوليائه ، أنهم مفسدون في الأرض ، فإذا أمر المنافقون بطاعة الله فيما أمرهم الله به ، ونهوا عن معصية الله فيما نهاهم الله عنه قالوا إنما نحن مصلحون لا مفسدون ، ونحن على رشد وهدى فيما أنكرتموه علينا فكذبهم الله - عز وجل - بقوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ ثم يستمر المشهد القرآني يصف المنافقين ويفضح أمرهم لرسوله وللمؤمنين بقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ أي صدقوا بمحمد ﷺ أنه نبي ورسول ، وأن ما أنزل عليه حق وصدقوا بالآخرة ، وأنكم مبعوثون بعد الموت ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ .

أنؤمن كما آمن أهل الجهل ، ونصدق بمحمد ﷺ كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام ، فيأتي الحكم الآخر من الله - عز وجل - : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ .

إنه مشهد عظيم يصف الله - سبحانه وتعالى - فيه المكذبين والمشككين في دين الله ، أنهم هم الجهال في أديانهم ، الضعفاء في اعتقاداتهم ، واختياراتهم التي اختاروها لأنفسهم من الشك والريب في أمر الله وأمر نبوته ، وفيما جاء من عند الله من أمر البعث .

فالسفيه يفسد من حيث يرى أنه يصلح ، ويضيع من حيث يرى أنه يحفظ كذلك المنافق يعصي ربه من حيث يرى أنه يطيعه ، ويكفر به من حيث يرى أنه يؤمن به ، ويسيء إلى نفسه من حيث يحسب أنه يحسن إليها (١) " فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض ، وإظهار أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح ، قلباً للحقائق

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١ ، ص ١٦٧-١٦٨ .

وجمعاً بين فعل الباطل ، واعتقاده حقاً ، وهؤلاء أعظم جناية ممن يعمل المعاصي مع اعتقاده تحريمها ، فهذا أقرب للسلامة وأرجى لرجوعه (١) .

إن خطر المنافقين وإفسادهم لا يتوقف ضرره على الإنسان فحسب بل يتعداهم إلى حرمان البشرية من الرزق ، وذلك لأنهم سبب لفساد ما على وجه الأرض من الحبوب والثمار والنبات ، لما يحصل فيها من الآفات التي سببها المعاصي ، فالأرزاق في الأرض مرتبطة بالتقوى ، فعندما يكون هناك معاصي تقل الثمار والنبات وتنزع البركة من الأرض (٢) ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ٩٦) ، وقال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ (الروم: ٤١) .

فالمناققون "كانوا يرون الصلاح في تحصيل المعاش ، وتيسير أسبابه ، وتنظيم أمور الدنيا - لأنفسهم خاصة - لتوغلهم في محبة الدنيا ، وانهماكهما في اللذات البدنية ، واحتجاجهم بالمنافع الجزئية ، والملاذ الحسية ، عن المصالح العامة الكلية ، واللذات العقلية ، وبذلك يتيسر مرادهم ويتسهل مطلوبهم ، وهم لا يحسون بإفسادهم المدرك بالحسد (٣) ."

ولقد ذكر الرازي ثلاثة أقوال للعلماء في معنى إفساد المنافقين :

الأول : أن المراد بالفساد في الأرض إظهار معصية الله تعالى ، لأن الشرائع سنن موضوعة بين العباد ، فإن تمسك الخلق بها زال العدوان ، فحققت الدماء وسكنت الفتن ، وكان فيه صلاح الأرض وصلاح أهلها ، أما إذا تركوا التمسك بالشرائع ، وأقدم كل أحد على ما يهواه لزم الهرج والمرج والاضطراب ، ولذلك قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٢٢) ، فبين لهم أنهم إذا عرضوا عن الطاعة لم يحصلوا إلا على الإفساد في الأرض .

(1) تيسير الكريم للسعدي ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(3) تفسير القاسمي ، ج ١ ، ص ٤٧ .

الثاني : أن الفساد هو مداراة المنافقين للكافرين ، ومخالطتهم معهم لأنهم لما مالوا إلى الكفر مع أنهم في الظاهر مؤمنون أوهم ذلك ضعف الرسول ﷺ ، وضعف أنصاره ، فكان ذلك يجرى الكفرة على إظهار عداوة الرسول ﷺ ونصب الحرب له وطمعهم في الغلبة ، وفيه فساد عظيم في الأرض .

الثالث : أنهم كانوا يدعون في السر إلى تكذيبه ، وجدد الإسلام ، وإلقاء الشبه (١) قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٦) .

سبب نزول هذه الآيات :

أن الأحنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة أقبل إلى النبي ﷺ إلى المدينة فأظهر له الإسلام وأعجب النبي ﷺ ذلك منه وقال : "إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم إنني لصادق ، وذلك قوله ويشهد الله على ما في قلبه ثم خرج من عند رسول الله فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمز فأحرق الزرع ، وعقر الحمر ، فأنزل الله تعالى فيه وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل" (٢) .

هذه الصفات ليست مقصورة على الأحنس بن شريق ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فسرعان ما ينكشف أمر هذا الصنف من الناس إذا توارى عن الأعين ، سعى في الأرض فساداً ، يهلك الحرث ويقضي على النسل انقياداً لأهوائه وشهوته ، والله - سبحانه وتعالى - لا يرضى عن الفساد ولا يحب المفسدين ، ولا ينظر إلى الصور والأقوال والأجسام ، ولكن ينظر إلى القلوب التي في الصدور ، قال ﷺ : "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم - وأشار بأصبعه إلى صدره - وأعمالكم" (٣) .

(1) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(2) أسباب النزول للواحي ، ص ٥٩ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، ودمه وعرضه وماله ، ح (٢٥٦٤) ، ج ٤ ، ص ١٩٨٦ .

فَضْلِهِ بَخْلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿التوبة : ٧٥-٧٧﴾ .

سبب النزول :

روى الإمام الواحدى بسنده عن أبي أمامة الباهلي "أن ثعلبة بن حاطب قال لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يرزقني مالاً ، فقال رسول الله ﷺ : "ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه" قال : ثم قال مرة أخرى ، فقال : "أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ؟ فو الذي نفسي بيده ، لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت" قال : والذي بعثك بالحق ، لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال رسول الله ﷺ : "اللهم ارزق ثعلبة مالاً ، قال : فاتخذ غنماً ، فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، ففتحى عنها ، فنزل وادياً من أوديتها ، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ، ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت ففتحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار ، فقال رسول الله ﷺ : "ما فعل ثعلبة" فقالوا : يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة ، فأخبروه بأمره فقال : "يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة !" قال : وأنزل الله ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ (التوبة: ١٠٣) ، ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة ، رجلاً من جهينة ، ورجلاً من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : "مرًا بثعلبة ، وبفلان - رجل من بني سليم - فخذوا صدقاتهما" فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة ، وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ما هذه إلا جزية ، وما هذه إلا أخت الجزية ، ما أدري ما هذا ! انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي ! فانطلقا ، وسمع بهما السلمي ، فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فعزلهما للصدقة ثم استقبلهم بها ، فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك قال : بلى فخذوه ، فإن نفسي بذلك طيبة ، وإنما هي لي فخذوها منه ، فلما فرغا من صدقاتهما ، رجعا حتى مرًا بثعلبة ، فقال : أروني كتابكما ،

فنظر فيه ، فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ، فانطلقا حتى أرى رأيي ، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ ، فلما رآهما قال : "يا ويح ثعلبة" قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة ، والذي صنع السلمي فأنزل الله - تبارك وتعالى - فيه ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (التوبة: ٧٥) إلى قوله ﴿ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (التوبة: ٧٧) وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع بذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة ، قد أنزل الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال : "إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك" فجعل يحثي على رأسه التراب ، فقال له رسول الله ﷺ : "هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني" فلما أبى أن يقبض رسول الله ﷺ رجوع إلى منزله ، وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئا ، ثم أتى أبا بكر حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار ، فاقبل صدقتي ! فقال أبو بكر لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها ؟ فقبض أبو بكر ولم يقبضها ، فلما ولي عمر ، أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي ، فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك ! فقبض ولم يقبلها ، ثم ولي عثمان رحمة الله عليه ، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته ، فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهم وأنا أقبلها منك فلم يقبلها منه ، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه" (١) .

لقد أوردت كتب التفاسير هذه القصة ، وتداولوها فيما بينهم إلا أن هذه القصة تتنافى مع آيات التوبة التي أنزلها الله - عز وجل - في كتابه ، وقد أنكر كثير من العلماء هذه القصة وقالوا ببطلانها ، بل إن هذه القصة مفتراة على ثعلبة الصحابي (٢) ، وسواء كانت هذه القصة ثابتة عن رسول الله ﷺ أو غير ثابتة إلا أنها تصور لنا حال المنافق الذي لا يتمسك بعهد ولا ميثاق ، لقول رسول الله

(1) أسباب النزول للواحدي النيسابوري ، ص ٢٠٧-٢٠٩ .

(2) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٧ ، ص ٢٤٦ .

ﷺ : "آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان" (١)

فإن هذا النص القرآني عامٌ لكل البشر التي لم يبلغ الإيمان فيها مبلغه ، لقد كان المسلمون الأوائل ينظرون إلى الزكاة المفروضة على أنها ركن من أركان الدين فكانوا يحتسبونها نعمة عليهم من يُحرم أداءها أو يحرم قبولها فهو الخاسر .

وقد ذكر سيد قطب "أن من المنافقين من عاهد الله لئن أنعم الله عليه ورزقه ليبذلن الصدقة ، وليصلحن العمل ، ولكن هذا العهد إنما كان في وقت فقره وعسرته ، في وقت الرجاء والطمع ، فلما أن استجاب الله له ورزقه من فضله نسي عهده ، وتكرر لوعده ، وأدركه الشح والبخل فقبض يده ، وتولى معرضاً عن الوفاء بما عاهد ، فكان هذا النكث بالعهد مع الكذب على الله فيه سبباً في التمكين للنفاق في قلبه ، والموت مع هذا النفاق ، ولقاء الله به" (٢) .

بينما القلب المؤمن العامر بالإيمان لا يخشى الفقر بسبب الإنفاق ، لأنه يثق بأن ما عند الناس ينفد ، وما عند الله باق ، وهذا الاطمئنان يدفع به إلى إنفاق المال في سبيل الله تطوعاً ورضاً وتطهراً ، فلو فقد المال ، وافتقر منه فإن له عوضاً أعظم عند الله تعالى (٣) .

"فهذا هو الفارق بين فريضة تؤدي ابتغاء رضوان الله ، وضريبة تدفع لأن القانون يحميها ويعاقب عليها الناس" (٤) .

ولذلك عبر عن كذبهم في الآية الكريمة بصيغة المضارع بقوله : ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ دلالة على الاستمرارية والتجدد ، وعلى هذا يجب الحذر من الأحداث الذميمة فإنها تفسد الأخلاق الصالحة وتميت القلب ، ويزداد الفساد تمكناً في النفس البشرية (٥) .

المسألة الثالثة : اتهام أهل الباطل أهل الحق بعدم الصلاح :

- (1) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، ح (٣٣) ، ج ١ ، ص ١٦ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق ، ح (٥٩) ، ج ١ ، ص ٧٨ .
- (2) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٦٧٩ .
- (3) انظر المرجع السابق ، ص ١٦٧٩ .
- (4) نفس المرجع ، ص ١٦٨٠ .
- (5) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٠ ، ص ٢٧٣ .

بعد أن دعا الأنبياء أقوامهم إلى عبادة الله تعالى ووَجَّهُوا بِالصِّدْقِ
والتكذيب والافتراء بالإفساد في الأرض ، كما هو حال أمة محمد مع أعدائها ،
فالمسلمون متهمون بالإرهاب ، ليس ذلك لشيء إلا أنهم يقولون ربنا الله ،
ويريدون العزة للأمة المسلمة شأنهم شأن الأنبياء ، شأن المصلحين في كل
زمان ومكان .

والقرآن الكريم يبين لنا صوراً من هذه الاتهامات التي وجهت لأنبياء الله
وخاصة موسى - عليه السلام - مع فرعون ، ومع بني إسرائيل .

قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ
بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ
بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ
إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾
(القصص : ١٨-١٩) .

اتهم موسى - عليه السلام - بعدم الصلاح وذلك بسبب قتل
القبطي ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْمُصْلِحِينَ ﴾ "أي ما تريد يا موسى إلا أن تكون قتالاً بطاشاً ، مستعلياً كثير
الأذى ، دون أن تنظر في العواقب ، ولا تريد أن تكون من أهل الإصلاح الذين
يُفَصِّلُونَ فِي خُصُومَاتِ النَّاسِ بِالْحَسَنِيِّ ، والحكمة ، ولو كان أحد الخصوم من
ذوي القربى ، أو العشيرة الواحدة" (١) .

وهذا الاتهام ليس في مكانه لأن قتل موسى للقبطي كان عن طريق الخطأ
وليس قتلاً عمداً ، ثم ندم موسى - عليه السلام - على فعلته ، وعزاها إلى
الشيطان ، وغوايته ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾
(القصص : ١٥) ، وتوجه موسى إليه ربه بقلبه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ
لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (القصص : ١٦) ، ثم أخذ على نفسه عهداً أن
لا يكون ظهيراً للمجرمين ، ولا يقف في صفهم ، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ

(1) التفسير المنير للزحيلي ، ج ٢٠ ، ص ٧٦ .

أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿ (القصص: ١٧) ، فهو عهد منه ألا يقف في صف المجرمين حتى ولو كانت اندفاعاً تحت تأثير الغيظ ، ومرارة الظلم والبغي (١) ، فحينما يشتد الظلم ويفسد المجتمع ، وتختل الموازين ويخيم الظلام وتضيق النفس الطيبة بالظلم ، وتفسد الفطرة حتى ليرى الناس الظلم فلا يقفون في وجهه ، ولو بالإنكار القلبي ، بل يصل فساد الفطرة إلى حد إنكار الناس على المظلوم الذي يدفع عن نفسه ظلم غيره ، ويتهمون من يدافع عن نفسه أو عن غيره بالظلم والفساد - جباراً في الأرض - ويعتبرون الظلم ، والفساد ، والطغيان هو الأصل وهو الصلاح الذي تستقيم معه الأمور الدنيوية التي يسيرون عليها ، فإذا رأوا مظلوماً يدفع الظلم عن نفسه ، سموا هذا المظلوم سفاكاً ، أو جباراً ، وصبوا عليه لومهم ، ونقمتهم ، ولم ينل الظالم الطاغي من نقمتهم ولومهم إلا القليل ، ولم يجدوا للمظلوم عذراً (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَنُقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧) .

بعد انتصار موسى على فرعون في المباراة التي جرت بينه وبين السحرة وإيمان السحرة ، ظهر أمر موسى - عليه السلام - واتبعه بنو إسرائيل ، فخاف قوم فرعون من إيمان الناس بموسى ، وبما جاء به من الحق ، فقال قوم فرعون له على سبيل التحريض (٣) ﴿ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يفسدوا أهل رعيته ، ويدعونهم إلى عبادة ربهم ، فعندما سمع بنو إسرائيل التهديد ، خافوا من بطش وقتل فرعون ، وخاصة أن هذه المرة الثانية .

فقد نكل بهم قبل ولادة موسى - عليه السلام - حذراً من وجوده ، وهذه المرة الثانية التي أراد فيها قهر بني إسرائيل ، وإذلالهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد فقد نصرهم الله وأذل فرعون وأغرقه وجنوده (٤) .

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٦٨٢ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٦٨٣ .

(3) انظر أيسر التفاسير ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

(4) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٩ ، ص ٣٢ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٣٦٥ .

* فما وجه إقدامهم على الإنكار على فرعون مع عبادتهم له ؟

قيل : لأنهم رأوا منه خلاف عادته ، وعادة الملوك من السطوة بمن أظهر العناد وخالف ، وكان ذلك من لطف الله بموسى عليه السلام .
ثم إن فرعون عدل عن قتل موسى - عليه السلام - إلى قتل الأبناء ؛ لأنه علم أنه لا يقدر على قتل موسى إما لقوته ، وإما لتصوره أنه مصروف عن قتله فعدل إلى قتل الأبناء ، ليستأصل قوم موسى من بني إسرائيل فيضعف عن فرعون (١) .

فكان خطاب موسى - عليه السلام - لقومه بعد هذا التعب والتكيل من قبل فرعون حثهم على الصبر والاستعانة بالله ، وأن العاقبة لعباده المتقين (٢) .
قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨) .

فالإفساد في الأرض من وجهة نظر فرعون وقومه هو الدعوة إلى عبادة الله وحده ، حيث يترتب عليها تلقائياً بطلان شريعة حكم فرعون ونظامه كله ، إذ إن هذا النظام قائم على أساس حاكمة فرعون أو ألوهية فرعون لقومه .
فالإفساد في الأرض بزعمهم بقلب نظام الحكم وتغيير الأوضاع القائمة على عبودية البشر للبشر ، وإنشاء وضع آخر مخالف لهذه الأوضاع ، الألوهية فيه لله لا للبشر ، ومن ثم قرنوا الإفساد في الأرض بترك موسى وقومه لفرعون ولآلهته التي يعبدها هو وقومه (٣) .

المسألة الرابعة : أهل الكتاب وموقفهم من الإصلاح :

تمهيد :

كان لأهل الكتاب موقفهم المعادي لرسول الله ﷺ ولدعوته ، ذلك حسداً من عند أنفسهم ، مع العلم أن الله - عز وجل - أنزل في التوراة والإنجيل ذكر النبي محمد ﷺ وأوصافه ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي

(1) انظر النكت والعيون ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، ص ٣٦٥ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٣٥٤ .

يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿ (الأعراف: ١٥٧) ، وقال تعالى :
﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٦) .

أولاً : موقف اليهود من دعوة الإصلاح :

كان اليهود على علم بأنه سيبعث في آخر الزمان نبي من أهل الأرض ،
ومن صفات هذا النبي أنه سينشر العدل بين الناس ، وكان اليهود يتوعدون كفار
قريش بأنه سيبعث في آخر الزمان نبي منهم ، يحاربون به العرب ، ويقتلونهم
قتل عاد وإرم ، وعندما تبين أن النبي الذي بعث هو من العرب ، ناصبوه العدا
وأخذوا يشككون في دين الله ، وأن دين كفار قريش - عبدة الأصنام - أفضل من
دين الله الذي بعث به محمد ﷺ المذكورة أوصافه في التوراة والإنجيل .

وأخذ اليهود يمكرون للنبي ﷺ ، وأصحابه رضوان الله عليهم ، في أنهم
فكروا في قتله مرات عديدة ، وهذا العدا ليس خاصاً بالنبي ﷺ وصحابته ، بل
عداؤهم للإسلام والمسلمين قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حسداً من
عند أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٥٩) .

إنه الحسد الكامن في قلوبهم ، وهذا الحسد ليس بسبب أنهم مسلمون ،
ولكن الحسد من أجل أنهم يؤمنون بالله ، وما أنزله الله إليهم من قرآن ،
وما صدق عليه قرآنهم مما أنزله الله من قبل من كتب أهل الكتاب ، وأنهم ليسوا
يهوداً ولا نصارى ، فأهل الكتاب فاسقون منحرفون عما أنزل إليهم ، لأنهم
لا يؤمنون برسالة النبي ﷺ ، فهي مصدقة لما بين أيديهم .

فهم يشنون الحرب على المسلمين ليحرفوهم عن دينهم الحق
والصواب ويجعلوهم غير مسلمين^(١) ، وقد بين - سبحانه وتعالى - هذه
الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ
مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٠) .

إن فساد اليهود نوعان : فساد في الاعتقاد ، وفساد في السلوك .

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٩٢٤ .

الأول : فساد اليهود الاعتقادي :

لقد استقبل اليهود رسول الله ﷺ في المدينة شر ما يستقبل أهل دين سماوي رسولاً يعرفونه ، ودينياً يعرفون أنه الحق ، فقد استقبلوه بالطعن في القرآن ، وإلقاء الشبه ، وأن دين قريش أفضل من دين الله (١) .

وقد بين لنا - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم حقيقة اليهود وما هم عليه من الشرك ومن فساد في الاعتقاد ، وتحريف وقتل للأنبياء ، وجحد للقرآن وإظهار الإيمان ثم الردة ، ليصرفوا الناس عن هذا الدين ، والقرآن الكريم مليء بالتماذج التي بينت لنا حقيقة فساد اليهود منها :

١ - الشرك في عقيدة اليهود :

يبين - سبحانه وتعالى - للنبي ﷺ وللمسلمين من بعده ضلال اليهود العقدي ، وأنهم لم يستقيموا على العقيدة الصحيحة التي جاءهم بها موسى عليه السلام ، فقد ادَّعوا النبوة لله تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وانحرفهم عن منهج أنبيائهم عليهم السلام ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣٠) .

٢ - كفرهم بالقرآن الكريم وإنكار نبوة النبي ﷺ :

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بَسْمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (البقرة : ٨٩-٩٠) .

٣ - إظهار الإيمان ثم الردة :

ليفتتوا المؤمنین عن دينهم ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٢) .

(1) انظر المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٢٧ .

٤ - الصد عن دين الله وعن دعوة النبي ﷺ :

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٩) .

٥ - تحريف الكتب المنزلة عليهم :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَهَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء : ٤٤-٤٦) .

ومن خلال هذا العرض الموجز للآيات يتبين مدى مكر اليهود للنبي ﷺ سواء كان ذلك المكر بالتكذيب ، أو بصد الناس عن هذا الحق الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله ، أو بالاستكبار والعلو ، أو بطلب المعجزات التي تشهد بصدقه ﷺ ، أو كان ذلك بالإيمان ثم الردة بقصد الطعن في هذا الدين الذي يعرفون أنه هو الحق ، وأنه امتداد لدين الله الذي أنزله - سبحانه وتعالى - على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

* ورد في سبب نزول هذه الآية روايتان :

الرواية الأولى :

"عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظمائهم - يعني عظماء اليهود - إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال : راعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ، ثم طعن في الإسلام وعابه ، فأنزل الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَهَ ﴾ (النساء: ٤٤) إلى قوله : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ " (النساء: ٤٦) (١) .

الرواية الثانية :

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ١٥٦ .

"خرج كعب بن الأشرف - أحد أحرار اليهود - في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ، ليحالفوا قريشاً على غدر رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فنزل كعب على أبي سفيان ، ونزلت اليهود في دور قريش فقال أبو سفيان لكعب : إنك امرؤ تقرأ وتعلم ، ونحن لا نعلم فأينا أهدى طريقاً ، وأقرب إلى الحق ؟ نحن أم محمد ؟ فقال كعب : أعرضوا علي دينكم ، فقال أبو سفيان : نحن ننحر للحجيج الكوماء (الناقاة الضخمة السنام) ونسقيهم الماء ، ونقري الضيف ، ونفك العاني "الأسير" ، ونصل الرحم ، ونعمر بيت ربنا ونطوف به ، ونحن أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم ، وفارق الحرم ، وديننا القديم ودين محمد الحديث ، فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلاً مما هو عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ (النساء : ٤٤) ، يعني كعباً وأصحابه" (١) .

يتبين من خلال سبب النزول إنكار اليهود للحق الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله - سبحانه وتعالى - ومدى كيدهم لدين الله ، لذلك يبين الله - عز وجل - حال اليهود ، وما هم عليه من التحريف والتزيين والتضليل ، لما أنزل الله عليه من الكتاب مع علمهم بصفات النبي ﷺ ، وذلك ليشتروا بما اصطنعوه من الطقوس والرسوم الدينية ثمناً قليلاً من حطام الدنيا ، والهدف من ذلك إضلالكم أيها المؤمنون عن الطريق المستقيم ، فتكفرون بما أنزل عليكم ، وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع (٢) .

"وإنما عني الله بوصفهم باشترائهم الضلالة مقامهم على التكذيب بمحمد ﷺ وتركهم الإيمان به ، وهم عالمون أن السبيل الحق الإيمان به وتصديقه بما قد وجدوا من صفته التي عندهم" (٣) .

"وموضع الغرابة ليس هو وصفهم ، وإن كان في حد ذاته أمراً غريباً ، إنما موضع الغرابة أنهم يبتغون الضلالة ويطلبونها ولو دفعوا فيها أغلى الأثمان ،

(1) التفسير المنير ، ج ٥ ، ص ٩٥ .

(2) انظر المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٩٦ .

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ١٥٦ .

وهو الهدى ولا يطلبونها لأنفسهم ، بل يريدون أن يكون غيرهم مثلهم في ضلالهم ولذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (النساء: ٤٤) أي ابتعدوا عن الطريق المستقيم الذي هو صراط الله تعالى الذي قال فيه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام: ١٥٣) (١) .

ملحوظة أولى : ذكروا في هذه الآية الضلالة ، ولم يذكروا الهدى ، وهذا يدل على أنهم يطلبون الضلالة في ذاتها ، فالبعد عن الحق مطلب لهم وغاية ؛ لأنهم مردوا على الباطل ولا يبتغون سواه .

ملحوظة ثانية : وفي قوله : "ويريدون" بالياء التحتية دليل على أن اليهود يشترون الضلالة لا عن جهل وعماية بل عن قصد وإرادة ، وذلك شرٌّ ما تبلى به النفس .

والله يحذر المؤمنين من اليهود ويأمرهم بأن يبتعدوا عن طريقهم لأنهم يبتغون الضلالة لأنفسهم وللمؤمنين ، فقد بين الله تعالى أنهم أعداء المؤمنين "والله أعلم بأعدائكم" أي أن الله أعلم منكم أيها المؤمنون لأنكم تعلمون ما يريدون من أفعال ، وما يظهر على ألسنتهم ، والله - عز وجل - يعلم ما تخفى الصدور (٢) وهو الذي يرشدكم إلى ما فيه خيركم وفلاحكم ، وهو الذي ينصركم على أعدائكم بتوفيقكم لصالح العمل ، والهداية لأسباب النصر ، فيحذر الله عباده المؤمنين أن يستتصخوا أحداً من أعداء الإسلام في شيء من أمر دينهم ، أو أن يسمعوا شيئاً من طعنهم في الحق ، فالله أعلم منكم أيها المؤمنون بما هم عليه من الغش والعداوة والحسد (٣) .

إن اليهود يؤولون التوراة بغير المقصود منها ، قال تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (النساء: ٤٦) .

(1) زهرة التفاسير للإمام أبو زهرة ، بتصريف يسير ، ج ٤ ، ص ١٦٩٨ .

(2) زهرة التفاسير للإمام أبو زهرة ، بتصريف يسير ، ج ٤ ، ص ١٦٩٩-١٧٠٠ .

(3) انظر تنوير الأذهان للبروسني ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

إن المقصود من هذا التأويل هو نفي الأدلة التي تثبت رسالة النبي ﷺ وما فيها من أحكام وتشريعات يصدقها القرآن الكريم وتدل وحدتها في التوراة والإنجيل على المصدر الواحد ، وما فيها من صحة رسالة النبي ﷺ .

إن اليهود يحرفون الكلم ليوافق أهواءهم ، وهذه الظاهرة ملحوظة في كل رجال الدين اليهود ، فهم يتخذونه حرفة وصناعة ، حتى يوافقوا بها أهواء السلاطين والجماهير ، التي تريد التقلت من الدين ، وإن كان في زماننا هذا من محترفي دين المسلمين ، من ينافسون اليهود في هذه الخصلة (١) .

لقد بين لنا - سبحانه وتعالى - خطر اليهود وما يضمرونه للمسلمين في صدورهم من غل وحسد حتى نتقي خطرهم ، ومن شدة عداوة اليهود للمسلمين لم يؤمن من أحبارهم إلا القليل .

قال ﷺ : "لو آمن بي واتبعني وصدقني عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلا اتبعني" (٢) .

إنه الحسد الكامن في القلوب ، قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٩) .

سبب النزول :

"قال ابن عباس : نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا إلى ما أصابكم ، ولو كنتم على الحق ما هزمتم ، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم" (٣) .

لقد بين الله - عز وجل - مكر اليهود ودسائسهم وكيدهم للمسلمين ، وحذر المسلمين من ألعابهم ، وحيلهم ، وكيدهم حيث تمنى كثير من اليهود أن

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٦٧٥ ، التفسير المنير ، ج ٥ ، ص ٩٦-٩٧ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الصحابة ، باب إثبات اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة ، ح (٣٩٤١) ، ج ٤ ، ص ٣٢٤ .

(3) التفسير المنير ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

يصرفوا المسلمين عن دينهم ، وأن يعودوا كفاراً بعد أن كانوا مؤمنين حسداً لهم ، وذلك عن طريق تشكيكهم في دينهم ، وإلقاء الشبه عليهم ، وسبب ذلك الحقد هو ما ظهر لهم بالدليل الواضح أن الإسلام دين الحق الصحيح ، وأن محمداً على الحق (١) .

الثاني : فساد اليهود السلوكي :

أما فساد اليهود في السلوك فقد شهد التاريخ نقض اليهود لعهودهم مرة بعد مرة ، وتحرشهم بالمسلمين مما أدى إلى وقائع بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة ، وخيبر ، كما شهد تأليب اليهود للمشركين في الأحزاب .

ثم تابع اليهود كيدهم للإسلام وأهله منذ ذلك التاريخ ، فكانوا عناصر أساسية في إثارة الفتنة الكبرى التي قتل فيها الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وكانوا رأس الفتنة فيما وقع بين علي - رضي الله عنه - ومعاوية - رضي الله عنه - ، وقادوا حملة الوضع في الحديث والسيرة وروايات التفسير ، وكانوا الممهدين لحملة التتار على بغداد ، وتقويض الخلافة الإسلامية ، أما في التاريخ الحديث فهم وراء كل كارثة حلت بالمسلمين في كل مكان على وجه الأرض ، وهم وراء كل محاولة لسحق طلائع البعث الإسلامي في أرجاء العالم الإسلامي (٢) .

لقد كفر اليهود بآيات الله بغياً ولم يقتصروا على ذلك بل حرصوا على إشعال نار الفتنة بين المسلمين ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٨-٩٩) .

سبب النزول :

-
- (1) انظر التفسير الواضح ، ج ١ ، ص ٦٢ .
(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٦٢٨ .

"مر شأس بن قيس وكان شيخاً قد عسا⁽¹⁾ في الجاهلية عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، فمر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاضه ما رأى من جماعتهم ، وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملاً بني قبيلة بهذه البلاد ، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر فتى شاباً من اليهود وكان معه فقال : اعد إليهم ، فاجلس معهم وذكرهم يوم بعث ، وما كان قبله ، أنشدهم بعض ما كانوا تقولوا فيه من الأشعار ، وكان يوم بعث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب : أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس ، وجبار بن صخر ، أحد بني سلمة من الخزرج ، فتناولوا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتُم والله رددناها الآن جَذَعَةً⁽²⁾ ! وغضب الفريقان وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح ! موعدكم الظاهرة والظاهرة : الحرّة - فخرجوا إليها ، وتحاوز الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعوام التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين الله الله ، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستتقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس وما صنع ، فأنزل الله في شأس بن قيس وما صنع (الآيتين) .

(1) عسا بمعنى ولّى وكبر وظلم ، انظر الصحاح ، إسماعيل الجوهري ، ج ٦ ، ص ٢٤٢٥ .

(2) جذعة : بمعنى الصغير السن من الإبل والبقر والخيل والشاه ، انظر لسان العرب لابن منظور ، ج ٨ ،

وأنزل الله - عز وجل - في أوس بن قيثي ، وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس بن قيس من أمر الجاهلية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

ختم الله - سبحانه وتعالى - الآية الأولى بقوله : ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي أن الكفر فيها ظاهر ومشهود ، فأنتم شهداء أن دين الله الذي لا يقبل الله غيره هو الإسلام ، وشهداء على ظهور المعجزات ، وشهداء على أنه لا يجوز الصد عن سبيل الله ، وشهداء بين أهل دينكم عدول يتقون بأقوالكم ، ويعولون على شهادتكم في عظام الأمور ، وهم الأحبار ، فكيف يليق بكم الإصرار على الباطل ، والكذب والضلال والإضلال (٢) .

وختم الآية الثانية بقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فصد اليهود عن الإسلام كان عن طريق المكر والاحتيال ، وفي هاتين الآيتين لون من ألوان التعنيف ، والتوبيخ من الله تعالى بلطف ولين لأهل الكتاب ، على عنادهم للحق ، وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله (٣) .

إن ما قام به شأس بن قيس هو الوجه الحقيقي للحقد اليهودي ضد الإسلام والمسلمين ، بل إن هذا الوجه لليهود ليس خاصاً بشأس بن قيس ، بل هو عام لجميع اليهود إلى قيام الساعة .

لقد أحيى اليهود في هذا الزمان ذكر شأس بن قيس بعد ألف وأربعمائة سنة ونيف ، فهناك حزب يهودي يسمى حزب شاس على نفس المنهج الذي سار عليه شاس من تأليب المسلمين بعضهم على بعض ، وشأس اليوم يقوم بقتل المسلمين وسفك دمائهم ، رجالاً ونساءً وأطفالاً حتى الحجارة والأشجار لم تسلم منهم .

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٤ ، ص ٣٣ .

(2) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج ٨ ، ص ١٣٨ .

(3) انظر التفسير المنير ، ج ٤ ، ص ٢٣-٢٤ .

ولقد صورت لنا سورة الحشر كيف كانت مشاققة بني النضير ، ونقضهم للعهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ وما أوقعه - سبحانه وتعالى - ببني النضير من إخراجهم من ديارهم ، وتخريب بيوتهم ، فكان ذلك بسبب مشاققتهم لله ورسوله ، والمشاققة من أعظم أسباب الهلاك ^(١) ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ (الحشر : ٢-٤) .

ثانياً : موقف النصارى من دعوة الإصلاح :

لقد كان للنصارى مواقف سيئة ، ومواقف حسنة من دعوة رسول الله ﷺ ، ولقد أخبرنا سبحانه وتعالى عن موقف النصارى الإيجابي عندما عرضت عليهم دعوة رسول الله ﷺ أمثال النجاشي ، قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (المائدة ٨٢-٨٥) .

سبب النزول :

(1) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج ٨ ، ص ٣٩ .

"بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري^(١) ، وكتب معه كتاباً إلى النجاشي فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ، ثم دعا جعفر بن أبي طالب^(٢) والمهاجرين معه ، فقرأ عليهم سورة مريم فأمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع ، فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ ولتجدن أقربهم مودة ﴾ إلى قوله : ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾"^(٣) .

لقد كان في نصارى الحبشة مودة ورحمة ورأفة للإسلام وأهله ، وقد رأى النبي ﷺ فيهم خيراً ، فتلقى نصارى الحبشة المؤمنين المهاجرين بالحماية والتكريم من مشركي مكة ، وأسلم النجاشي مع بطانته ، ولما مات صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب ورد هرقل ملك الروم النصارى كتاب النبي ﷺ رداً حسناً بعد أن حاول إقناع رعيته بقبول الإسلام ، وكان المقوقس عظيم القبط في مصر أفضل من هرقل ، فأرسل هدية إلى النبي ﷺ وبعد فتح مصر والشام أسلم كثير من النصارى في تلك البلاد لما رأوا في الإسلام من مزايا^(٤) .

أما عن مواقف النصارى السيئة ، فقد أخبرنا الله - سبحانه وتعالى - بأن النصارى كان لديهم فساد اعتقادي وفساد سلوكي أخلاقي .
وسيقوم الباحث ببيان الفساد الاعتقادي والسلوكي للنصارى .

الأول : فساد النصارى الاعتقادي :

لقد بين رسول الله ﷺ بطلان ما عليه أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - فيما زعموه على رب العزة ، فقالت النصارى إن عيسى ابن الله ، وقالوا إن الله ثالث ثلاثة ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

(1) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله أبو أمية الضمري صحابي مشهور أول مشاهده بئر معونة ، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٤٩٩٠ ، ص ٤١٨ .

(2) جعفر بن أبي طالب الهاشمي ذو الجناحين ، الصحابي الجليل ابن عم رسول الله ﷺ ، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة ، تقريب التهذيب ، ترجمة ٩٤٣ ، ص ١٤٠ .

(3) التفسير المنير ، ج٧ ، ص ٦ ، انظر فتح القدير ، ج٢ ، ص ٨٦-٨٧ .

(4) انظر التفسير المنير ، ج٧ ، ص ٩ .

ابْنُ مَرْيَمَ ﴿ (المائدة : ٧٢) ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ (المائدة : ٧٣) .

والله - سبحانه وتعالى - يدحض هذا الزعم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران : ٥٩-٦١) .

فكما أن الله - عز وجل - خلق آدم - عليه السلام - من تراب من غير أب أو أم ، كذلك خلق عيسى - عليه السلام - من غير أب كخلق آدم عليه السلام .

سبب النزول :

"نزلت في نصارى نجران ، وذلك أنهم قالوا إنما نعظم المسيح ونعبده حباً لله ، وتعظيماً له فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (آل عمران : ٥٩) .

قال المفسرون : أن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ : مالك تشتم صاحبنا ، قال : وما أقول ، قالوا : تقول : إنه عبد الله ، قال : أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول ، فغضبوا وقالوا : هل رأيت إنساناً قط من غير أب ، فإن كنت صادقاً ، فأرنا مثله ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية" (١) .

لقد دعا النبي ﷺ أهل نجران إلى الإسلام ، فأبوا عليه ، بل كانوا يمارون ويجادلون في عيسى عليه السلام ، ويقولون إنه ابن الله ، فالنبي ﷺ كان يقول : "ليت بيني وبين أهل نجران حجاباً فلا أراهم ولا يروني" من شدة ما لاقى منهم فرضوا بالمصالحة ، والتزموا بأداء الجزية للمسلمين والبقاء على دينهم الباطل ، ثم بين - عز وجل - بعد ذلك أن الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق ، وأنه عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ،

(1) أسباب النزول للواحي النيسابوري ، ص ٨٩ .

وأنة لا معبود بحق إلا الله ، ثم توعد نصارى نجران وغيرهم من أهل الفساد في الأرض بأنه سيحل عليهم نقمته ، وينزل عليهم لعنته ، وهو على كل شيء قدير (١) .

لقد دعا النبي ﷺ أهل الكتاب إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الموجود عندهم في التوراة والإنجيل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٦٤) .

هذا خطاب عام لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بأن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً ، لا وثناً ، ولا صليباً ، ولا صنماً ، ولا طاغوتاً ، ولا ناراً ، ولا شيئاً ، بل لا بد أن تفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع الأنبياء والرسل وأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، أي لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله ، ولا يسجد بعضنا لبعض ، فإن تولوا عن هذه الدعوة فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، أي فاشهدوا على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم (٢) .

عن عدي بن حاتم (٣) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قال : إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه (٤) .

"إن هذا الكون لا يستقيم أمره ، ولا يصلح حاله إلا أن يكون هناك إله واحد يدبر أمره ، قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) .

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٣ ، ص ٣٨١ ، أيسر التفاسير ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

(2) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٨٢-٨٣ .

(3) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، صحابي مشهور ، حضر فتوح العراق وحروب علي ، توفي سنة ثمان وستين هجري ، تقريب التهذيب ، ترجمة ٤٥٤٠ ، ص ٣٨٨ .

(4) أخرجه الترمذي في سننه ، وقال هذا حديث غريب ، كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة التوبة ، ح (٣٠٩٥) ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .

وأظهر خصائص الألوهية بالقياس إلى البشرية ، تعبيد العبيد ، والتشريع لهم في حياتهم ، وإقامة الموازين لهم ، فمن ادعى لنفسه شيئاً من هذا كله فقد ادعى لنفسه أظهر خصائص الألوهية ، وأقام لنفسه إلهاً من دون الله" (١) .

الثاني : فساد النصارى السلوكي :

لقد كان بين الرومان والفرس عداوات امتدت قروناً ، ولكن ما إن ظهر الإسلام في الجزيرة ، وأحست الكنيسة بخطورة هذا الدين الحق ، حتى رأينا الرومان والفرس ينسون ما بينهم من نزاعات تاريخية قديمة ، وعداوات وثرارات عميقة ، ليواجهوا هذا الدين الجديد .

لقد أخذ الروم يكيّدون للمسلمين ويتجمعون لهم ، هم وعمالهم من الغساسنة لينقضوا على هذا الدين ، وذلك بعد أن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله ﷺ ، فالمسلمون كانوا يُؤمّنون الرسل ، ولكن النصارى غدروا برسول النبي ﷺ وقتلوه ، مما جعل النبي ﷺ يبعث لهم بجيش الأمراء الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة ، ثم كانت غزوة تبوك ، ثم جيش أسامة بن زيد الذي أعده رسول الله ﷺ قبيل وفاته ، ثم أنفذه أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاته ﷺ إلى أطراف الشام لمواجهة تجمعات الرومان التي تستهدف القضاء على هذا الدين ، ثم جاءت موقعة اليرموك التي أعقبها انطلاق الإسلام إلى تحرير المستعمرات الإمبراطورية الرومانية في الشام ومصر وشمال أفريقيا ، وجزر البحر الأبيض ، ثم بناء القاعدة الإسلامية في الأندلس .

ولم تتوقف الحملات الصليبية على المسلمين ، بل ارتكبت أبشع الجرائم في الأندلس وفي تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم ، ولم تراع فيهم إلّا ولا ذمة (٢) .
إن هذه الحروب الصليبية لم تتوقف حتى هذه اللحظة ، فالنصارى اليوم بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية تشن حملتها المسعورة على الديار الإسلامية

(1) في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(2) انظر المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٢٨-١٦٢٩ .

والمسلمين ، تقتل الرجال والشيوخ والنساء والأطفال تحت شعار محاربة الإرهاب ، وترتكب الجرائم على مرأى ومسمع من العالم في أفغانستان ، وفي العراق وفي فلسطين وبموافقة من الزعامات العربية ، وليتها تتوقف عند التأييد بل تعدى هذا الأمر إلى مشاركتهم في القتال بدون أدنى ورع .

إن هذه الحروب التي تشنها الولايات المتحدة هي امتداد للحروب الصليبية فقد أعلنها رئيسهم بأنها حرب صليبية ، ولكن هل من صحة لهذا الخطر الداهم على ديار المسلمين .

المسألة الخامسة : المشركون وموقفهم من دعوة الإصلاح :

بعث - سبحانه وتعالى - النبي ﷺ عندما عمَّ الفساد في الأرض ، وانتشرت المعاصي ، وكثر الظلم بين العباد ، القوي يقتل الضعيف يسلبه حقه ، إلى أن بعث الله عز وجل النبي ﷺ .

فما إن ولد النبي ﷺ حتى عمت البلاد الخير والنور والبركة ، ابتداءً من ديار حليلة السعدية ، ومروراً بحل النزاع بين كفار قريش ، ووضع الحجر الأسود في موضعه بيده الشريفة إلى مبعثه ﷺ ، وهو المشهور بالصادق الأمين بين كفار قريش ، فعندما وجه - سبحانه وتعالى - الخطاب له أن يجهر بالدعوة بقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (الحجر: ٩٤) استجاب ﷺ لتنفيذ أمر ربه ، بأن سعد على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر ، يا بني عدي حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فقال النبي ﷺ : أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً قال : فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (١) (المسد: ١) .

(1) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، ح (٤٩٧١) ، ج ٦ ، ص ١١٤ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، ح (٢٠٨) ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

منذ هذه اللحظة التي جهر فيها رسول الله ﷺ بالدعوة كانت ردة الفعل من قريش أن أدبروا عنه ، وتتكروا لدعوته ، معتذرين بأنهم لا يستطيعون أن يتركوا الدين الذي ورثوه عن آبائهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآيَظْمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٤) .

فلما عاب آلهتهم وسفه أحلامهم الموروثة عن آبائهم وأجدادهم دون تفكير في مدى صلاحها أو فسادها ، واتهام آبائهم بعدم العقل ، أعظموا الأمر ، وأجمعوا على الصد لهذا الأمر ، وتتكبوا دعوته ، وأخذوا يكيّدون له ﷺ ، ويمكرون به ليلاً ونهاراً^(١) .

منذ هذه اللحظة التي جهر رسول الله ﷺ بها بالدعوة ، ومعاداة قريش تشتد عليه ﷺ فأخذوا يعذبونه بالضرب والسب والشتم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ وقال : أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله^(٢) .

وعن عبد الله بن عمر قال : "بينما النبي ﷺ ساجد ، وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة رضي الله عنها فأخذته من ظهره ، ودعت على من صنع ذلك"^(٣) .

وهذا الإيذاء لم يكن خاصاً بالنبي ﷺ بل تعداه إلى صحابته الكرام رضي الله عنهم جميعاً "فهذا بلال بن رباح كان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرجها إذا حميت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة ،

(1) انظر فقه السيرة للبوطي ، ص ٧٩-٨٠ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، ح (٣٨٥٦) ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين ، ح (٣٨٥٤) ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .

فتوضع على صدره ، ثم يقول له : والله لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر
بمحمد ﷺ وتعبد اللات والعزى ، وهو يقول : أحد أحد" (١) .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة
ويعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم النبي ﷺ ويقول لهم : صبراً آل ياسر إن
موعدكم الجنة ، فكانت أول شهيدة في الإسلام ، أم عمار سمية طعنها أبو جهل
بحربة (٢) في قلبها (٣) .

اشتد إيذاء كفار قريش لرسول الله ﷺ ولصحابته رضوان الله عليهم
حتى ضاق الصحابة ذرعاً لما يحدث لهم من التعذيب والتكيل ، فجاء
خباب بن الأرت رضي الله عنه فقال : أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة
وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : يا رسول الله ،
ألا تدعو لنا ؟ فقعد وهو محمر الوجه ، فقال : لقد كان من قبلكم
ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن
دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت
لا يخاف إلا الله (٤) .

لقد وجه رسول الله ﷺ الصحابة إلى تحمل الأذى وذكرهم أن كل
ما أصابهم لا يعد تعذيباً بالنسبة لمن سبقهم من المؤمنين ، فلا بد من الصبر حتى
يأتي الفرج من عند الله سبحانه وتعالى .

لقد استعملت قريش وسائل كثيرة من أجل إيقاف النبي ﷺ عن دعوته ،
غير أن هذه الوسائل من تكذيب وتعذيب وحصار اقتصادي لم تفلح ، ولذلك رأت
قريش أن تسلك الطرق الدبلوماسية فبعثت إلى النبي ﷺ سفيراً لها تعرض عليه
أموراً لعله يقبل بها أو بأحدها .

(1) البداية والنهاية لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٦٤ .

(2) ذكرت بعض كتب السيرة أن أبا جهل طعنها بحربة في قلبها ، انظر هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب ، ص ٨٩ .

(3) انظر البداية والنهاية لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٦٥ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ،

ح (٣٨٥٢) ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .

"إن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ الله جالس وحده ، يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به ألهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع" قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا ؛ حتى تكون أكثرنا أموالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً ، سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال : "أفرغت يا أبا الوليد؟" قال : نعم ، قال : "فاستمع مني" ، قال : أفعل ، قال "بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم * تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (فصلت : ٤-١) ، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرأها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ، ثم قال : "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذلك" فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : أقسم - يحلف بالله - لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي اني قد سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسر ، ولا بالشعر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني ،

واجعلوها بي ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم" (١) .

وفي رواية أخرى "عندما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (فصلت : ١٣) ، فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قريش ، واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد ، وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : يا عتبة ، ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك طعامه ، فإن كانت لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة ، وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً ، وقال : والله لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيت ، وقصصت عليه فأجابني بشيء ، والله ما هو بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر ، وقرأ السورة إلى قوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب" (٢) .

وعندما عجز كفار قريش من صد النبي ﷺ عن دينه فكروا في قتله وصور لنا القرآن الكريم هذا المشهد تصويراً دقيقاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠) .

"إن نفراً من قريش من أشرف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح

(1) تفسير ابن كثير ، ج ١٢ ، ص ٢١٧-٢١٨ .

(2) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

قالوا : أجل أدخل ! فدخل معهم فقال : انظر في شأن هذا الرجل ، والله ليوشكن أن يوائبكم في أموركم بأمره ! قال : فقال قائل : احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون ، فصرخ عدو الله الشيخ النجدي ، فقال : والله ما هذا لكم رأي والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذه من أيديكم فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم ! قالوا : فانظروا في غير هذا ، قال : فقال قائل : أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره في غيركم ! فقال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ، لتجتمعن عليكم ، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ، ويقتل أشرافكم ! قالوا : صدق والله ، فانظروا رأياً غير هذا ! قال : فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ، ما أرى غيره . قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاماً وسطاً شاباً ، نهذاً ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها ، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل ، واسترحنا ، وقطعنا عنا أذاه ، فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأي ، القول ما قال الفتى ، لا أرى غيره . قال : فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له . قال : فأتى جبريل النبي ﷺ ، فأمره أن لا يبیت في مضجعه الذي كان يبیت فيه تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة "الأنفال" يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠) .

وأنزل في قولهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾ (الطور: ٣٠) ، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ، وكان يسمى ذلك اليوم "يوم الزحمة" للذي اجتمعوا عليه من الرأي" (١) .

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج ٩ ، ص ٢٨٤ .

وبعد هذا العرض الموجز لبعض ما تعرض له النبي ﷺ ولصحابته من صد المشركين لدعوة الصلاح التي نشرها في جزيرة العرب ، بداية بقريش ، أخذوا يستعملون معه طرقاً أخرى ، وذلك بالطعن في القرآن ، وإنكار البعث والحساب ، والجزاء ، وأن هذا القرآن إنما يعلمه بشر ، وأضغاث أحلام وأنه أساطير الأولين اكتتبها ، وغيرها .

وهذه بعض النماذج من القرآن الكريم التي تدل على ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت: ٢٦) .

كان النبي ﷺ يجهر بقراءة القرآن ، فكان ذلك يغيظ زعماء مكة الذين صدوا الناس عن دين الله ، فكانوا يقولون : "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه" بالتصفيق والتصفير ، وإنشاد الشعر ، وكان أبو جهل يقول : إذا قرأ محمد القرآن فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول (١) .

وهذه الآية ليست خاصة بكفار قريش ، بل تتعداهم إلى دعاة الضلال في كل زمان الذين يقفون في وجه الدعاة ، والناطقين بالحق والحجة بما يستطيعون من ترهيب وترغيب ولا يدعون الناس يتجادلون بالحجة والبرهان (٢) . وقد ورد في الصحيح : "أنهم قالوا لما استمعوا إلى قراءة أبي بكر وكان رفيق القراءة ، إنا نخاف أن يفتن أبناءنا ونساءنا" (٣) .

وكان المشركون يطالبون النبي ﷺ أن يأتي لهم بقرآن غير هذا ، أو بتبديل بعض آيات القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس: ١٥) .

(1) انظر التفسير المنير ، ج ٢٤ ، ص ٢١٨ ، التحرير والتنوير ، ج ٢٤ ، ص ٢٧٧ .

(2) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٤ ، ص ٢٧٧ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الكفالة ، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده ، ح (٢٢٩٧) ، ج ٣ ، ص ٨٠ .

إن مقصد الكفار من هذه المساومة ، هو إبطال دعواه ﷺ أن القرآن كلام الله (١) ، ووصفهم سبحانه وتعالى "بأنهم لا يرجون لقاءنا" أي أنهم مكذبون بالحشر والنشر ومنكرون للبعث والقيامة (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء : ٤٩-٥٢) .

إن قضية البعث مثار جدل طويل بين النبي ﷺ والمشركين ، ولقد عرض القرآن العديد من الآيات لإثبات هذه القضية وهي أبسط من خلق الإنسان من حديد ، ولكن المشركين لم يتصوروا بساطة هذه القضية ، فكيف يتصوروا البعث بعد أن يبلى ويفنى جسم الإنسان ﴿ وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ فالمشركون لم يتدبروا كيف أنشأهم الله النشأة الأولى ولم يكونوا من قبل شيئاً مذكوراً ، فلا شيء أمام القدرة الإلهية أعسر من شيء ، فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .

فالرد من الله على ذلك التعجب ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ فالعظام والرفات فيها رائحة البشرية ، وفيها ذكر الحياة بينما الحديد والحجارة أبعد عن الحياة فيقال لهم كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر بعيداً عن الحياة من الحجارة ، والحديد مما يكبر في صدوركم أن تتصوروه وقد نفخت فيه الحياة ، فسيبعثكم الله ، وهم لا يملكون أن يكونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر ولكنه قول للتحدي (٣) .

ويبين - سبحانه وتعالى - أنكم لو كنتم أيها الكفار الموت لأمتكم ، فإن الله عز وجل يجيء بالموت يوم القيامة ، وقد صار أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار

(1) انظر التفسير المنير ، ج ١١ ، ص ١٢٨ .

(٢) انظر التفسير الكبير ، ج ١٧ ، ص ٤٥ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٢٣٣ ، التفسير المنير ، ج ١٥ ، ص ٩٤ .

في النار كأنه كبش أملح ، فيقف بين الجنة والنار ، فينادي أهل الجنة وأهل النار هذا الموت ونحن ذابحوه ، فأيقنوا بالخلود ، فكيف بمن ينكر البعث في الدنيا وأنه لا يجمع عظامه بعد أن صار تراباً ، فإنه من قدر على ذلك ، هو قادر على أن يميئكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقاً جديداً (١) .

فمن أنكر البعث وأنكر يوم القيامة ، فإنه سيحشر في هذا اليوم أعمى لقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (طه : ١٢٥-١٢٦) ، فهم يحشرون زرق العينين لهول المشهد العظيم في ذلك اليوم حتى إنهم ليقولون إن لبثنا إلا عشرة أيام أو يوماً واحداً .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْئَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ (طه : ١٠٢-١٠٤) .

ومن الشواهد القرآنية على طعن المشركين في النبي ﷺ وفي القرآن المنزل عليه ، قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (الفرقان : ٧-٨) .

ولقد تمادى المشركون في جحودهم وصددهم فطلبوا من رسول الله المعجزات المادية ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَسِفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء : ٩٠-٩٣) ، كما اتهم المشركون رسول الله ﷺ بالسحر والشعر والكهانة ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٠) ،

(1) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج ١٥ ، ص ١٢٣ .

وقال تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (ص:٤) ، وقال تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ (يونس:٢) .

فالله - سبحانه وتعالى - يدحض افتراءات المشركين بأنه ليس بساحر ولا كاهن ولا شاعر فضلال الكهنة والشعراء معروف لما فيه من افتراءات وقلب للحقائق عن وجهتها الحقيقية .

قال تعالى : ﴿ هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ * تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢١-٢٢٦) .

واتخذ كفار قريش منهجاً في طعنهم في القرآن الكريم وذلك بوصفه أنه شعر وأن رسول الله ﷺ شاعر ، فجاء القرآن ليبين لهم أن منهج النبي ﷺ ومنهج القرآن غير منهج الشعراء ، ومنهج الشعر أصلاً ، فالنبي ﷺ لا يقول اليوم قولاً ينقضه غداً ، ولا يتبع أهواء وانفعالات متقلبة ، إنما يصر على الدعوة ويثبت على العقيدة ، فيتبع المنهج الذي لا عوج فيه ، أما الشعراء فليسوا كذلك ، فهم أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة ، تتحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت فهم تبعاً لأمزجتهم وأهوائهم ، ومن ثم يتبعهم الغاؤون الهائمون مع الهوى الذين لا منهج لهم ولا هدف (١) .

وزعم المشركون أن محمداً إنما تلقى القرآن على يد معلم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال: ٣١) .

"إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث لعنه الله كما قد نص على ذلك سعيد ابن جبير ، والسدي ، وابن جريج ، وغيرهم فإنه لعنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم رستم واسفنديار ، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٦٢١ .

قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان إذا قام ﷺ من مجلس ، جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك ، ثم يقول : بالله أينما أحسن قصصاً : أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ، ووقع في الأسارى أمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبتَه صبراً^(١) بين يديه ففعل ذلك والله الحمد"^(٢) .

ورغم هذا الصد والكيد الكبير الذي حدث من المشركين للإسلام والمسلمين فإن الله سبحانه وتعالى نشر دعوته حتى عمَّ الخير البلاد والعباد ، ولم يبق بيت في شبه الجزيرة العربية إلا ودخله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل .

المسألة السادسة : التفريق بين المصلحين والمفسدين سنة إلهية :

إن من حكمة الله تعالى في هذا الكون أنه وضع ميزاناً يحاسب عليه العباد كل حسب عمله ، هذا الميزان يختلف عن ميزان البشر .

ميزان قائم على العدل ، يفرق بين المؤمنين والكافرين ، بين الصالحين والمفسدين ، بين المتقين والفجار ، بين الظالمين الطاغين ، والمستضعفين في الأرض ، بين الحكام الطغاة والمحكومين ، ميزان لا اعوجاج فيه إما إلى جنة وإما إلى نار .

ميزان يختلف عن ميزان البشر القائم على المصالح والمنافع الدنيوية ، فالغني له ميزان يختلف عن ميزان الفقير ، وأصحاب المناصب والمراكز المرموقة لهم موازين تختلف عن باقي الناس .

مر رجل على رسول الله ﷺ فقال : "ما تقولون في هذا" ؟ قالوا : حريٌّ إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، وإن قال يستمع له ، ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين ، فقال : "ما تقولون في هذا" ؟ قالوا : حريٌّ إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يستمع له ، فقال رسول الله ﷺ : "هذا خير من ملء الأرض مثل هذا"^(٣) .

(1) صبراً : بمعنى أن يمسك شيئاً من ذرات الروح حياً ثم يرمي بشيء حتى يموت ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٣ ، ص ٨ .

(2) تفسير القرآن العظيم ، ج ٧ ، ص ٦٣ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الأكل في الدين ، ح (٥٠٩١) ، ج ٦ ، ص ١٥٠ .

فميزان الله يختلف عن ميزان البشر ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾
(الحجرات: ١٣) هذا هو الميزان الحقيقي القائم على التقوى ، قال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ ﴾ (ص: ٢٨) .

يبين - سبحانه وتعالى - أن الناس صنفان ، صالحون نافعون ،
ومجرمون مفسدون ، وفي ذلك رد على من ينكر البعث ، الذين جعلوا مصير
المطيع الصالح النافع ، والعاصي الفاسد شيئاً واحداً ، كطائفة المرجئة تقول :
يجوز أن يكون المفسد كالصالح أو أرفع درجة ، فيأتي التفريق من رب العزة بين
من يصلح ومن يفسد ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي
الْأَرْضِ ﴾ فإن الكافرين ومنكري البعث مصيرهم النار (١) .

والآية عامة في جميع منكري البعث ، وفي جميع المتقين والفجار
الكافرين ، وأن مرجع العباد إلى الله تعالى ليحكم بينهم ، فيثيب المطيع على
طاعته ، ويعذب العاصي على إنكاره ، قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعَدَّ
اللَّهُ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (يونس: ٤) .

يثبت الله - عز وجل - وحدانيته المقتضية توحيده الخالص في العبادة ،
وإثبات البعث والجزاء له - سبحانه وتعالى - وأن مرجع الخلائق يوم القيامة
حق ثابت لا لبس فيه ، وذلك ليجزي الذين آمنوا بالله ورسله ، وما أنزل إليهم ،
وعملوا الأعمال الطيبة الصالحة ، بالعدل والجزاء الأوفى ، فيعطي كلاً ما
يستحقه من الثواب ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً
وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)
ويضاعف للمحسنين أجرهم ﴿ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ
غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر: ٣٠) .

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ ، ص ١٩١ .

وأما الذين كفروا بالله ورسله وأنكروا البعث فلهم من الجزاء شراب شديد الحرارة يقطع الأمعاء ويشوي البطون ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ (ص: ٥٧-٥٨) .

فالله - عز وجل - فرق بين من يعمل ومن لا يعمل ، وبين الكافر والمؤمن ؛ لأن الكافر والفاسق في الحياة الدنيا يتمتع بنعيمها وملاذها ، بينما العلماء الصالحون فيعانون معاناة شديدة فهل يعقل أن يتساوى المحسن مع المسيء ، والعامل مع العاطل (١) ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (ص: ٢٨) .

فكثير من الناس لم ينالوا حظهم ونصيبهم من الخيرات في الدنيا إلا الشيء القليل ، ومن المفسدين أيضاً عكس ذلك ، فالحكمة الإلهية أن كل فريق يلحق بأشباهه في النعيم الأبدي أو الجحيم السرمدى (٢) ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (التين : ٤-٦) .

فلو انتفى البعث والجزاء لاستوت عند الله أحوال الصالحين ، وأحوال المفسدين ، فلا بد من دار آخرة يثاب فيها المطيع ويعاقب فيها العاصي ، فالظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ثم يموت ، والمطيع المظلوم يموت بكمده ، فلا بد من حكمة حكيم عليم عادل لا يظلم مثقال ذرة (٣) .

ولقد ذكر - سبحانه وتعالى - في هذه الآية أداة التشبيه (الكاف) وذلك للتسوية بمعنى أن الله - عز وجل - ينكر أن يكون الفريقان سواء ، فإذا لم يجاز كل فريق بما يستحقه على عمله في الحياة الدنيا ، فإن الجزاء يكون في عالم آخر يوم القيامة ، وهو الذي يسلك له الناس بعد البعث ، فكثير من الصنفين المفسدين في الأرض ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات متساوون في الحياة الدنيا ،

(1) انظر التفسير المنير ، ج ١١ ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(2) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٣ ، ص ٢٤٧ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ١٢ ، ص ٨٦ .

في النعمة أو في التوسط ، أو في البؤس ، والخصاصة ، فحالها المساواة كافية لتكون مناط الاستدلال بين فريق المفسدين أولي النعمة ، وفريق الصالحين أولي البؤس .

فالتقوى هي ملازمة اتباع المأمورات ، واجتناب المنهيات في الظاهر والباطن ، والفجار شعارهم الفجور ، وهو أشد المعصية (١) .

وقال - سبحانه وتعالى - في الآية ﴿ أم نجعل الذين ﴾ ، ﴿ أم نجعل المتقين ﴾ وكتاهما منقطعة ، ولعلماء العربية ثلاثة مذاهب في أم المنقطعة :

الأولى : بمعنى الاستفهام الإنكاري .

الثاني : بمعنى بل الإضرابية .

الثالث : تشمل المعنيين الإنكار والإضراب معاً .

فالإضراب هنا انتقالي لا إبطالي ، ووجه الإنكار عليهم واضح ؛ لأن من ظن بالله الحكيم الخبير أنه يساوي بين الصالح المصلح ، والمفسد الفاجر ، فقد ظن ظناً قبيحاً جديراً بالإنكار (٢) .

ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (غافر: ٥٨) ، وقوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٨) ، وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٥) .

لقد فرق سبحانه وتعالى بين القائمين على حدود الله بعمل الصالحات ، والقائمين على ما حرم الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٨) ، وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ *

(1) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٣ ، ص ٢٤٩-٢٥٠ .

(2) انظر أضواء البيان للشنقيطي ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿ (السجدة : ١٨-٢٠) ، وقال سبحانه
وتعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾
(الجاثية: ١٥) .

إن التفريق بين المصلحين والمفسدين ليس خاصاً بالإنس ، بل تعداهم إلى
الجن ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴾
(الجن: ١١) .

فقد أخبر الله - عز وجل - عن حال الجن عندما دعوا أصحابهم إلى
الإيمان بمحمد ﷺ أنه كان منهم المؤمنون الأبرار الموصوفون بالصلاح
ومنهم الكافرون قال سعيد بن المسيب : كانوا مسلمين ويهوداً ونصارى
ومجوساً ، فلا يوصف أحد منهم بالصلاح إلا إذا كان مؤمناً مسلماً تقياً متبعاً
رسالة النبي ﷺ (١) .

فمن تمام عدل الله - سبحانه وتعالى - أن يفرق بين المصلحين والمفسدين
وأن يأخذ كل فريق منهم أجره في الآخرة ، فالمصلحون لهم الدرجات العلى في
الجنة ، والمفسدون لهم الدرجات السفلى في نار جهنم فهي مثواهم ومستقرهم ،
قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ
مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (محمد: ١٢) .

مناسبة الآية :

بعد أن بين الله حال الكافرين ، وأن عقابهم الخسران بسبب إعراضهم عن
آيات الله ، وعن موالاته الله ورسوله والمؤمنين ، بين حال الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ، وما هم فيه من النعيم في الدنيا والآخرة ، بسبب طاعتهم لله ولرسوله

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٥ ، انظر معارج التفكير ودقائق التدبر ، حبكة الميداني ،

فمن أحسن وعمل صالحاً فمثواه الجنة ومن أعرض فمصيره النار .

لقد رسمت لنا سورة محمد ﷺ منهاجاً واضحاً وطريقاً مستقيماً في التفريق بين المصلحين والمفسدين ، بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والمفسدين الذين تتكبوا طريق الحق ، والصراط المستقيم ، فمن أول آية في هذه السورة وهي تفرق لنا بين ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد: ١) ، وبين ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٢) .

فلو استعرضنا آيات هذه السورة لوجدنا أن أكثر آياتها استعراض لأحوال المؤمنين والكافرين ، وجزاء كل منهم ، وأحوال المؤمنين والمنافقين ، فالله سبحانه وتعالى ينعم على عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وصدقوه وأدوا ما عليهم من فرائض ، واجتنبوا ما نهوا عنه ، فكانت النتيجة أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، وذلك جزاء بما كانوا يعملون ، وأما الذين جحدوا بالله وبتوحيده ، وكذبوا رسوله ، فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً لأنهم مغموسون في ملذات الدنيا ونعيمها ، لاهون بما فيها .

لذلك يقول ﷺ : "المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء" (١) .

يصف النبي ﷺ الكفار وما هم عليه من طمع وجشع في هذه الحياة الدنيا وكأنهم مخلدون فقط للدنيا ، فالله عز وجل ميّز بين من يطيعه ومن يعصيه (٢) ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّر طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب المؤمن يأكل في معي واحد ، ح (٥٣٩٣) ، ج ٦ ، ص ٢٤٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء ، ح (٢٠٦١) ، ج ٣ ، ص ١٦٣١ .

(2) انظر التفسير المنير ، ج ٢٦ ، ص ٩٧-٩٨ .

وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٤-١٥﴾ (محمد : ١٤-١٥) .

يبين - سبحانه وتعالى - منزلة كل من الفريقين الذين آمنوا وعملوا الصالحات منزلتهم الجنة التي فيها أنهار من ماء ، وأنهار من عسل ، وأنهار من خمر غير مسكر ولا مذهب للعقول ، وأنهار من لبن وهذا نعيم دائم لأهل الجنة وهم متفاوتون فيما بينهم في الدرجات ، فهذا الصنف ليس كأهل النار ، التي فيها العذاب المقيم ، قال تعالى : ﴿ وَالنَّارُ مَتْوًى لَهُمْ ﴾ (محمد: ١٢) .

فصفة الخلود مشتركة بين أهل الجنة وأهل النار ، ولكن الفرق واضح ، فهذا خلود في نعيم ، وذاك خلود في دركات جهنم شرابهم من الخساق شديد الغليان يشوي البطون والجلود ، من شدة غليانه ^(١) ، لذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (طه : ٧٤-٧٦) .

قال رسول الله ﷺ : "أما أهل النار الذين هم أهلها فاتهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس تصيبهم النار بذنوبهم ، فتميتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحماً ، أذن في الشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ^(٢) ، ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة فيقال : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ^(٣) فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية" ^(٤) .

(١) انظر المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٢) ضبائر : بمعنى الخروج من النار على شكل جماعات ، انظر النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ، ص ٧١ .

(٣) وهو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره ، فإذا استقرت فيه الحبة فإنها تنبت في يوم وليلة ، فشبهه بها ﷺ سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد حرق النار لها ، انظر النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ، ص ٤٤٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، ج ١ ، ص ١٧٢ ، ح (٣٠٦-١٨٥) .

فالقرآن يعطينا منهجاً واضحاً في التفريق بين المصلحين والمفسدين ،
ولا وجه للمقارنة ، قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (الحشر: ٢٠) .

لا يستوي من كفر بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ،
بمن آمن بالله سبحانه وتعالى وأقر بألوهيته وربوبيته ، لا يستوي من أنكر
البعث والجزاء والحساب ، بمن أثبت ذلك ، لا يستوي من لم يؤدِّ
فرائض الله التي افترضها على عباده بمن التزم التزاماً كاملاً بكل ما أمر ونهي ،
فهم لا يستون عند الله .

المبحث الثاني

الإصلاح وأثره في علاقة العبد بربه

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : ارتباط الإيمان بالعمل الصالح .

المطلب الثاني : العمل الصالح شرط من شروط التوبة

وغفران الذنوب .

المطلب الثالث : العمل الصالح شرط من شروط

إجابة الدعاء .

المطلب الرابع : الصالحون أولياء الله .

المطلب الأول

ارتباط الإيمان بالعمل الصالح

بعث الله عز وجل النبي محمداً ﷺ بدين الإسلام الذي هو إيمان وعمل ، إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره ، وعمل بالشريعة التي ارتضاها الله - عز وجل - لعباده من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها من العبادات .

لذلك جاءت لفظة الإيمان مقترنة مع العمل الصالح في أكثر من خمسين آية من كتاب الله ، وذلك في ثلاث وثلاثين سورة مكية ، وعشر سور مدنية ، فدعوة النبي ﷺ في مكة تقرر أصول العقيدة التي عليها قبول الأعمال ، لذلك كان ارتباط الإيمان مع العمل الصالح في السور المكية أكثر من السور المدنية ، فالإيمان لا يتحقق إلا بالعمل الصالح الذي هو شرط قبول الأعمال .

لقد نفى الله - سبحانه وتعالى - حقيقة الإيمان من الأعراب الذين انقادوا ظاهرياً للإسلام ولم يعملوا بمقتضى الإيمان فقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٤) .

إن الإيمان هو الأصل الذي يميز به بين المؤمن وغير المؤمن ، وبين المؤمن والمنافق ، وقدّم الإيمان على العمل الصالح في مواطن عديدة منها قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠) .

وقدم العمل الصالح على الإيمان أيضاً في مواطن عديدة منها قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر: ٤٠) .

والمعنى أن الإيمان ما وقر في القلب ، والعمل الصالح هو الذي يظهر من الإيمان ، وهو الذي يبرز في المجتمع قال ﷺ : "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان" (١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة: ١٨) ، تشهد له بظاهر عمله أنه من أهل الخير والصلاح والفلاح ، فعطف العمل الصالح على الإيمان يدل على أهمية العمل الصالح ، وأنه المنار الذي يظهر من المؤمن ، وكأن الله عز وجل يقول للمؤمن : إذا كنت مؤمناً فلا بد أن تظهر عملك الصالح ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج: ٧٧) .

لذلك عرف العلماء الإيمان بأنه : "تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ، ولا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث" (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة: ٧) فالذي يُثَبِّت الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، هو العمل الصالح ، وذلك من بذل النفس في سبيل الجهاد ، وبذل المال في أعمال البر مع القيام بالعبادات ، والإخلاص في سائر ضروب الحياة (٣) .

فالرجال والنساء مطالبون بالإيمان والعمل الصالح ، ولا فرق بينهما من ناحية مبدأ التكليف العام ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَنْحِيبْنَاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧) .

(1) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات ، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة ، ح (٨٠٢) ، ج ١ ص ٤٣٩ ، سنن الدارمي ، كتاب الصلاة ، باب المحافظة على الصلوات ، ح (١٢٠٣) ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ، قال الترمذي حديث حسن صحيح .

(2) كتاب الشريعة للأجري ، ص ١٢٠ .

(3) انظر تفسير القاسمي ، ج ١٧ ، ص ٢٢٥ .

إن ارتباط الإيمان بالعمل الصالح يغرس في نفوس البشر العقيدة الدينية ،
فغرس العقيدة في النفوس هو أفضل طريقة لإيجاد العناصر الصالحة ، التي
تستطيع أن تقوم بدورها في الحياة ، فهي تمثل الروح لكل فرد ، بها يحيى الحياة
الطيبة ، وبفقدها يموت الموت الحقيقي ^(١) ، قال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا
فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ
بَخَارٍ مِنْهَا ﴾ (الأنعام: ١٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَاتِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ
بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٣-١٢٤)

سبب النزول :

"احتج المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب : نحن أهدى منكم نبينا قبل
نبيكم ، وكتابتنا قبل كتابكم ، ونحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون : نحن أهدى
منكم وأولى بالله ، ونبينا خاتم الأنبياء ، وكتابتنا يقضي على الكتب التي قبله ،
فأنزل الله تعالى هذه الآية" ^(٢) .

ومن خلال النظر في سبب النزول ، نجد كلاً من اليهود والنصارى
والمسلمين يقولون بأننا أفضل منكم ديناً ، فاليهود يقولون نحن أفضل ، نحن أبناء
الله وأحبائه ، والنصارى يقولون نحن أفضل لأن المسيح ابن الله ، والمشركون
يقولون نحن أفضل لأننا على ملة إبراهيم ، والمسلمون يقولون نحن أفضل لأن
نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين ولا نبي بعده ، فالجميع يحتج بأن دينه
أفضل ، فبين سبحانه وتعالى أن الأفضلية ليست في الانتساب إلى الأنبياء ، ولكن
الأفضلية في الإيمان بالله والعمل الصالح ، فهي القاعدة والركيزة التي يقاس
عليها البشر .

(1) انظر العقائد الإسلامية للسيد سابق ، ص ١٠-١١ .

(2) أسباب النزول للواحي ، ص ١٤٨ .

فالأفضلية كما يقول سيد قطب رحمه الله : هي إرجاع الناس كلهم إلى ميزان واحد هو الإسلام - الإيمان والعمل - وأحسن العمل هو الإحسان ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك ، وقد كتب الله - عز وجل - الإحسان في كل شيء حتى في إراحة الذبيحة عند ذبحها ، وخذ الشفرة ، وحتى لا تعذب وهي تذبح ، وفي الآية نص صريح على اشتراط الإيمان لقبول العمل وأنه لا قيمة عند الله لعمل لا يصدر عن إيمان (١) .

"فإن مجرد الانتساب إلى أي دين لا يفيد شيئاً ، إن لم يأت الإنسان ببرهان على صحة دعواه ، فالأعمال تصدق الدعوى أو تكذبها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ وهذا شامل لجميع العاملين ؛ لأن السوء شامل لأي ذنب كان من صغائر الذنوب وكبائرها ، وشامل أيضاً لكل جزاء قليل أو كثير ، دنيوي أو أخروي ، والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله ، فمستقل ومستكثر .

فمن كان عمله كله سوءاً وذلك لا يكون إلا كافراً ، فإذا مات من دون توبة ، جوزي بالخلود في العذاب الأليم ، ومن كان عمله صالحاً وهو مستقيم في غالب أحواله ، وإنما يصدر منه أحياناً بعض الذنوب الصغار ، فما يصيبه من الهم والغم والأذى وبعض الآلام في بدنه أو قلبه أو حبيبه أو ماله ، ونحو ذلك فإنها مكفرات للذنوب لطفاً من الله " (٢) .

فالإيمان مع العمل الصالح جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض ، كالاتصال بالله ، والثقة به ، والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه ، وفيها الفرج والتوسيع في الرزق ، وهذه النعمة في الحياة الدنيا لا تنقص من أجر الآخرة شيئاً (٣) .

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٧٦٢ .

(2) تيسير الكريم الرحمن ، ج ٢ ، ص ١٧٥-١٧٦ ، انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢١٩٣ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢١٩٣ .

والتقوى هي التي تجعل الإنسان مراقباً لله تعالى في أفعاله وأحواله ،
 فعندما يتحدث الله تعالى عن أعمال البر وعن الأعمال الصالحة يذكر العقيدة
 كأصل وركيزة تنفرع منها كل الأعمال ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا
 وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
 وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ
 السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
 عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٧) .

والعمل الصالح الذي تزكو به النفس ويطهر به القلب ، وتعمر به الحياة ،
 أثر من آثار الإيمان فقد تجلت هذه الصفات في الرسول ﷺ وصحابته (١) .
 قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
 بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ
 مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
 فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٩) .

إن الإكثار من العمل الصالح والطاعة يزيد اليقين في حياة المسلم ويقوي
 الإيمان ، وبالإقلال من العمل والانغماس في الشهوات والمعاصي يضعف الإيمان
 ويصل فيه الحد إلى درجة تكذيب الرسول ﷺ ، تبريراً للفجور والفسق (٢) ،
 فأساس الإيمان هو الإقرار بالألوهية والإخلاص له بالعبودية ، فمن اقتصر على
 عبادة الله بالإقرار باللسان دون العمل كان إيماناً ناقصاً ، فلا بد من اعتراف
 عملي بالطاعة ، فبقدر ما يزداد من الطاعة يزداد من الإيمان ، ومن فصل بين
 الإيمان والعمل الصالح فهو واهم ، لأن الله - عز وجل - قال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر: ٣) .

(1) انظر العقائد الإسلامية للسيد سابق ، ص ٨٣ .

(2) انظر الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه ، د. محمد ياسين ، ص ١٥٤ .

فشرط النجاة من الخسران هو الجمع بين الإيمان والعمل الصالح (1) ،
وارتباط الإيمان بالعمل الصالح يرجع إلى قسمين :

القسم الأول : ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالجزاء :

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٢) ، وغيرها من الآيات .

القسم الثاني : ارتباط الإيمان والعمل الصالح بأعمال أخرى مثل :

١- ارتباط الإيمان والعمل الصالح بإقامة الشعائر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٧) .

٢- ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالتقوى والإحسان : قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ٩٣) .

٣- ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالتوبة والإخبات لله تعالى : قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ (الفرقان: ٧٠-٧١) .

٤- ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالاستخلاف والتمكين في الأرض : قال تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

(1) انظر المرجع السابق ، ص ١٥٤ ، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع للدكتور محمد الشرفاوي ،

الْأَرْضَ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ (النور: ٥٥) .

٥- ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالذكر والانتصار من الظلم : قال تعالى :
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ
مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧) .

٦- ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالصبر والتواصي بالحق : قال تعالى : ﴿إِلَّا
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هود: ١١) .

٧- ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالإصلاح : قال تعالى : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾
(ص: ٢٨) .

٨- ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالآيات التي ربطت العمل بالمسئولية والواجب
بالثواب : قال تعالى : ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
(التوبة: ١٠٥) .

ومن خلال النظر في هذا القسم يتبين أن الإسلام دين يبحث عن العمل ،
ويدفع الإنسان إليه معتبراً العمل من الإيمان ، وبدون العمل فلا إيمان ، فالعمل
الصالح يشمل كل عمل يؤديه الإنسان سواء كان هذا العمل دينياً أو دنيوياً طالما
قصد به وجه الله تعالى .

فالعمل الصالح لا ينحصر في عبادة معينة ، بل يستطيع الواحد منا
ممارستها من خلال معاشتنا لحياتنا اليومية سواء في وظائفنا ، أو بيوتنا ، أو في
حياتنا فمجالات الصلاح واسعة لا حدود لها .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : "سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال :
إيمان بالله ، وجهاد في سبيله ، قلت : فأبي الرقاب أفضل ؟ قال : أغلاها ثمناً ،
وأفسها عند أهلها ، قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : تعين صانعاً أو تصنع لأخرق (١)

(١) الجاهل بما يجب أن يعمل ، ولم يكن في يده صنعة يكتسب بها ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ،

قال : فإن لم أفعل ؟ قال : تدع الناس من الشر ، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك" (١) .

فيمكن تسمية هذه أعمالاً دنيوية لا دينية كما قال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود: ٦١) .

أي طلب منكم أن تعمروها ، وما دام قد طلب الإعمار فقد نفى الإفساد ، فلا نعد إلى الصالح بذاته فنفسده ، كما علينا أن نوجه كل طاقاتنا لإصلاح الأرض فكأن العمل الصالح هو نهي عن إفساد العمل الصالح لذاته .

فاقتربان هذه الكلمة - وعملوا الصالحات - بالذين آمنوا في معظم آيات القرآن لتحقيق معنى واضحاً ، هو أن العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر : ١-٣) .

يقسم سبحانه وتعالى بالصبر ، ويحكم على الإنسان أنه في خسر دائم ، إلا الذين تتوفر فيهم أربعة شروط ، الإيمان - والعمل الصالح - والتواصي بالحق - والتواصي بالصبر (٢) .

فالإيمان هو أصل الحياة التي تنبثق منه كل فروع الخير ، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره ، والذي عن طريقه يشعر الإنسان أنه مرتبط بالله العظيم ، أما الذي لا يؤمن فيعتبر نفسه ظاهرة من الظواهر الكونية عمره قصير وحجمه قليل أما المؤمن الذي يؤمن بأن الله هو خالق الموت والحياة ، فيعتبر الموت انتقالاً من مكان إلى مكان ومن بيئة إلى بيئة (٣) .

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ (إبراهيم: ١٨) ، وقال تعالى :

(1) صحيح البخاري ، كتاب العتق ، باب أي الرقاب أفضل ، ح (٢٥١٨) ، ج ٣ ، ص ١٦٠ ، صحيح

مسلم كتاب الإيمان ، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال ، ح (١٣٦) ، ج ١ ، ص ٨٩ .

(2) انظر التفسير الكبير للرازي ، ج ٢٢ ، ص ٨٠ ، في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٩٦٦ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٩٦٧ .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ (النور: ٣٩) .

قال رسول الله ﷺ : "إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له : ما أنت ، فوالله إني أراك امرأ صدق ، فيقول : أنا عمك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة ، وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وشارة سيئة ، فيقول : ما أنت ، فوالله إني لأراك امرأ سوء ؟ فيقول : أنا عمك ، فينطلق به حتى يدخله النار" (١) .

ومن خلال التواصي بالحق والتواصي بالصبر تبرز صورة الأمة المسلمة أو الجماعة القائمة في الأرض على الحق والعدل والخير ، فالنهوض بالحق أمر عسير ، والمعوقات عن الحق كثيرة مثل هوى النفس ، ومنطق المصلحة ، وطغيان الطغاة وظلم الظلمة ، وجور الجائرين (٢) .

ويدل ذلك على أن الإنسان موجود في مجتمعه ، فإذا لم يكن أمامه مجتمع صالح يوصي الآخرين ويوصيه الآخرون بالحق وبالصبر ، فإنه ينحرف ويصبح من الخاسرين ، وبالتالي يؤكد القرآن الكريم أن الإنسان عليه أن يسعى إلى جانب إيمانه وعمله الصالح إلى تكوين مجتمع صالح يعيش فيه فإذا لم يتمكن من تكوين مجتمع صالح كبير ، فعليه أن يكون مجتمعاً صالحاً صغيراً في بيته ، أو في عائلته أو في مكتبه أو بين أصدقائه ، حتى يتمكن من الاستمرار في خط الإيمان والعمل الصالح .

أما إذا عاش الإنسان غريباً في مجتمعه ، وحيداً بين أهله وأهل بلده لا يوصيه أحد بالحق ، ولا يوصيه أحد بالصبر ، ولا يوصي هو أحداً بالحق ولا بالصبر ، بطبيعة الحال ينتهي إيمانه ويتقلص عمله الصالح ، وبالتالي يكون من الخاسرين .

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، ح ٦ ، ص ١٦ ، ج ١ ، ص ٣٤٤ بنحوه .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٩٦٨ .

فالبقاء وعدم الخسارة أن يكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

لذلك قال ﷺ : "المؤمن القوي الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير وأفضل من المؤمن الضعيف الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (١) .

وبعد نزول سورة العصر كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، ثم يسلم أحدهما على الآخر .

قال الشافعي رحمه الله : "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم" (٢) .

إن هذه الأعمال الصالحة التي يقوم بها العباد المكلفون بها شرعاً هي في وسعهم وعلى قدر طاقتهم ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٢) .

تدل هذه الآية على قضيتين رئيسيتين :

القضية الأولى : أن التكاليف الربانية التي كلف الله بها عباده من صلاة وزكاة وحج وغيرها من التكاليف هي في مقدور البشر ، إلا أصحاب المعاذير ، كالمريض والأعمى والأعرج ، فإن الله - سبحانه وتعالى - خفف عنهم (٣) لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ ﴾ (النور: ٦١) ، وقال ﷺ : "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" (٤) .

القضية الثانية : إن كل ما لا يدخل في وسع المكلف أن يعمله أو أن يتركه ، فإن الله - عز وجل - لا يحاسبه عليه ، ولا يدخله ضمن المسؤولية أيضاً ، ولا يتعلق به ثواب ولا عقاب ، فعندما قال الله - عز وجل - "لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" بمعنى لا يكلف الإنسان إلا ما يطيق فعله ، أما ما يحدث بغير إرادته ،

(1) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الزهد في الدين ، ح (٤١٦٨) ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ ، صححه الألباني .

(2) تفسير القرآن العظيم ، ج ١٤ ، ص ٤٥١ .

(3) انظر معارج التفكير ودقائق التدبر ، حبكة الميداني ، ج ٤ ، ص ٢٣١ .

(4) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ح (٣٥١٥) ، ج ١ ، ص ٦٥٩ .

فهو خارج عن دائرة التكليف الرباني ، والله - سبحانه وتعالى - لا يكلف الإنسان ما لا يطيق فعله أو يحاسبه على فعل لم يستطع فعله (١) .

أقسام العمل الصالح :

ينقسم العمل الصالح إلى قسمين : واجب ونافلة :

القسم الأول : الواجب : لا يستطيع الإنسان الزيادة فيه ولا النقصان ، وذلك كالفرائض التي فرضها الله على عباده من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها من الواجبات .

القسم الثاني : النوافل : وهي التي تتفاوت فيها همم الصالحين في التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - والتي بها يصل الإنسان إلى مرتبة التقوى ثم الإحسان وهي أعلى درجات الإيمان ثم يصبح في ولاية الله سبحانه وتعالى .

وأولياء الله على ضربين : مقربون ، وأصحاب يمين ، قال النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة ، يقول الله تعالى : "من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها" (٢) .

فالأبرار أصحاب اليمين هم المنقربون إليه بالفرائض ، فيفعلون ما أوجب الله ويتركون ما حرم الله ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات (٣) .

أما السابقون المقربون إليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المكروهات ، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الله سبحانه وتعالى حباً تاماً ، كما قال تعالى في الحديث القدسي

(1) انظر معارج التفكير ودقائق التدبير ، ج ٤ ، ص ٢٣٢ .

(2) صحيح ابن حبان ، باب ذكر الأخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله في أحواله ثم قيامه بإتيان الأمور ، وانزعاجه عن جميع المزجورات ، ح (٣٤٧) ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٢٣١٧) ، ج ٥ ، ص ٤٠٨ .

(3) انظر مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية ، محمد عبد الوهاب ، ص ٤٨٤ .

(ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه) ، وقال الله تعالى في شأنهم :
﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩) .

فهذا الصنف أصبحت أعمالهم كلها عبادات يتقربون بها إلى الله (١) ،
فالثمرّة الأولى للإيمان هو العمل الصالح ، وعلّة وجودنا في الأرض هو العمل
الصالح ، والمهمة التي أنيطت بنا في الأرض هي العمل الصالح ، وثمر الجنة
هو العمل الصالح ، والعمل الصالح بكل معانيه ومشمولاته الشرعية
والدنيوية سواء .

(1) انظر المرجع السابق ، ص ٤٨٥ .

المطلب الثاني العمل الصالح شرط من شروط التوبة وغفران الذنوب

لقد قضت حكمة الله تعالى أن جعل التوبة والرحمة صفة من صفاته ،
واسماً من أسمائه التواب الرحيم ، فهو التواب الرحيم ، يقبل التوبة عن عباده ،
قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾
(الشورى: ٢٥) ، فهو رحيم بهم وإن بلغوا كل مبلغ في الضلال ، ومجازرة الحد في
اتباع سبل الشيطان الذي توعد بإغوائهم ، وإغراقهم في الذنوب ، والإسراف على
أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩) .

فرغم كل هذا التوعد والإغواء ، فإن رحمة الله - سبحانه وتعالى - أقوى
وأعم وأشمل ، لا يقنط منها إلا الخاسرون ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣) .

ومن رحمته - سبحانه وتعالى - أن جعل باب التوبة مفتوحاً ، فرحمته
حاضرة في كل لحظة ، ما لم تخرج الروح من الجسد أو تطلع الشمس من
المغرب . فخلق الله سبحانه وتعالى الجنة والنار ، الجنة لعباده الصالحين الذين
أنابوا إليه سبحانه وتعالى ، والنار لمن سلك مسالك الشيطان واتبع سبله .
ومن رحمته أنه يبسط ذراعيه لمن علم أن هناك رباً غفوراً رحيماً بعباده
وأقبل عليه بالتوبة ، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه
- عز وجل - قال : "إذا تقرب العبد إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب
مني ذراعاً تقربت منه باعاً" (١) ، وزاد مسلم في صحيحه "وإن أتاني مشياً
أتيته هرولة" (٢) .

(1) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ذكر النبي وروايته عن ربه ، ح (٧٥٣٦) ، ج ٨ ، ص ٢٦٦ .
(2) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى ، ح (٢٦٧٥) ،
ج ٤ ، ص ٢٠٦١ .

فإن هذا يدل على عناية الله بخلقه حتى يسد جميع مسالك وسبل الشيطان ، ولا يكون له على عباده سبيل ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (الحجر: ٤٢) .
 فالله - سبحانه وتعالى - أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم على النبي ﷺ سبي ، فإذا امرأة من السبي تحلبُ ثديها تسقي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته ، فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ : "أترون هذه طارحة ولدها في النار" ، قلنا لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال : "الله أرحم بعباده من هذه بولدها" (١) .

ولكي تستقيم وتعم هذه الرحمة كان لزاماً على التائبين أن يتبعوا هذه التوبة العمل الصالح ، فالتوبة بلا عمل كرجل بنى بيتاً من عدة أدوار بدون أساس ، فسرعان ما ينهار ، لذلك قال ﷺ : "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن" (٢) .

فالله يقبل توبة التائبين ما لم يشركوا بالله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (النساء: ١١٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ (الفرقان : ٦٨-٧١) .

ورد في سبب النزول ثلاثة روايات :

الرواية الأولى :

"عن ابن مسعود قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الذنب أعظم ؟ قال : "أن تجعل لله نداً وهو خلقك" قلت : ثم أي ؟ قال : "أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ح (٥٩٩٩) ، ج ٧ ، ص ٩٩ .

(2) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة عن رسول الله ، باب ما جاء في معاشرته الناس ، ح (١٩٨٧) ، ج ٤ ، ص ١٢٥ ، قال الترمذي حديث حسن صحيح .

معك" ، قلت : ثم أي ؟ قال : "أن تزاني حليلة جارك" فأنزل الله تصديقها ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ (١) (الفرقان: ٦٨) .

الرواية الثانية :

"عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثرُوا وزنوا فأكثرُوا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ونزل : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾" (٢) .

الرواية الثالثة :

"نزلت الآية في وحشي وأصحابه ، قالوا كيف لنا بالتوبة وقد عبدنا الأوثان وقتلنا المؤمنين ، ونكحنا المشركات ، فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنْ مَنِ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (الفرقان: ٧٠) فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالاً مع المسلمين للمشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات" (٣) .

ويتبين من خلال الروايات السابقة أن الكفر هو أعظم الذنوب التي لا يغفرها الله - سبحانه وتعالى - ثم يأتي بعد ذلك مرتبة القتل والزنا وغيرها من الكبائر التي يغفرها الله سبحانه وتعالى .

واستثنى الله - عز وجل - من أقبل عليه تائباً : ﴿ إِنْ مَنِ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ .

ولا تعارض بين هذه الآية وآية النساء ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣) .

هذه الآية وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة ، تحمل على من لم يتب ، أما آية الفرقان فإنها مقيدة بالتوبة (٤) .

(1) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، ص ٢٠٣ .

(2) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(3) جامع البيان للطبري ، ج ١٩ ، ص ٥٧ .

(4) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١٠ ، ص ٣٢٦ .

"سأل رجل ابن عباس فقال : أرأيت رجلاً قتل مؤمناً متعمداً أين منزله ، قال : جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيماً ، قال : أفرأيت إن هو تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟ قال : وأنى له الهدى ثكلته أمه ، والذي نفسي بيده لسمعتة يقول - يعني النبي ﷺ - يجيء يوم القيامة معلقاً رأسه بإحدى يديه ، إما بيمينه أو بشماله ، آخذاً صاحبه بيده الأخرى تشخب أوداجه حيال عرش الرحمن ، يقول : يا رب سل عبدك هذا علام قتلني "فما جاء نبي بعد نبيكم ولا نزل كتاب بعد كتابكم" (١) .

ولقد أزال الطبري هذا التعارض الظاهري بقوله : "ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه إن جزاه جهنم خالداً فيها ، ولكنه يعفو أو يتفضل على أهل الإيمان فلا يجازيهم بالخلود فيها ، ولكنه عز ذكره إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار ، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجها منها بفضله ورحمته ، لما سلف من وعد عباده المؤمنين بقوله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾" (٢) (الزمر: ٥٣) .

والحق أن باب التوبة مفتوح لكل من أقبل على الله سبحانه وتعالى تائباً ، فانه سبحانه وتعالى يقبل توبة المشرك وهو أعظم الذنوب فكيف بمن هو أقل منه مرتبة .

ولكن لا بد في توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل ، وتسليم نفسه للقصاص ، إن كان واجباً ، أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً كما هو الحال في هذا الزمان (٣) .

فقد ثبت في السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به

(1) جامع البيان للطبري ، ج ٥ ، ص ٢٨٤ .

(2) جامع البيان للطبري ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ .

(3) انظر فتح القدير للشوكاني ، ج ١ ، ص ٦٣٧ .

مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، وهل يحول بينه وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم - أي حكماً - فقال : قيسوا ما بين الأرضين فألى أيتها كان أدنى فهو له ، فقاوسا فوجدوه أدنى على الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة" (١) .

إن من يرتكب هذه المحرمات وأراد أن ينجو من سخط الله وعذابه بالتوبة والعمل الصالح ، فإن الله يبذل سيئاتهم حسنات ، عطاء من الله لا مقابل له من عمل العبد ، إلا أنه اهتدى ورجع عن الضلال وتاب إلى الله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ٩٦) .

فكلما تذكر ما مضى وندم واسترجع واستغفر ، فيقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار (٢) ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : "إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة ، فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال : عملت يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر ، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا" ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذُهُ (٣) .

فمن عموم رحمته أنه من يقبل عليه تائباً من أي ذنب صغير أو كبير حقير أو جليل فإن الله - عز وجل - يقبل توبته (٤) .

(1) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، ح (٢٧٦٦) ، ج ٤ ، ص ٢١١٨ .

(2) انظر جامع البيان للطبري ، ج ١٩ ، ص ٥٩ ، تفسير ابن كثير ، ج ١٠ ، ص ٣٢٧ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، ح (١٩٠) ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

(4) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١٠ ، ص ٣٢٧ .

ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ، فقوله : "متاباً" : أي أنه دائم التوبة على عباده التائبين ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (النساء: ١١٠) ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٤) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ (الزمر: ٥٣) .

إن هذه التوبة لا تقتصر على ارتكاب المحرمات من الكبائر من القتل والسرقة والزنا ، بل تتعدى ذلك إلى من ارتد عن دين الله سبحانه وتعالى ، بعد أن عرف الحق وذاق طعم الإيمان ، قال تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَاهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَّأُوهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٨٦-٨٩) .

سبب النزول :

"عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة ؟ فنزلت ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم" (١) .

وبيين ذلك - سبحانه وتعالى - في غير هذا الموضع من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً * بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (النساء: ١٣٧-١٣٨) .

فمن كفر أو ارتد بعد أن عرف الحق وعرف الصواب الذي جاء به النبي ﷺ ، فإن الله - عز وجل - طبع على قلبه الكفر والنفاق ، وأن مصيره العذاب الأليم يوم القيامة ثم استثنى الله - عز وجل - الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا

(1) لباب النقول في أسباب النزول ، ص ٦٥ .

بعد إيمانهم ، قال تعالى : ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (آل عمران : ٨٩) ، فالذين تابوا من بعد ارتدادهم عن الإيمان ، فراجعوا الإيمان بالله ورسوله وصدقوا بما جاءهم به نبيهم ﷺ من عند ربهم وعملوا الصالحات من الأعمال ، فجزاء توبته أن يستر عليه ذنبه الذي كان منه الردة ، في الدنيا والآخرة ، وغير مؤاخذة إذا مات على التوبة فهو رحيم بعباده (١) .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : سمعت النبي ﷺ قال : "إن عبداً أصاب ذنباً ، وربما قال : أذنب ذنباً فقال : رب أذنبت ذنباً ، وربما قال : أصبت فاغفر لي ، فقال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي . ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً ، فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره ، فقال : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً وربما قال أصاب ذنباً فقال رب أصبت ، أو قال أذنبت آخر ، فاغفره لي فقال : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء (٢) .

فقوله في الحديث "فليعمل ما شاء" كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب من الذنب الذي ارتكبه ، ولم يعد إليه مرة أخرى بدليل قوله "ثم أصاب ذنباً آخر" وكلما أذنب ذنباً آخر ، كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره ، أما إذا أذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع عن الذنب ثم يعاود إليه مرة أخرى فإن هذه توبة الكذابين (٣) .

والله - سبحانه وتعالى - يفرح لتوبة عبده إذا أقبل عليه ولا يرده خائباً ، قال ﷺ : "الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة ، فاتفلت منه ، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة

(1) انظر جامع البيان للطبري ، ج ٣ ، ص ٤٣٧ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى "يريدون أن يبيلوا كلام الله" ، ح (٧٥٠٧) ، ج ٨ ص ٢٥١ .

(3) انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحتته ، فبينما هو كذلك ، إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : "اللهم أنت عبي وأنا ربك ! أخطأ من شدة الفرح" (١) .

ومن الشواهد القرآنية على ارتباط التوبة بالعمل الصالح قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (مريم : ٥٩-٦٠) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٨-٣٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٥٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور: ٤-٥) ، وغيرها من الآيات القرآنية .

وقت قبول التوبة :

تجب التوبة على الفور ، ومع ذلك يمكن قبول التوبة طوال حياة الإنسان تفضلاً من الله ورحمة ، وفتحاً لباب الأمل والرجاء من الله تعالى ، وإبعاداً لليأس والقنوط عن النفس .

وتجب التوبة من جميع الذنوب والمعاصي ، فإن تاب المرء من بعضها صحت توبته عند أهل السنة من ذلك الذنب ، وبقي عليه الباقي ، والله - عز وجل - يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، قال رسول الله ﷺ : "تقبل توبة

(1) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب إن الحسنات يذهبن السيئات ، ح (٢٧٦٣) ، ج ٤ ، ص ٢١١٥ .

العبد ما لم يغرغر" (١) ، أما إذا خرجت روحه ، وأوشك على مفارقة الدنيا ، ففي هذه الحالة لا تقبل منه توبة ، فالتوبة تصح قبل الموت بيوم ، ولو بساعة إذا لم يوجد هناك علامات للموت ، لأن الرجاء بإصلاح الإنسان باق ، ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل القبيح ، أما من صار في حال اليأس من الحياة كفرعون فلا تنفعه توبة ولا عمل لأنه حال زوال التكليف الشرعي (٢) .

قال الله - سبحانه وتعالى - على لسان فرعون : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: ٩٠) فجاء الرد الإلهي عليه مباشرة ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٩١) .

وبين - سبحانه وتعالى - في مواضع أخرى أن التوبة عند الاحتضار لا تنفع صاحبها ، قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٨) .

وهناك من الذنوب ما لا يكفي فيها الاستغفار ، ولكن لا بد مع التوبة من إرجاع الحقوق إلى أصحابها ، مثل أكل أموال الناس بالباطل ، فلا يكفي أن يقول أستغفر الله ، بل لا بد من إرجاع المال إليهم ، وإذا قذف امرأة محصنة لا بد من بيان براءتها ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْتَدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور: ٤-٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٠) .

(1) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب رقم ١٠٤ ، ح (٣٥٣٧) ، ج ٥ ، ص ٣٦٨ ، وابن ماجة كتاب

الزهد ، باب ذكر التوبة ، ح (٤٢٥٣) ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ ، إسناده ضعيف .

(2) انظر مجلة الوعي الإسلامي (التوبة أثرها في الفرد والمجتمع) ، الدكتور وهبة الزحيلي ، ص ١٩ ،

العدد ١٩٦ ربيع الثاني .

فالله - عز وجل - اشترط في هذه الآيات مع التوبة الإصلاح والبيان^(١) قال ﷺ : "لتؤنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقَادَ للشاة الجلاء من الشاة القرناء"^(٢) ، وقال ﷺ : "إذا خلص المؤمنون يوم القيامة من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهدبوا أذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدكم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله في الدنيا"^(٣) .

يبين النبي ﷺ أن أصحاب الحقوق يوم القيامة يتقاصون فيما بينهم فيأخذ كلَّ منهم حقه ، حتى إذا هذبوا من المظالم التي بينهم أمر لهم بدخول الجنة .

أما ما يتعلق بباقي شروط التوبة فهي : الإقلاع عن المعصية في الحال ، والندم على المعصية ، والعزم على أن لا يعود إلى مثل تلك المعصية أبداً في المستقبل^(٤) .

ولا بد للتوبة من استحضار القلب فقد ذكر البعض للتوبة ستة معانٍ : "على الماضي من الذنوب بالندامة ، وعلى تضييع الفرائض الإعادة ، وعلى استحلال المظالم بردها إلى أصحابها ، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، وإذابة النفس مرارة الطاعة كما أدقتها حلوة المعصية ، والبكاء ندماً وخوفاً بدل كل ضحكة ضحكته في ظل المخالفة"^(٥) .

(1) انظر التسهيل لتأويل التنزيل ، تفسير سورة آل عمران ، مصطفى العدوي ، ص ٢٢٨ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ح (٢٥٨٢) ، ج ٤ ، ص ١٩٩٧ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب قصاص المظالم ، ح (٢٤٤٠) ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .

(4) انظر منبر الإسلام ، العدد ٤ ، السنة ٤٥ ، ربيع الآخر .

(5) منبر الإسلام ، العدد ٩ ، التوبة والإنابة وسيلة وغاية للشيخ محمد عبد الواحد ، ص ١٠٠ .

المطلب الثالث

دور العمل الصالح في إجابة الدعاء وقبول الأعمال

لقد دعا - سبحانه وتعالى - عباده المؤمنين إلى العمل الصالح ، والعمل الصالح بدون عقيدة هباء منثور ، فالعمل الصالح هو الذي يجعل المسلم أهلاً لقبول دعوته ، قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (فاطر: ١٠) .

فالكلم الطيب المقبول عند الله - سبحانه وتعالى - هو التوحيد ، وقراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعاء وغيرها من أعمال البر (١) .

قال ابن عباس : "إن العبد المسلم إذا قال : سبحان الله وبحمده ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله ، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن" (٢) .
والعمل الصالح شرط في قبول الكلم الطيب ، فالعبد إذا قال لا إله إلا الله بنية صادقة نظرت الملائكة إلى عمله ، فإن كان عمله موافقاً لقوله ، صعد جميعاً وإن كان عمله مخالفاً وقف قوله حتى يتوب من عمله (٣) .

فالذي يرفع الكلم الطيب هو العمل الصالح ، ولا يقبل الله الكلم الطيب إلا مع العمل الصالح ، وصلاح العمل هو الإخلاص فيه ، فلا يقبل الله صلاة ولا صياماً ولا زكاة وغيرها من أعمال البر إذا لم تكن لله (١) .

(1) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج ٢٢ ، ص ١٤٦ ، التفسير المنير ، ج ٢٢ ، ص ٢٣٦ ، تيسير الكريم الرحمن ، ج ٣ ، ص ٣٠٣-٣٠٤ .
(2) جامع البيان في تأويل القرآن بتصرف يسير ، ج ٢٢ ، ص ١٤٦ .
(3) انظر أحكام القرآن لابن العربي ، ج ٤ ، ص ١٦٠٦ ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٤ ، ص ٣٣٠-٣٣١ ، التفسير الكبير ، ج ٢٦ ، ص ٩ .

والله - سبحانه وتعالى - لا يقبل عملاً غير مرتكز على عقيدة سليمة ، قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٣) ، فتوحيد الله هو أساس كل عمل ، فالكافر عمله مردود لأنه لا يؤمن بالله - سبحانه وتعالى - فيكون عمله هباءً منثوراً كالسراب يحسبه الظمان ماءً ليرتوي منه فعندما يصل إليه لا يجد الماء ولكنه يجد عمله الذي قدمه . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَاءً حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور: ٣٩) .

والدعاء المستجاب لا بد أن ينبع من إيمان بالله - سبحانه وتعالى - عقيدة صحيحة خالية من الشرك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦) .

يبين - سبحانه وتعالى - فضله على عباده وأنه قريب منهم ، مجيب لهم دعواتهم إذا دعوه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠) .

فالعبد إذا رفع يديه إلى الله فإن الله - سبحانه وتعالى - لا يردهما خائبتين عن سلمان الفارسي (٢) عن النبي ﷺ قال : "إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يده أن يردهما صفراً خائبتين" (٣) .

والأمة الإسلامية اليوم في زمان تعد بالملايين ، يدعون الله ليلاً ونهاراً سراً وجهرًا ، ولكنه دعاء مردود ، لأننا مسلمون بالإرث ، ومؤمنون بالإسم ، فنحن وإن وعدنا إجابة الدعاء فإن أعمالنا سيئة وقلوبنا فاسدة ، ومعاملاتنا جائرة ،

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ١١ ، ص ٣١١ ، التفسير المنير ، ج ٢٢ ، ص ٢٣٦ .

(2) سلمان الفارسي أبو عبد الله ويقال له سلمان الخير ، من أصبهان أول مشاهده الخندق ، مات سنة أربع وثلاثين ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٢٤٧٧ ، ص ٢٤٦ .

(3) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات عن رسول الله ، باب في دعاء النبي ، ح (٣٥٥٦) ، ج ٥ ، ص ٣٧٨ ، سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب رفع اليدين في الدعاء ، ح (٣٨٦٥) ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ ، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، ح (١٧٥٧) ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

فكيف يستجاب الدعاء ، وكيف ننصر على الأعداء ، إن أساس الإجابة صلاح الأعمال ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ فمن صلحت أعماله أجيب دعاؤه ، ومن فسدت أعماله رد دعاؤه .

فلا عجب أن يسلط الله على الأمة الإسلامية أمة الكفر الذين لا يراعون للمسلمين عهداً ولا ميثاقاً ، ولا يحترمون لهم كلمة ، فيبقوا أذلاء في الأرض بلادهم مستعمرة ما داموا يأتزمون بغير أمر الله ، يأتزمون لأوامر الهوى والشيطان ، منغمسين في الشهوات والمعاصي ، مبتعدين عن أحكامه وتعاليم دين الله الحنيف .

فالسعادة في هذه الحياة الدنيا ، وفي الدار الآخرة طريقها واضح ، وهو الالتزام بالقرآن ، والعمل بسنة رسول الله ﷺ ، فمن فعل ذلك أمده الله بالنعيم والبنين والجنات والأنهار والنصر والتمكين (١) .

إن كثرة الاستغفار ، والاستقامة على دين الله وعلى شرعه ، مدعاة لقبول الدعاء والتوسيع في الرزق ، قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ (نوح : ١٠-١٢) .

لقد أمر الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين أن يأكلوا طيباً ، وأن يعملوا صالحاً حتى يستجاب لهم الدعاء ، ويتقبل الله - عز وجل - منهم الأعمال ، قال رسول الله ﷺ : " يا أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين " ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، فأنى يستجاب له بذلك " (٢) .

(1) انظر إصلاح الوعظ الديني ، محمد الخولي ، ص ١٤٠ .

(2) انظر تخريج الحديث ، ص ٢١ من هذا البحث .

فالأكل الطيب والابتعاد عن طريق الشيطان سبب في إجابة الدعاء ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : تليت هذه الآية عند النبي ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا ﴾ فقام سعد بن أبي وقاص (١) فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال : "يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده ، إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به" (٢) .

فالمأكل والمشرب والملبس الحلال يطهر القلب ويجعل دعاءه مقبولاً عند الله - سبحانه وتعالى - وهذا ما حرص عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم (٣) فأبو بكر رضي الله عنه كان لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً ولا يلبس ثياباً ، ولا يفتني متاعاً إلا إذا عرف أنه من طريق حلال ، حتى يبارك الله له فيه ، وفي يوم اشتد الجوع بأبي بكر رضي الله عنه فأكل من الطعام الذي أحضره له الخادم من دون أن يسأل عن مصدره ، فوضع أبو بكر اللقمة في فيه ، فعلم بعدها أنها من حرام ، فوضع أبو بكر أصبعه في فيه وجعل يتقيأ ما أكل وهو يقول رضي الله عنه والله لو لم تخرج إلا مع روعي لأخرجتها ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : "كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به" ، ولقد خشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقيمات الحرام ، فأصير بسببها إلى النار (٤) .

ثم إن شكر النعمة والعمل الصالح موجب لقبول الدعاء ، ويتمثل ذلك في قول الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ

(1) سعد بن أبي وقاص ، مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، مات سنة خمس وخمسين ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٢٢٥٩ ، ص ٢٣٢ .

(2) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ، ح (١٨١٢) ، ج ٤ ، ص ٢٩٢ .

(3) انظر مجلة سلسلة البحوث الإسلامية ، الدعاء للدكتور محمد طنطاوي ، العدد ٨٤ ، ص ٦٤ .

(4) انظر المرجع السابق ، ص ٦٧ .

لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٨-١٩﴾ (النمل : ١٨-١٩) .

فالعَمَل الصالح هو فضل من الله يوفق إليه من شكر نعمته من عباده الصالحين والإكثار من الاستغفار والذكر والتوبة ، والإنابة إليه هو رأس الأعمال الصالحة التي تزكوا بها النفوس ، وتطهر القلوب ، وتستيقظ بها الضمائر ، وتصفوا بها المشاعر ^(١) ، قال تعالى : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٣٥) .

وقال ﷺ : "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب" ^(٢) .

فكثرة الاستغفار تفرج عن الإنسان الهم الذي يصيبه ، وتجعل له مخرجاً من كل سوء ، ومن الأعمال الصالحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن الامتناع عن ذلك سبب في عدم قبول الدعاء ، بل مدعاة لنزول العقاب والعذاب من عنده سبحانه وتعالى .

عن حذيفة بن اليمان ^(٣) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" ^(٤) .

ينبغي على المؤمن أن يتأدب مع الله تعالى وذلك بعدم استعجال إجابة الدعاء ، ولقد أمر الله عباده بالدعاء ووعدهم بالإجابة ، والإجابة حاصلة ، ولكن

(1) انظر مجلة سلسلة البحوث الإسلامية ، الدعاء للدكتور محمد طنطاوي ، العدد ٨٤ ، ص ٥٨ .

(2) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار ، ح (١٥١٨) ، ج ٢ ، ص ٦٥٥ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ١٩٩ ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

(3) حذيفة بن اليمان صحابي جليل من السابقين في الإسلام ، مات في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ١١٥٦ ، ص ١٥٤ .

(4) سنن الترمذي ، كتاب الفتن عن رسول الله ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ح (٢١٦٩) ج ٤ ، ص ٢١٥ ، حسنه الألباني في كتاب صحيح الجامع الصغير ، ح (٧٠٧٠) ، ج ٢ ، ص (١١٨٩) .

لها صور عدة وهي : إما أن يعجل الله إجابة الدعاء في الدنيا ، وإما أن يصرف عن الداعي من البلاء بقدر هذه الدعوة ، وإما أن يدخر للداعي أجر هذه الدعوة يوم القيامة .

عن عبادة بن الصامت ^(١) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم : إذا نكث ، قال : الله أكثر " ^(٢) .

فالدعاء من أنفع الأدوية للمؤمن ، وهو سلاح المؤمن وعدو البلاء ، فإما أن يكون الدعاء أقوى من البلاء فيدفعه ، وإما أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه فيصاب به العبد ، وإما أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما الآخر ^(٣) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما ينزل ، ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان (بمعنى يتصارعان) إلى يوم القيامة " ^(٤) .

فالدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه ، وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف أثر الدعاء لضعف في نفس الداعي ، وذلك بأن يكون الدعاء لا يحبه الله ، لما فيه من العدوان على عباد الله ، وإما لضعف القلب ، وعدم إقباله على الله ، وإما أن يستعجل إجابة الدعاء فيسأم من الدعاء ثم ينقطع عنه ^(٥) .

(1) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي وممن شهد بدرًا ، توفي بالرملة سنة أربع وثلاثين ، وقيل أنه عاش إلى خلافة معاوية ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٣١٥٧ ، ص ٢٩٢ .

(2) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات عن رسول الله ، باب في انتظار الفرج وغير ذلك ، ح (٣٥٧٣) ، ج ٥ ، ص ٣٨٦ ، قال الترمذي حديث حسن صحيح .

(3) انظر الجواب الكافي لابن القيم الجوزية ، ص ١٨ .

(4) صحيح الجامع الصغير ، ح (٧٧٣٩) ، ج ٢ ، ص ١٢٧٩ حسنه الألباني .

(5) انظر الجواب الكافي لابن القيم ، ص ١٦-٢٠ .

شروط إجابة الدعاء :

لإجابة الدعاء شروط منها :

١- إخلاص النية في الدعاء إلى الله لقول النبي ﷺ : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" (١) .

٢- أن يدعو الله بأحسن الأسماء ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٠) .

٣- أن يظهر الافتقار إلى عفو الله ومغفرته ورحمته .

٤- أن لا يدعو بإنثم أو قطيعة رحم ، ولا بما يستعين به على معاداة الله (٢) .

فلا بد للعبد أن يبقى دائماً بين الخوف والرجاء ، فإله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبد خيراً أنساه رؤية طاعاته ، ورفعها من قلبه ولسانه ، فإذا ابتلي بالذنب جعله نصب عينيه ، ونسي طاعاته وجعل همه كله بذنبه ، فلا يزال ذنبه أمامه إذا قام أو قعد أو غدا أو راح ، فيكون هذا عين الرحمة في حقه ، يستغفر ويتضرع ويرجع إلى الله فيكون ذلك سبباً في رحمته .

أما إذا عمل الحسنة ، وأخذ يمن بها على الله ويراها ويعتد بها على ربه ويتكبر بها ، ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونهم عليها فلا تزال هذه الأمور حتى تقوى عليها آثارها فتدخله النار (٣) .

المطلب الرابع

الصالحون أولياء الله

الصلاح سمة من سمات الإيمان ، فمتى تحصل الإنسان على الإيمان كان من عباد الله الصالحين ، فإله سبحانه وتعالى يدافع عن أوليائه الصالحين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (الحج: ٣٨) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ح ١ ، ج ١ ، ص ٣ .

(٢) انظر تفسير القاسمي ، ج ٣ ، ص ٩٤ .

(٣) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

وجاء في الحديث القدسي عن النبي ﷺ قال : "إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته فكنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته" (١) .

فالتطاعات والمداومة عليها هي التي تقرب العبد من ربه ، فإذا قرب منه كان في حمايته ورحمته ، لا يخاف إذا خاف الناس ، ولا يجزع إذا جزع الناس ، ولا يبيت في هم إذا بات الناس في هموم ، قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤) .

فلا ولاية بغير الإيمان بالله ، ولا تتحقق الولاية إلا بمراقبة الله ، واتقاء محارمه ، والتوكل عليه ، والرجاء فيه ، وقطع كل رغبة فيما سواه ، وذلك هو الذي يحقق التقوى ، التي هي ثمرة الأعمال الصالحة .

أولياء الله هم الذين جعلوا ولاءهم لله وحده ، لا لغيره وقدموا محبته على كل شيء ، على النفس والأهل والمال والولد ، فمن اتخذ الله ولياً له اتخذ الله ولياً (٢) ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (المائدة: ٥٤) .

وبين ذلك ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً ، دعا جبريل

(1) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ح (٦٥٠٢) ، ج٧ ، ص ٢٤٣ .

(2) انظر التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، ج١١ ، ص ١٠٣٩-١٠٤٠ .

فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال فيبغضونه ، ثم توضع له البغضاء في الأرض" (١) .

فالله - سبحانه وتعالى - يتولى عباده المؤمنين الصالحين ويجعل لهم القبول والحب في الأرض ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٦) ، فالله سبحانه وتعالى يتولى الصالحين الذي صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم ، فالمؤمنون الصالحون عندما تولوا ربهم وآمنوا به واتقوه ، ولم يتولوا غيره تولاهم الله وأعانهم على ما فيه الخير والمصلحة في دينهم ودنياهم ، ودفع عنهم كل مكروه (٢) .

كان عمر بن عبد العزيز لا يدخر شيئاً لأولاده ، فدُعي لأن يجعل من ماله نصيباً لأبنائه ، فقال رضي الله عنه ، ولدي إما أن يكون من الصالحين أو من المجرمين ، فإن كان من الصالحين فوليه الله ، ومن كان له ولي فلا حاجة له إلى مالي ، وإن كان من المجرمين ، فقد قال تعالى : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ (القصص: ١٧) ، ومن رده الله لم أشتغل بإصلاح حاله (٣) .

فصفة الولاية تأتي بعد صفة الإيمان حيث قال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ فالإيمان يأتي أولاً ، ثم التقوى ، ثم الولاية ، فلا ولاية بغير التقوى ، ولا تقوى إلا بعد الإيمان ، لذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس: ٦٤) .

فجعل الله عز وجل لهؤلاء الأولياء البشرى في الدنيا بين الناس بالكلمة الطيبة لحسن سيرتهم ، واستقامة طريقهم ، وحفظ جوارحهم من المظالم ، فرضا الناس عن إنسان وحسن ظنهم به هو دليل على أنه من أهل الخير والتقوى

(1) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبداً ، حبه إلى عباده ، ح (٢٦٣٧) ، ج ٤ ، ص ٢٠٣٠ .

(2) انظر التفسير الكبير ، ج ١٥ ، ص ٧٧ ، تيسير الكريم الرحمن ، ج ٣ ، ص ١٣٢ ، التفسير المنير ، ج ٩ ص ٢١١ .

(3) انظر التفسير الكبير ، ج ١٥ ، ص ٧٧ .

والصلاح ، وأنه على طريق الاستقامة والتقوى (١) .

ومن أمثال هؤلاء الصالحين الذين ذكرهم الله - عز وجل - في القرآن ،
العبد الصالح مع موسى - عليه السلام - الذي آتاه الله من عنده رحمة وعلماً
وكرامات لم يعطها لنبي الله موسى - عليه السلام - ومن هذه الكرامات علمه
بالغيب ، فعندما ركب السفينة وخرقها ، تساءل موسى - عليه السلام - عن
خرق السفينة ، فبين له العبد الصالح أن هناك ملكاً ظالماً يأخذ كل سفينة غصباً .
وعندما قتل العبد الصالح الغلام ، كان ذلك في نظر موسى - عليه
السلام - جريمة فبين له العبد الصالح ، أن هذا الولد سوف يسيء إلى أهله ،
وأمره الله بقتله قبل البلوغ حتى لا يفتن أهله ، وسوف يدخل هذا الولد الجنة .
وحين دخل موسى - عليه السلام - بصحبة العبد الصالح إلى القرية ،
واستطعما أهلها فرفضوا أن يطعموهما ، قام العبد الصالح ببناء الجدار الآيل
للسقوط في تلك القرية ولم يكن يعلم موسى - عليه السلام - أن رجلاً صالحاً قد
مات وترك لأولاده كنزاً تحت هذا الجدار ، فبناه بناية لزمان مؤقت حتى يبلغ
الأبناء سن الرشد فيقع الجدار ، ويجد الأبناء ما ترك لهم والدهم من كنز ،
ولا يجروء أهل القرية الاستيلاء والسطو عليه (٢) .

فالله - سبحانه وتعالى - يحافظ على أوليائه وعلى ذريتهم من أن تمسهم
أيدي الظالمين ، كما بين ذلك - سبحانه وتعالى - في الحديث القدسي قال :
"..... كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي
يبطش بها".

فإذا أفاض الله - سبحانه - على بعض خلقه هبات من الكرامات ، فعلى
العباد الذين اختصهم الحق - سبحانه - بذلك أن يحسنوا الأدب مع الله ، وألا
يتفاخر الواحد منهم بعطاء الله - سبحانه وتعالى - له ، فالمباهاة بالكرامات
تضيعها ، ويسلبها الحق - سبحانه - من الذي يتبجح بها ، ويتفاخر ويتباهى ،

(1) انظر التفسير القرآني للقرآن ، ج ١١ ، ص ١٠٤١ .

(2) انظر تفسير الشعراوي ، ج ١٠ ، ص ٦٠٣٦-٦٠٣٧ .

فمن تظاهر بالكرامة ليس له كرامة (١) .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاوتون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى .
فالأبرار إما أن يكونوا أصحاب يمين ، وإما أن يكونوا سابقين ومقربين ، فأصحاب اليمين هم المتقربون إلى الله بالفرائض ، يفعلون ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم .

أما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات ، فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقدر عليه من محبوباتهم ، أحبهم الله - سبحانه وتعالى - حباً مطلقاً (٢) كما قال ﷺ : "ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه" .

ولا يشترط أن يكون أولياء الله الصالحون معصومين من الخطأ ، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، ولم يؤثم النبي ﷺ المجتهد بل له الأجر على اجتهاده ، وخطأه مغفور له ، ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقي إليه في قلبه ، إلا أن يكون موافقاً لما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وإن خالف القرآن الكريم والسنة المطهرة لم يقبله الشارع الحكيم (٣) .

أما إذا بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس مؤمناً ولا ولياً لله تعالى كالأخبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم ، وبعض المنتسبين إلى المكاشفات وخوارق العادات كالسحرة والكهنة ، فهم ليسوا بأولياء ، ولكنهم عباد للشيطان (٤) ، قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ

(1) انظر تفسير الشعراوي ، ج ١٠ ، ص ١٠٣١-٦٠٣٢ .

(2) انظر تفسير القاسمي ، ج ٩ ، ص ٥٣-٥٤ .

(3) انظر المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٥٧ .

(4) انظر نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٥٢ .

وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣) .

فلا بد أن تكون ولاية الإنسان نابعة من طاعة الله ورسوله ، قال تعالى :
﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٩-٧٠) .
سبب النزول :

"عن عائشة قالت : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنك لأحب إليّ من نفسي ، وإنك لأحب إليّ من ولدي ، وإنني لأكون في البيت فأذكرك ، فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا زكرت موتي ، وموتك ، وعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإنني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ " (١) .

فحب الإنسان للرسول ﷺ يستلزم من المحب أن يكثر من طاعة الله ورسوله ، وأن يخلص في العبادة لله وحده ، وأن يكثر من السجود له سبحانه وتعالى .

عن ربيعة بن كعب الأسلمي (٢) قال : كنت أبيت عند رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي : "سل ، فقلت : يا رسول الله : أسألك مرافقتك في الجنة ، فقال : "أو غير ذلك" قلت هو ذلك ، قال ﷺ "فأعني على نفسك بكثرة السجود" (٣) .

إن منزلة الصلاح والولاية ليست خاصة بالصحابة رضوان الله عليهم ، الذين آمنوا بالنبي ﷺ وشاهدوه ، ولكن أولياء الله الصالحين في كل زمان فمن آمن بالنبي ﷺ ولم يره ، فإنه يكون في أعلى درجات الجنة مع النبيين والصديقين

(1) لبان النقول في أسباب النزول ، ص ٨٨ .

(2) ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي ، أبو فراس المدني ، من أهل الصفة ، توفي سنة ثلاث وستين ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ١٩١٦ ، ص ٢٠٨ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه ، ح (٤٨٩) ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .

والشهداء والصالحين .

عن أبي سعيد الخدري ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : "إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب وتفاضل ما بينهم قالوا : يا رسول الله : تلك منازل الأنبياء ، لا يبلغها غيرهم ؟ قال بلى ! والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" ^(٢) .

فإنه - سبحانه وتعالى - يرشد أوليائه لفعل الخيرات ، ويبيدهم عن الضلالات التي تدخل الإنسان في سخط الله ، فيخرجه من الظلمات إلى النور ، فيصبح المؤمن يرى بنور الله ، ولا يمشي إلا بمعوية الله ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧) .

(1) هو عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي ، توفي وعمره سبع وسبعون سنة ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٣٨٧٤ ، ص ٣٤١ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ترائي أهل الجنة ، أهل الغرف كما يرى الكوكب ، ح (٢٨٣١) ، ج ٤ ، ص ٢١٧٧ .

المبحث الثالث

حال المقصرين في عمل الصالحات

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : اغترار المقصرين بأعمالهم في الحياة الدنيا .
- المطلب الثاني : تمنى المقصرين العمل الصالح عند الاحتضار .
- المطلب الثالث : تمنى المقصرين العود إلى الدنيا لعمل الصالحات .

المطلب الأول

اغترار المقصرين بأعمالهم في الحياة الدنيا

لقد حذر الله - سبحانه وتعالى - عباده أن يغتروا بأعمالهم في الحياة الدنيا وأن ينشغلوا بها على حساب الآخرة .

إن اغترار المقصرين قد يكون بالعمل الصالح أو بالعمل السيء .

أولاً : اغترار المقصرين بالعمل الصالح :

يحذر النبي ﷺ أمته أن يغتروا بعملهم الصالح في الدنيا ، وأن عملهم كفيلاً بإدخالهم جنة الله تعالى ، فقد ضرب لنا ﷺ نموذجاً من الأمم السابقة أن رجلاً عبد الله خمسمائة عام وطلب دخول الجنة بعمله ، ورفض أن يدخل الجنة برحمة الله ومغفرته ، فنصبت الموازين فكانت نتيجة عمله أنها لم توازِ نعمة البصر التي أنعمها الله عليه .

قال ﷺ : "خرج من عندي خليلي جبريل آنفاً فقال : يا محمد ! والذي بعثك بالحق إن لله عبداً من عبيده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر فسأل ربه عز وجل عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه وهو ساجد ، قال : ففعل ، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة ، فيوقف بين يدي الله - عز وجل - فيقول له الرب : أدخلوا عبيدي الجنة برحمتي فيقول : يا رب بل بعلمي ، فيقول له الرب : أدخلوا عبيدي الجنة برحمتي فيقول : رب بل بعلمي ، فيقول الله - عز وجل - للملائكة : قايسوا عبيدي بنعمتي عليه وبعمله ، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة ، وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه ، فيقول : أدخلوا عبيدي النار ، قال : فيجر إلى النار فينادي : رب برحمتك أدخلني الجنة ، فيقول : ردوه ، فيوقف بين يديه فيقول : يا عبي من خالقك ولم تكن شيئاً ؟ فيقول : أنت يا رب ، فيقول : كان ذلك من قبلك أو

برحمتي ؟ فيقول : بل برحمتك ، فيقول : من قواك لعبادة خمسمائة عام ؟ فيقول : أنت يا رب ، فيقول من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح ، وأخرج كل ليلة رمانة ، وإنما تخرج مرة في السنة ، وسألتني أن أقبضك ساجداً ففعلت ذلك بك ؟ فيقول : أنت يا رب ، فقال الله - عز وجل - : فذلك برحمتي ، وبرحمتي أدخلك الجنة . قال جبريل - عليه السلام - إنما الأشياء برحمة الله تعالى يا محمد" (١) .

إن منهج صحابة رسول الله ﷺ أنهم لا يأمنوا مكر الله تعالى ، فأبو بكر - رضي الله عنه - من المبشرين بالجنة ، وكان يقول : لو وضعت قدمي اليمنى في الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله .

هذا دأب المؤمن أن يكون في ازدياد في الطاعة من صلاة وزكاة وصيام وغيرها من أعمال البر ، ولا يتوقف عن فعل الطاعات كما يقول المثل الشائع (صلّ خمسك وولّ دربك) صل الخمس صلوات ثم افعل ما بدا لك ، إن هذا ليس من منهج الأنبياء ولا من منهج الصالحين ، إنه منهج المقصرين المغترين بأعمالهم على الله عز وجل .

ثانياً : اغترار المقصرين بعملهم السيء :

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر: ٨) .

إن من يغتر بعمله ويراه حسناً وهو سيئ ، ويرى الفساد صلاحاً ، ويرى الباطل حقاً ، ويرى كل خطوة من خطواته صلاح ، فمثل هذا كتب الله عليه الضلالة مستحقاً لها بما زين له الشيطان من سوء عمله (٢) .

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ، ح (١١٨٣) ، ج ٣ ، ص ٣٣٠-٣٣١ ، حكم عليه الشيخ الألباني بالضعف .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٩٢٧ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ (الكهف : ١٠٣-١٠٦) .

هذا خطاب عام من الله - عز وجل - لكل من عبد الله على غير طريقة مرضية ، يحسب أنه مصيب فيها وعمله مقبول وهو مخطئ ، وعمله مردود عليه (١) .

"فالكافر يأتي بالأعمال يظنها طاعات ، وهي في ذاتها معاصٍ ، وإن كانت طاعات فإنها لا تقبل منهم لأجل كفرهم" (٢) .

إن هذا الصنف من المترفين لا وزن له يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ ولقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقروا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً" (٣) .

إن المال سبب لترك الإيمان بالله والعمل الصالح ، فقارون كان من قوم موسى فتجبر عليهم وتكبر بكثرة الأموال التي رزقه الله - سبحانه وتعالى - إياها قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (القصص: ٧٨) .

حتى إن مفاتيح خزائنه لا يستطيع حملها من الرجال الأشداء الأقوياء ولكنه تفاخر بهذا المال ، قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (القصص: ٧٩) ، فكانت نتيجة كبريائه وغروره على رسل الله ، وعلى أوليائه أن

(1) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج ١٦ ، ص ٥٠ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ .

(2) التفسير الكبير بتصريف يسير ، ج ٢١ ، ص ١٤٨ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ... الآية ح (٤٧٢٩) ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ .

خسف الله به وبداره الأرض ، قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (القصص: ٨١) .

ولقد رد الله - سبحانه وتعالى - على من يغتر بماله وولده أنه لا وزن له في ميزان الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (سبأ: ٣٧) .

إن الأموال والأولاد لا تقرب من الله إلا بقدر ما يكون لأصحاب الأموال من إيمان بالله ، وإحسان في العمل ، وهذا قمة في العمل الصالح ، فهوؤلاء جزاؤهم الضعف بما نعموا به في الدنيا من الجاه والسلطان ، وبما قدموا للأخرة من عمل صالح يلقونه عند الله - عز وجل - فيجزون به الجزاء الأوفى (١) .

فالأكثر من مالا في الدنيا هم الأكثرون في جهنم إلا من أنفق مما أعطاه الله ولم يبخل على الفقراء والمساكين والمحتاجين .

عن أبي ذر (٢) - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : "الأكثر من مالا هم الأقلون يوم القيامة ، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ، وأشار بن شهاب (٣) بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، وقليل ما هم" (٤) .

إن أصحاب الأموال هم أكثر الناس اتباعاً للشيطان ، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ، وينفذون ما يمليه عليهم ، وإن خالفت الشرع .

(1) انظر التفسير القرآني للقرآن ، ج ٢٢ ، ص ٨٣١ .

(2) أبو ذر الغفاري الصحابي المشهور ، اسمه جندب بن جنادة ، مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٨٠٨٧ ، ص ٦٣٨ .

(3) موسى بن نافع الأسدي ، ويقال الهذلي ، أو شهاب الحنّاط ، مشهور بكنيته البصري ، تقريب التهذيب ، ترجمة ٧٠١٨ ، ص ٥٥٤ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب في الاستعراض وأداء الديون والحجر والتفليس ، باب أداء الديون ، ح (٢٣٨٨) ، ج ٣ ، ص ١١٣ .

عن عبد الرحمن بن عوف ^(١) عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الشيطان قال : لن ينجو مني الغني من إحدى ثلاث ، إما أن أزيهه في عينه فيمنعه من حقه ، وإما أن أسهل عليه سبيله فينفق في غير حقه ، وإما أن أحبيه فيكسبه بغير حقه" ^(٢) .

إن الخاسرين الذين ظلموا أنفسهم باتباعهم للشيطان ، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة وآثروا العيش والبقاء في دار الكفر ، عندما توافيهم المنية ، ويأتيهم ملك الموت يعتذرون ، ولكن بعد فوات الأوان .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ٩٧) .

سبب النزول :

"عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة قد أسلموا ، وكان يخفون الإسلام فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر ، فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون هؤلاء كانوا مسلمين ، فأكرهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾" ^(٣) .

يبين الله - عز وجل - حال المسلمين الذين آثروا البقاء في ديار الكفر بين ظهراني المشركين ، وتحملوا الذل والهوان والقهر ، وهم قادرون على التخلص مما هم فيه من كبت وإذلال بالهجرة إلى بلد يأمنون فيه على دينهم وأموالهم ، وأنفسهم وحتتهم أنهم مستضعفون في الأرض ، فعندما يأتي ملك الموت لقبض أرواحهم تساءلوا : ﴿ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ لماذا آثرتم البقاء على الهجرة ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ فكان اعتذارهم في وقت لا ينفع فيه الندم ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ فبإمكانكم الهجرة إلى الحبشة ، أو إلى المدينة ، وللحاق بإخوانكم المهاجرين ، والانضمام إلى صفوفهم

(1) عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، توفي سنة اثنتين وثلاثين ، تقريب التهذيب ، ترجمة ٣٩٧٣ ، ص ٣٤٨ .

(2) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للهندي ، ح (١٦٦٧٧) ، ج ٦ ، ص ٤٩٠ .

(3) لباب النقول في أسباب النزول ، ص ٩٤ .

ليزدادوا بكم قوة ومنعة ، فجزاء تخلفكم عن الهجرة جهنم وساءت مصيراً ، ذلك بسبب نصرتكم لأعداء الله على رسول الله ﷺ (١) .

المطلب الثاني تمني المقصرين العمل الصالح عند الاحتضار

يخبر الله - عز وجل - عن حال المقصرين المفرطين في الدنيا ، الذين انشغلوا فيها بجمع الأموال والجاه والمناصب ، وبالظلم والجبروت ، وبعدهم عن منهج الأنبياء ، وما دعوا إليه من عبادة الله ، واتباعهم سبل الشيطان .
يخبرنا سبحانه وتعالى عن حال المقصرين عند الموت ، عندما يرون أنهم غير مخلصين في هذه الحياة الدنيا ، وأن منية الله واقعة بهم لا محالة ، فالقرآن الكريم يصور لنا هذا المشهد ، والمقصر يتمنى الرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات .

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾
(المؤمنون: ٩٩-١٠٠) .

يبين الله - عز وجل - حال المفرطين عند قبض أرواحهم ، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا لعمل الصالحات ، لكي يصلحوا ما أفسدوه في حياتهم الدنيا (٢) .
﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ لعلني أعمل صالحاً فيما ضيعت ، أن أقول لا إله إلا الله ، وأن أعمل بطاعة الله ، وأصلي وأصوم ، وأتواضع بين يدي الله ، وما تمنى أحد الرجوع إلى الدنيا إلى أهله وعشيرته ،

(1) انظر تفسير القرآن الكريم ، عبد الله شحاته ، ج ٥ ، ص ٩٠٨ ، في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٧٤٤ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

ليجمع الدنيا ، ويقضي الشهوات ، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله ، فرحم الله امرءاً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب (١) .

لقد بين لنا - سبحانه وتعالى - حال المقصرين وما سيقولونه عند قبض أرواحهم ، فالعاقل الذي يُنزلُ نفسه أنه قد حضره الموت ، فاستأذن ربه ليعمل الصالحات فأذن له ، فليعمل بطاعة الله عز وجل (٢) .

إن هذه الكلمات لا بد أن يقولها كل محتضر ظالم لنفسه في الحياة الدنيا ، ولكنهم لو رجعوا إلى الحياة الدنيا لعادوا إلى ما كانوا عليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الأنعام: ٢٨) .

ولو رجع إلى الدنيا ليعمل صالحاً لرجع إلى كفره وظلم العباد والسلب والنهب ، وغيرها من الأعمال التي يقوم بها في حياته (٣) .

فكان الجواب من الله - سبحانه وتعالى - على طلبهم "كلا" حرف ردة وزجر من الله تعالى لعدم إجابته لما طلب .

ولقد صور لنا القرآن الكريم هذا المشهد مع فرعون عندما أدركه الغرق ، وعلم أن هناك إلهاً وأن هناك برزخاً وعذاباً وعقاباً ، وعلم أنه هالك إلى سخط الله ، تدارك نفسه ليؤمن بإله موسى - عليه السلام - قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ (يونس: ٩٠) .

فكان الجواب من الله - عز وجل - الجبار المنتقم من الطاغين والظلمة على سبيل الزجر والتوبيخ ﴿ آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ (يونس: ٩١-٩٢) .

إنها ساعة حاسمة يرى فيها الكافر مكانه في نار جهنم ، ومقعده في سجين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور ، تدخل عليهم في قبورهم حيات سود

(1) انظر معالم التنزيل ، ج ٣ ، ص ٣٧٤ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١٠ ، ص ١٤٧ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ١٠ ، ص ١٤٧ .

(3) انظر المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٤٦ .

- أو دهم - حية عند رأسه ، وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه ،
فذلك العذاب في البرزخ كالذي قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ
إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ (١) .

أما المؤمن فيرى فيها الخير الكثير يرى البشارة عند قدوم الملائكة لقبض
روحه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: ٣٠) .
هذه البشارة عند الموت يبشر الله بها أوليائه في الدنيا ساعة الاحتضار
وذلك لمن استقام على دين الله ، لمن آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً
ورسولاً ، لمن التزم بما عليه من واجبات ومندوبات ، والبشارة عند قبض روحه
هي ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .

أما بشرى الله - عز وجل - في الآخرة فكثيرة ، تبدأ من مغادرتهم
الحياة الدنيا إلى يوم القيامة ، وما بعد يوم القيامة ، وهم في روضات الجنات
يحبسون (٢) ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (الحديد: ١٢) .

وبيين - سبحانه وتعالى - أن سؤال الرجعة غير مختص بالكافر ، بل
يسألها المؤمن ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ *
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون: ١١) .

لقد بين الله - عز وجل - أن أحداً لا يموت حتى يعرف نفسه أهو من
أولياء الله أم من أعداء الله ، وذلك قبل نزول الموت وذواقه (٣) .

مناسبة الآية :

(1) مصنف بن أبي شيبة ، باب في المسألة في القبر ، ح (١٢٠٤٧) ، ج ٣ ، ص ٥٢ بمعناه .

(2) انظر التفسير القرآني للقرآن ، ج ١١ ، ص ١٠٤٢ .

(3) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ١٤٩-١٥٠ .

بعد أن بين الله - عز وجل - خصال المنافقين ووبخهم عليها ، حذر المؤمنين من أخلاق المنافقين ، ثم أمرهم أن ينفقوا من أموالهم في مجالات الخير ولا يؤخروا ذلك حتى يداهمهم الموت ، فيندموا ويطلبوا إطالة العمر حتى يتداركوا ما فاتهم من خير (١) .

إن المؤمن لا بد أن يكون على استعداد للموت في كل وقت ، فلا يؤخر أعمال الخير خوفاً من انتهاء الأجل ، فما من أحد يؤخر العمل الذي يسره الله لعمله لينال ثوابه إلا وهو معرض لأن يأتيه ويفاجئه الموت ، فعليه التحرز من هذا التفريط في كل وقت وحال ، فربما تعذر عليه التدارك بعد الفوات ، فإذا لم تطاوعه نفسه على العمل الصالح قبل الفوات ، فكيف يتمنى تأخير الأجل المحتوم (٢) .

المطلب الثالث

تمني المقصرين العود إلى الدنيا لعمل الصالحات

يبين الله - عز وجل - حال الخاسرين في الآخرة وهم يطلبون الرجعة إلى الدنيا لعمل الصالحات ، وذلك بسبب تقصيرهم في الحياة الدنيا ، وبعدهم عن دين الله عز وجل ، وعن رسل الله .

إن عمل الخاسرين كان من أجل الدنيا فقط ، نسوا نصيبهم من الآخرة ، وحاربوا دين الله بجميع الوسائل المتاحة لهم ، واتبعوا سبيل الشيطان ، فكانت نتيجة عملهم أن حرموا جنة الله الخالدة ، وحرموا شفاعة النبي ﷺ وهم يستغيثون في نار جهنم طلباً للشفاعة وطلباً للرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات .

قال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ (فاطر: ٣٧) .

مناسبة الآية :

(1) انظر التفسير المنير ، ج ٢٨ ، ص ٢٢٩ .

(2) انظر التحرير والتنوير ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٦ .

عندما بين - سبحانه وتعالى - حال السعداء الذين آمنوا بما أنزل الله ، وآمنوا برسوله ، وعملوا بما فيه طاعة الله تعالى ، وورثوا بسبب ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار يتنعمون فيها ، أتبعهم بذكر الأشقياء ، وعدم طاعتهم الله ورسوله ، وعدم إيمانهم بكتاب الله المنزل ، فكان مصيرهم جهنم يقاسون حرها ، لا يموتون فيها ولا يحيون ، قال ﷺ : "أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون" (١) .

إن الكفار ينادون وهم في النار ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا العمل الصالح من عبادة ، كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، والله - سبحانه وتعالى - يعلم أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا ﴿ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾ فقد عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم من ينتفع بالحق ، لانتفعتم به في مدة عمركم (٢) .

إن الكافر يتمنى يوم القيامة أنه لو آمن برسل الله طمعاً في شفاعتهم ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ (الأعراف: ٥٣) .

إن الكافر إذا عاين الحقيقة يوم القيامة ، أقر بما جاءت به الرسل ، ولكن بعد فوات الأوان ، في اليوم الذي يحتاج الخلق إلى رحمة الله ومغفرته ويحتاج إلى من يشفع لهم لينقذوهم من عذاب الله ، أو يردوا إلى الدنيا ليصدقوا الرسل ، ويعملوا بما يرضي الله سبحانه وتعالى (٣) .

فحكمة الله قضت أنهم مخلدون في النار لا يموتون فيها ولا يحيون ، قال تعالى : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ (فاطر: ٣٦) ،

(1) انظر إيضاح القرآن بالقرآن ، ج ١ ، ص ٤١٥ .

(2) انظر التفسير الكبير ، ج ٢٦ ، ص ٢٧ .

(3) انظر إيضاح القرآن بالقرآن ، ج ١ ، ص ٤١٥ .

فهم على حالهم لا يرون في موتهم راحة لهم بل عذاب شديد ، قال تعالى :
﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾ (الزخرف: ٧٧) .

فطلب الكفار من الله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة الرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات قبول بالرفض ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة: ١٢-١٣) .

يبين الله - سبحانه وتعالى - فساد عمل الخاسرين في الدنيا ، فكما أن الله تعالى لم يهدم في الدنيا لعمل الصالحات ، لم يهدم في الآخرة لطلب المغفرة ، فما قالوا ربنا زدنا للمحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ، ونحن أحوج إلى تخفيف العذاب منهم إلى تضعيف الثواب ، فافعل بنا ما أنت أهله نظراً إلى فضلك ، ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظراً إلى عدلك ، وانظر إلى مغفرتك النازلة على عبادك ، ولا تنظر إلى أفعالنا الباطلة (١) .

لقد بين الله - عز وجل - حال الكافرين ، وكيف أقسموا في الحياة الدنيا أنه لا يوجد دار للجزاء ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ (إبراهيم: ٤٤-٤٥) .

ففي الآخرة يطلب الكفار من الله - سبحانه وتعالى - الرجوع إلى الدنيا لكي يقرؤا بتوحيد الله وبأسمائه الحسنی ، ويتبعوا الرسل فيما دعوا إليه من شرائع (٢) نادمين على ما فعلوا من المعاصي والتكذيب سائلين الرجعة في

(1) انظر التفسير الكبير ، ج ٢٦ ، ص ٢٧ .

(2) انظر تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، ج ١٠ ، ص ٣٧ .

غير وقتها ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾ وذلك من أجل التخلص من العذاب والله يعلم أنهم كاذبون في دعوتهم (١) .

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج٤ ، ص ١٤٩ .

الفصل الثاني

إصلاح المجتمع في السياق القرآني

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث

- التمهيد : واقع الأمة العربية قبل البعثة وبعدها .
- المبحث الأول : دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة
- المبحث الثاني : دعوة القرآن إلى إصلاح المجتمع .
- المبحث الثالث : الإصلاح التشريعي والمالي .

التمهيد

واقع الأمة العربية قبل البعثة وبعدها

أولاً : واقع الأمة العربية قبل البعثة .

ثانياً : واقع الأمة العربية بعد البعثة .

أولاً : واقع الأمة العربية قبل البعثة :

لقد كان العرب في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ على الديانة الحنيفية ، ثم بدلوا هذه العبادة بعبادة الأوثان ، فانحرفوا عن ديانة إبراهيم ﷺ التي سادت في شبه الجزيرة العربية ، وأول من بدل هذه الديانة هو عمرو بن لحيّ الذي كان محترماً في مكة ، مقدساً عند أهلها يشرع لهم فيقبلون شرعه ، ويبتدع لهم فيحسنون بدعته ، فكان أول من بدل دين إبراهيم وإسماعيل ودعا إلى عبادة الأوثان في الحجاز ^(١) ويدل على ذلك قول النبي ﷺ " رأيت عمرو بن عامر الخزاعي ^(٢) يجر قصبه ^(٣) في النار ، وكان أول من سيب السيوب ^(٤) " ^(٥) .

ولقد كان انحراف العرب في الجاهلية قبل الإسلام ذا شقين ، انحراف في العقيدة ، وانحراف في السلوك والأخلاق .

الشق الأول : انحراف في العقيدة :

كان الشرك هو دين العرب السائد فيما بينهم ، وكانوا يعتقدون أن الله خالق الأكوان ومدبر السموات والأرض ،بيده ملكوت كل شيء .
قال تعالى : ﴿ وَلئن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنى يُؤْفَكُونَ ﴾
(الزخرف:٨٧) .

- (1) انظر هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب - أبو بكر الجزائري ، ص ٣٠ .
- (2) عمرو بن لحيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ، من قحطان ، كنيته أبو ثمامة ، وفي نسبه خلاف شديد ، وهو عمرو بن عامر بن لحي ، ونسبه إلى جده ، ومنه من يسميه عمرو بن ربيعة ، ويجعل لحي لقباً لربيعة ، انظر الأعلام للزركلي ، ج٥ ، ص ٨٤ .
- (3) قصبه : هو اسم للأمعاء كلها . انظر النهاية في غريب الحديث ، ج٤ ، ص ٦٧ .
- (4) السيوب : كانوا إذا تابعت الناقصة بين عشر إناث لم يُركب ظهرها ، ولم يُجزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ولذها أو ضيف ، وتركوها مُسَيِّبة لسبيلها وسموها السائبة . النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص ١٠٠ .
- (5) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، ح (٢٨٥٦) ، ج٤ ، ص ٢١٩٢ .

﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦١) .

وكان العرب في الجاهلية يبحثون لهم عن وسطاء يتوسلون بهم إلى الله ،
وأشركوهم في الدعاء ، وقاموا لهم ببعض العبادات ، فاتخذوا الوسطاء
- الأصنام - آلهة من دون الله يعبدونهم ، ويعتقدون أن لهم مماثلة
ومشاركة في تدبير الكون ، وقدرة على النفع والضرر ، والخير والشر ،
والإعطاء والمنع (١) .

الشق الثاني : انحراف في السلوك والأخلاق :

كان المجتمع الجاهلي قبل مبعث النبي ﷺ يعاني من انحطاط في الأخلاق
ومن صور الانحطاط الأخلاقي :

١- شرب الخمر : وكان الشعراء يجتمعون على شربها ، وقد شغلت جانباً كبيراً
من شعرهم ، وتاريخ أدبهم ، وكثرت أسماؤها وصفاتها .

٢- القمار : كانت القمار منتشرة فيما بينهم ، فالرجل في الجاهلية يقامر على
أهله وماله ، فيفقد حزيناً، وينظر إلى ماله في يد غيره ، وأهله في بيت غيره ،
فكانت تورث بينهم العداوة والبغضاء والفتن .

٣- وكان الربا منتشراً فيما بينهم حتى أنهم لا يفرقون بينه وبين التجارة ،
قال تعالى : ﴿ ذَلِكِ بَأْتَهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ
وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (البقرة: ٢٧٥) .

٤- وأد البنات : وقد بلغت كراهة البنات إلى حد الوأد ، وكان ذلك منتشراً في
جميع القبائل العربية بلا رحمة ولا شفقة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ
سُئِلَتْ ﴾ (التكوير: ٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾
(النحل: ٥٨) .

(1) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ، ص ٦٢ .

٥- وكانت المرأة في الجاهلية عرضة لأكل حقوقها وابتزاز أموالها ، فكانت تورث كما يورث المتاع قال ابن عباس " كان الرجل إذا مات أبوه أو حميه فهو أحق بامرأته ، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدى بصدقها أو تموت فيذهب بمالها (١) .

٦- وكان الزنا منتشرًا وحانات الزنا مفتوحة ليلاً ونهاراً، ويدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها .

عن عروة بن الزبير (٢) أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته : أن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء . منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها . ونكاح الآخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح ، نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحببت باسمه ، فيلحق به ولدها ، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ، ونكاح رابع : يجتمع الناس الكثيرون فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها ، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً لمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها ، جمعوا لها ودعوا لهم القافة (٣) ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون

(١) انظر المرجع السابق ، ص ٦٥-٦٩ .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، فقيه مشهور مات أربع وتسعين في أوائل خلافة عثمان ، تقريب التهذيب ترجمة ٤٥٦١ ، ص ٣٨٩ .

(٣) بمعنى الجمع الكبير من الرجال الذين دخلوا عليها .

فالتأطته به ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمداً ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم (١) .

وبالرغم من انتشار هذه العادات السيئة في المجتمع الجاهلي ، إلا أن هناك عادات حميدة تبناها الإسلام ، وحث المسلمين عليها كالصدق ، والوفاء بالعهد ، واحترام الجوار ، والشجاعة ، وعدم قبول الذل والمهانة والصبر وغيرها من العادات الحسنة التي عرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام .

ثانياً : واقع الأمة العربية بعد البعثة :

لقد بعث الله - عز وجل - النبي ﷺ إلى الأمة الإسلامية ، بعد أن ساد فيها الظلام والكفر والشرك ، والشر والفساد ، فأحدث في نفوسهم انقلاباً كبيراً حولهم من مجتمع جاهلي إلى مجتمع مسلم ، قاد الأمة بكاملها إلى الإسلام ، وانتشر فيهم انتشار النور في الظلام ، فلم يبق بيت في شبه الجزيرة العربية إلا أصلح الله من شأنه ، وعمه الله بنور الإسلام ، فكانوا يقولون نحن أمة أعزنا الله بالإسلام ، وأعز الإسلام بنا ، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله .

لقد بعث الله - عز وجل - النبي ﷺ ليحث الناس على الإيمان بالله واليوم الآخر فجعل ميزان التفاضل بين الناس قائماً على الإيمان بالله ، فأصبح الناس أسرة واحدة ، بعد أن كانوا فرقاً وأحزاباً ، لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى (٢) .

قال ﷺ : " يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية (٣) الجاهلية وتعظمها بأبائها ، فالناس رجلان : رجل برّ تقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى " (٤) .

(1) صحيح البخاري ، كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي ، ح ٥١٢٧ ، ج ٦ ، ص ١٦٠ .

(2) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٠٩ .

(3) عبية الجاهلية : بمعنى الكبر والنخوة والفخر انظر النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(4) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة الحجرات ، ح ٣٢٧٠ ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ٢٨٠٣ ، ج ٦ .

لقد أحدث النبي ﷺ انقلاباً في نفوس المسلمين حتى كانوا يراقبون الله تعالى في جميع أفعالهم وأقوالهم ، فبعد أن كانوا في الجاهلية يرتكبون الزنا بدون قيود ولا حدود ، أصبح من يرتكب هذه الجريمة في ظل الإسلام يبحث عن تطهير نفسه ليفوز بجنة الله ورضوانه .

أتى معاذ بن مالك الأسلمي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني فرده ، فلما كان من الغد أتاه فقال : يا رسول الله إني قد زنيت ، فرده الثانية ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال : أتعلمون بعقله بأساً تتكرون منه شيئاً ؟ فقالوا : ما نعلمه إلا وفي العقل من صاحبنا فيما نرى ، فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله ، فلما كانت الرابعة حفر له حفرة ثم أمر فرجم .

فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني فردها فلما كان الغد قالت : يا رسول الله لم تردني ؟ لعلك أن تردني كما رددت معزاً ، فو الله إني لحبلى ، قال إما لا فاذهبي حتى تلدي ، قالت : فلما ولدت أنته بالصبي في خرقة ، قالت : هذا قد ولدته ، قال فاذهبي فأرضعيه حتى تطعميه ، فلما فطمته أنته بالصبي ، وفي يده كسرة خبز فقالت : هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام، دفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها ، فاستقبلها خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها ، فسمع نبي الله سبه إياها فقال : مهلاً يا خالد : فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس^(١) لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت^(٢) .

(1) مكس : بمعنى الضريبة التي يأخذها الماكس ، انظر النهاية في غريب الحديث ، ج ٤ ، ص ٣٤٩ .

(2) صحيح مسلم كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ، ح ١٦٩٥ ، ج ٣ ، ص ١٣٢٣ .

المبحث الأول دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة

ويشتمل على أربعة مطالب :

- المطلب الأول : اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح .
- المطلب الثاني : الإصلاح في علاج نشوز المرأة .
- المطلب الثالث : الإصلاح في علاج نشوز الرجل .
- المطلب الرابع : دور الآباء والأمهات في إصلاح الأبناء وتربيتهم .

المطلب الأول

اختيار الزوجة الصالحة و الزوج الصالح

إن الأسرة هي الأساس في بناء المجتمع الصالح ، لذلك رغب الإسلام في اختيار الأزواج على أساس الدين فالزوجة الصالحة و الزوج الصالح يعين بعضهم بعضاً على أمر الآخرة ، سئل النبي ﷺ : أي المال نتخذ ؟ فقال ﷺ : " ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً ، و زوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة " (١) .

إن السنة النبوية تحث المسلم على التزوج من المرأة الصالحة ذات الدين ليسعد بها في دنياه ، و تعينه على السعادة الآخروية .

عن أبي أمامة (٢) أن رسول الله ﷺ قال : " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، و إن نظر إليها سرته و إن أقسم عليها أبرته ، و إن غاب عنها نصحتة في نفسها و مالها " (٣) .

لقد أمر الله - سبحانه و تعالى - الآباء أن يزوجوا أبناءهم ذكوراً و إناثاً و أن ييسروا لهم سبل الزواج ، و أن يزيلوا أي عقبة تعترض الزواج .

قال تعالى ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٢) .

ومن واجب السيد أن يزوج الصالح من العبيد و الإماء ، جزاء له على صلاحه و ترغيباً له فيه (١) .

(1) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء ، ح ١٨٥٦ ، ج ٢ ، ص ٤١٣ ، و صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ٢١٧٦ ، ج ٥ ، ص ٢٠٨ .

(2) أبو أمامة البلوى حليف بني حارثة صحابي اسمه إياس ، و قيل عبد الله بن ثعلبة و قيل ثعلبة بن عبد الله أو ابن سهيل . انظر تقريب التهذيب ترجمة ٧٩٤٥ ، ص ٦١٩ .

(3) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء ، ح ١٨٥٧ ، ج ٢ ، ص ٤١٤ ، و وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة ، ح ٤٤٢١ ، ج ٩ .

والأصل أن يختار الرجل المرأة الصالحة ليتزوجها ، ولكن إذا وجد الرجل لابنته كفوًّا جاز له أن يخطبه لابنته ، ويتمثل ذلك في كتاب الله عندما عرض الرجل الصالح بنته على موسى عليه السلام .

قال تعالى ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القصص: ٢٦-٢٧).

لقد طلب الرجل الصالح من موسى عليه السلام أن يزوجه بنته ، وذلك لوجود خصلتين فيه ألا وهي القوة والأمانة ، وفي هذا دليل على عرض الولي بنته على الرجل ، وهي سنة قائمة^(٢) .

فالرجل الصالح يعرض على موسى عليه السلام نكاحاً لا يخل منه لبناء أسرة مسلمة صالحة في المجتمع ، فهذه الدعوة ليس فيها خجل ، ولا ما يدعو إلى التخرج ، والتردد والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تتحرف عن سواء هذه الفطرة ، فالرجل الصالح متى وجد الرجل المناسب ، بدأ هو بخطبته لابنته ، لا أن يمتنع الوالد أو ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه لابنته أو أخته أو قريبته ويتحتم أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذي يتقدم ، فلا يليق أن يكون العرض من جانب المرأة كما هو الحاصل اليوم .

ومن المفارقات التي تحصل في هذه البيئة المنحرفة أن الفتيان و الفتيات يلتقون ويتحدثون ، ويختلطون ويتكشفون على بعضهم البعض ، في غير ما خطبة ولا نية نكاح ، حتى يتم التعارف بينهم^(٣) .

لقد كان الآباء يعرضون بناتهم على عهد رسول الله ﷺ على من وجدوا فيهم صلاحاً ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه عرض بنته على أبي بكر رضي الله عنه ثم على عثمان رضي الله عنه ، ثم تزوجها رسول الله ﷺ^(١) .

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن ، ج ٥ ، ص ٤١٤ .

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ٢٧١ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٦٨٨ .

وكانت النساء يعرضن أنفسهن على رسول الله ﷺ ، قال أنس رضي الله عنه :
جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها ،وقالت : يا رسول الله :
ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس (٢) : ما أقل حياءها ، واسوأ تاه ، واسوأ تاه قال :
هي خير منك ، رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها (٣) .

يتبين من حديث رسول الله - ﷺ - جواز عرض المرأة نفسها على الرجل
الصالح وأنه لا عار عليها في ذلك ، بل فيه دلالة على فضيلتها ، أما إن كان
لغرض دنيوي فهو أمر قبيح (٤) .

لقد كرم الإسلام المرأة وحفظ لها حقها في اختيار زوجها ، واحترم إرادتها
وهذا الموقف من أدق المواقف في حياتها ، وأمسها بمستقبلها ، ويتجلى هذا
التكريم وهذه الحرية فيما يلي :

أولاً : إذن البنت في الزواج :

لقد أعطى الإسلام حق المرأة البكر في اختيار زوجها (٥) عن عائشة
رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ عن الجارية يُنكحها أهلها ، أتستأمر
أم لا ؟ فقال لها رسول الله ﷺ "نعم تستأمر" فقالت : فقلت له :إنها تستحي ، فقال
رسول الله ﷺ : "فذلك إننها ، إذا هي سكت" (٦) .

(1) انظر في ظلال القرآن ج ٥ ، ص ٢٦٨٨ ، مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لاصلاح الفرد والمجتمع محمد زينو ، ج ٣ ، ص ٣٦٣ .

(2) أمينة بنت أنس بن مالك الأنصاري روى عنها أبوها ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٨٥٣٧ ، ص ٧٤٣

(3) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، ح ٥١٢٠ ، ج ٦ ، ص ١٥٧ .

(4) انظر المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم ، عبد الكريم زيدان ، ج ٦ ، ص ٥٦ .

(5) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ، ج ٣٢ ، ص ٣٩ ، مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ .

(6) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب استئذان الثيب في النكاح ، ح ١٤٢٠ ، ج ٢ ، ص ١٠٣٧ .

ثانياً: البكر الصغيرة : يجوز للأب أن يزوج بنته الصغيرة بدون إذنها ، وكذلك البكر البالغ ليس لغير الأب والجد تزويجها بدون إذنها (١) قال تعالى ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ (النور : ٣٢) .

والأيم : هي الأنثى التي ليس لها زوج صغيرة كانت أم كبيرة ، فقد زوج أبو بكر ﷺ عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ وهي بنت ست سنين ، وبنى بها وهي بنت تسع سنين (٢) .

ثالثاً : المرأة البالغة الثيب : وهي التي تزوجت ثم فارقت زوجها فلا يجوز تزويجها بغير إذنها ورضاها (٣) ، لقوله ﷺ : " لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر " (٤) .

لقد وضع الإسلام شروطاً لاختيار الرجل زوجاً لابنته امتثالاً لقول النبي ﷺ : " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير " ، قالوا : يا رسول الله وإن كان فيه ؟ قال : "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، قال ذلك ثلاث مرات" (٥) .

إن أساس التفاضل هو الدين ، وصالح الأخلاق وكريم الأعمال ، فالفاسق ليس كفواً للصالحة ولو كان غنياً ، وكذلك المشرك ليس كفواً للمسلمة وإن كان معتدلاً .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلِأَمَةٍ مُّؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢١) .

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، ص ٢٧١ .

(2) انظر مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ .

(3) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ٣٢ ، ص ٤٠ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الحيل ، باب في النكاح ، ح ٦٩٦٨ ، ج ٨ ، ص ٨٠ .

(5) قال الترمذي حديث حسن لغيره ، كتاب النكاح عن رسول الله ﷺ باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ح ١٠٨٥ ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ .

لقد حرم الإسلام زواج المسلم من المشركة ، وزواج المسلمة من المشرك لعدم اجتماعهما على عقيدة واحدة .

إن دعوة المشركين والمشركات إلى النار ، بينما دعوة المؤمنين والمؤمنات هو طريق الله ، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه (١) .

إن على ولي المرأة أن يتحرى فيمن يريد زواجها منه عدة أمور :

١- الدين وحسن الخلق .

٢- القدرة على القيام بحقها من مآكل وملبس ومسكن .

٣- سلامته من العيوب والأمراض (٢) .

فعلى ولي المرأة أن يختار لابنته صاحب الدين حتى يكون عوناً للمرأة على أمور الآخرة ، ولا يكون اختياره على المظهر والشكل ، قال ﷺ : "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (٣) .

ولقد وضع لنا ﷺ ضوابط لاختيار الزوجة الصالحة ، وذلك لتكون أسرة صالحة تعمل على رقي المجتمع .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك" (٤) (٥) .

بواعث الزواج :

أولاً : الدين :

رغب الإسلام في زواج المرأة ذات الدين كما وضح ذلك ﷺ في الحديث السابق " فاظفر بذات الدين تربت يداك " ، فقد يسعى الإنسان إلى المرأة ذات

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(2) انظر مجلة الأزهر ، الإسلام والحياة الزوجية ، للدكتور محمود محمد رسلان ، ص ١٥١٣ ، ذي القعدة ١٤٠٧هـ ، يوليو ١٩٨٧م .

(3) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلوة والأدب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ، ح ٢٥٦٤ ، ج ٤ ، ص ١٩٨٧ .

(4) تربت يداك بمعنى التصقت بالتراب فإذا خالف صاحبة الدين فقد أساء الاختيار ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(5) صحيح البخاري ، باب الأكفاء في الدين ، ح ٥٠٩٠ ، ج ٦ ، ص ١٤٩ .

المال وذات الجمال وذات الحسب ، ولا يلتفت إلى ذات الدين ، لأنه مبهور بجمال المرأة وحسنها ومالها (١) .

فقد نهى النبي ﷺ عن زواج المرأة الحسناء وترك المرأة ذات الدين ، فلا بد أن يكون ترجيح الزواج من صاحبة الدين ، وإن كان على حساب الجمال أو المال أو غيرها من الصفات التي تكون في المرأة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
" لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حُسنهن أن يُردِيهنَّ ، ولا تزوجوهنَّ لأموالهن فعسى أموالهن أن تُطغيهنَّ ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء (٢) سوداء ذات دين أفضل " (٣) .

لقد بين ﷺ أن أفضل متاع في الدنيا هي الزوجة الصالحة ، قال رسول الله ﷺ :
" إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة " (٤) .

ثانياً : الجمال :

عندما رغب الإسلام في الزواج من ذات الدين لم يهمل الجمال ، فلو تساوت امرأتان في الدين ، فذات الجمال مقدمة ، لأن الجمال مطلوب في المرأة ولقد ندب الإسلام لمن يريد نكاح امرأة أن ينظر إليها قبل أن يخطبها من أهلها ويعقد عليها ، لأنه أدعى إلى اكتفاء زوجها بها ، وأبعد إلى التطلع إلى غيرها (٥) .

(1) انظر المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم ، ج ٦ ، ص ٤٤ .

(2) امرأة خرماء : بمعنى مقطوعة جزء من الأذن أو مخرومة الأذن ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(3) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب تزويج ذات الدين ، ح ١٨٥٩ ، ج ٢ ، ص ٤١٥ ، ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ، ح (١٠٦٠) ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .

(4) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء ، ح ١٨٥٥ ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ، حديث صحيح .

(5) انظر المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم ، ج ٦ ، ص ٤٦-٤٧ ، مجلة الأزهر ، السنة التاسعة والخمسون ، د. محمد رسلان ، ص ١٥١١-١٥١٢ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أي النساء خير ؟ قال : " التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره " (١) .
ثالثاً : نكاح البكر :

لقد رغب الإسلام في زواج البكر على الثيب ، إذا لم يوجد سبباً شرعياً لعدم الزواج ويدل على ذلك حديث جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ : " هل نكحت يا جابر ؟ قلت : نعم قال : " ماذا أبكراً أم ثيباً ، فقلت : لا ، بل ثيباً ، قال : " فهلا جارية تلاعبك ، فقلت : يا رسول الله إن أبي قتل يوم أحد وترك تسع بنات كن لي تسع أخوات ، فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء (٢) مثلهن ولكن امرأة تمشطهن وتقوم عليهن ، قال : أصبت " (٣) .
رابعاً : أن تكون المرأة حسيبة :

قال ﷺ : " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " .

فالحسب من شروط نكاح المرأة ، ففي حالة اختيار أحد الزوجين الآخر يراعي كل من الزوجين أصالة الشرف ، وأن تكون من أسرة عريقة عرفت بالصلاح وحسن الخلق (٤) .

وبين ﷺ أن على الزوج أن يختار المرأة الخالية من العيوب الخلقية فيها وفي أهلها ، فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن .

قال ﷺ " تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن " (٥) .

خامساً : أن تكون المرأة حانية على الصغار محافظة على مال زوجها :

-
- (1) سنن النسائي ، كتاب النكاح ، باب أي النساء خير ، ح ٣٢٣١ ، ج ٣ ، ص ٣٨١ ، حديث صحيح .
 - (2) خرقاء : بمعنى حمقاء جاهلة ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
 - (3) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب " إذ همت طائفتان منكم أن تقسلا والله وليهما " ، ح ٤٠٥٢ ، ج ٥ ، ص ٣٨ .
 - (4) انظر المفصل في أحكام المرأة ، ج ٦ ، ص ٥١ ، تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله علوان ، ج ١ ، ص ٣٢ .
 - (5) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، ح ١٩٦٨ ، ج ٢ ، ص ٤٧٤ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ١٠٦٧ ج ٣ ص ٥٦ ، حديث صحيح .

وعند اختيار الرجل المرأة ينبغي أن يلاحظ حنوها على الصغار ، وحسن تدبيرها وحفظها للمال .

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "نساء قريش خير نساء ركين الإبل ، أحناه على طفل ، وأرعاه على زوج في ذات يده" (١) .

ويمكن معرفة هذه الأخلاق في المرأة المراد خطبتها بمعرفة نساء عائلتها وقربياتها فالغالب سريان أخلاق وطباع الأقارب بعضهم إلى بعض (٢) .

سادساً : أن تكون المرأة وُلوداً :

رغب الإسلام في نكاح المرأة الولود ، وإن كانت بكرًا ومقصد الإسلام من ذلك إيجاد النسل الذي يذكر الله تعالى .

عن معقل بن يسار (٣) قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : "إني أصبت امرأة ذات جمال ، وحسب ، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟" قال : لا ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فقال ﷺ : "تزوجوا الولود الولود ، فإني مكأثر بكم الأمم" (٤) .

سابعاً : الاغتراب في الزواج :

لقد رغب الإسلام تفضيل المرأة البعيدة في نسبها على النساء ذوات النسب والقرباة حرصاً على نجابة الولد الخالي من العيوب ، وضمناً لسلامة جسمه من الأمراض والعاهات الوراثية، وتوسيعاً لدائرة التعارف الأسرية ، وتمتينا للروابط الاجتماعية .

(1) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ ﴾ ، ح ٣٤٣٤ ، ج ٤ ، ص ١٦٧ .

(2) انظر المفصل في أحكام المرأة ، ج ٦ ، ص ٥٢ .

(3) معقل بن يسار المزني صحابي ممن بايع تحت الشجرة وهو الذي ينسب إليه نهر معقل بالبصرة ، مات بعد الستين للهجرة ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٦٨٠٠ ، ص ٥٤٠ .

(4) سنن ابن داود ، كتاب النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء ، ح ٢٠٥٠ ، ج ٢ ، ص ٨٧٥ سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ٢٨٧ ج ١ ، ص ٥١٥ .

فقد أثبت علم الوراثة الحديث أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم والذكاء ، ويورث صفات خلقية ذميمة ، وعادات اجتماعية سيئة (١) .

المطلب الثاني

الإصلاح في نشوز المرأة

النشوز في اللغة : " يقال نشزت المرأة على زوجها فهي ناشيزٌ وناشيزة، إذا عصت عليه ، وخرجت عن طاعته ، ونشز عليها زوجها ، إذا جفاها وأضرَّ بها" (٢) .

النشوز في الاصطلاح : "هو كراهة كل واحد منهما صاحبه وسوء عشرته له" (٣) وقال جمهور الفقهاء : " النشوز عصيان المرأة زوجها والترفع عليه وإظهار كراهيته" (٤) .

ومن خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي ، يتبين أن نشوز المرأة هو ظهورها على زوجها واستعلاؤها عليه ، وإظهار كراهتها له وهي غير معتادة لذلك والله - سبحانه وتعالى - حدد مسؤولية كل من الرجل والمرأة وفي ذلك تعظيم لشأن الأسرة الصالحة الملتزمة بما لها من حقوق وما عليها من واجبات ، لأنها اللبنة الصالحة لبناء المجتمع ، فأعطى الرجل القوامة على المرأة لرجاحة عقله ، ولما عليه من تكاليف وأعباء يقوم بها تجاه الأسرة ، كالعمل والكد والإنفاق على الأسرة ، وأعطى المرأة رعاية البيت في غياب زوجها ورعاية أطفالها .

(1) انظر تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، ج ١ ، ص ٣٣-٣٤ .

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٥ ، ص ٥٦ .

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٥ ، ص ٥٦ .

(4) التحرير والتنوير ، ج ٥ ، ص ٤١ .

قال تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنِ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا * وَإِنِ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنِ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء: ٣٤-٣٥).

سبب النزول :

"إن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص ، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص ، فنزلت الآية : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ (طه : ١١٤) ، ونزلت الآية : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (النساء : ٣٤) (١) .

بين - سبحانه وتعالى - في هذه الآية صفات المرأة الصالحة التي تحفظ نفسها وبيتها ولا تستعلي على زوجها ، طاعة وقربة لله سبحانه وتعالى ، ثم طاعة لزوجها ، قال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (النساء: ٣٤) .

والصالحات هن المستقيمات على دين الله ، والعاملات بالخير ، والقانتات المطيعات لله ثم لأزواجهن ، والحافظات للغيب ، حافظات لأنفسهن في حال غياب أزواجهن عنهن في فروجهن وأموالهن ، والواجب عليهن من حق الله في ذلك وغيره (٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل لرسول الله ﷺ أي النساء خير ، قال : "التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره" (٣) .

(1) لباب النقول في أسباب النزول ، ص ٨١ .

(2) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ٨١ - ٨٢ .

(3) سنن النسائي ، كتاب النكاح ، باب أي النساء خير ح ٣٢٣١ ، ج ٣ ، ص ٣٨١ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ١٨٣٨ ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ .

وبعد بيان هذه المقدمة التي قدمتها لنا الآية الكريمة عن صفات النساء الصالحات بين لنا - سبحانه وتعالى - صفات النساء الناشزات وطرق علاجها . فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها ، التاركة لأمره ، المبغضة له ، والله - سبحانه وتعالى - أوجب حق الزوج عليها وطاعته ، وحرّم عليها معصيته لما له عليها من فضل (١) .

والله - سبحانه وتعالى - حرّم أن يسجد أحد لأحد ، ولو أمر أحداً بالسجود لأحد لكانت النساء أولى بالسجود لأزواجهن لما لهم عليهن من فضل ، قال ﷺ : "لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن" (٢) .

ومن مظاهر نشوز المرأة :

- ١ - عدم المبيت في فراش الزوج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها" (٣) .
- ٢ - الخروج من البيت والدخول فيه بغير إذن الزوج (٤) .
- ٣ - احتقار الزوج وامتهانه أمام أهلها ، وعدم طاعته ، قال ابن عباس " اللاتي تخافون نشوزهن " تلك المرأة تتشز وتستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره .
- ٤ - تثقيل أعباء الزوج بالنفقة والكسوة والزيارات وغيرها من أعباء الحياة (٥) .
- ٥ - تغيير المرأة بعد أن كانت مطيعة لزوجها وإعراضها عنه (١) .

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٢٤ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ٢٣ ، ص ٢٧٨ .

(2) سنن أبي داود كتاب النكاح ، باب في حق الزوج على المرأة ، ح ٢١٤٠ ، ج ٢ ، ص ٩١٧ ، حديث صحيح .

(3) صحيح مسلم كتاب النكاح باب تحريم امتناعها من فراش زوجها ، ح ١٤٣٦ ، ج ٢ ، ص ١٠٦٠ .

(4) انظر إصلاح الوعظ الديني محمد الخولي ، ص ٦٦ .

(5) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ٨٥ .

٦ - كراهية المرأة للزوج وامتناعها من المقام معه في البيت ، وإقامتها في مكان آخر لا يريد الإقامة فيه (٢) .

ومن أسباب نشوز المرأة :

١ - ومن نشوز المرأة أن يترك الرجل فراش زوجته بالشهر والشهرين والسنة ، لا يطأها ، وهذا من أوكد حق المرأة على زوجها بل أعظم من إطعامها ، فكما أن لها الحق أن يطعمها ويكسيها بقدر حاجتها فلها الحق أيضاً بأن يطأها (٣) .

٢ - قد يكون للمرأة الرغبة في التزوج برجل آخر (٤) .

٣ - سوء خلق الزوج فهو كثير السب والشتم والضرب (٥) .

فهذه نماذج من الأسباب الكثيرة التي تؤدي إلى نشوز المرأة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة أتته فقال : ما حق الزوج على امرأته ، فقال : "لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب (٦) ، ولا تعطي من بيته شيئاً إلا بإذنه ، فإذا فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ، ولا تصوم يوماً تطوعاً إلا بإذنه ، فإن فعلت أثمت ولم تؤجر ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت لعنتها الملائكة ، ملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى تتوب أو ترجع ، قيل : فإن كان ظالماً ؟ قال : وإن كان ظالماً (٧) .

طرق علاج النشوز بين الزوجين :

لقد وضع الشارع الحكيم طرقاً لعلاج النشوز بين الزوجين لاستمرارية الحياة الزوجية ولدوام الألفة والمحبة بينهما ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ

(1) انظر التفسير الكبير ، ج ١٠ ، ص ٧٣ .

(2) انظر البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٦٢٦ .

(3) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ٣٢ ، ص ٢٧١ .

(4) انظر التحرير والتنوير ، ج ٥ ، ص ٤١ .

(5) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (النساء : من الآية ٣٤) ج ١ ، ص ٤٩٦ .

(6) قتب : وهو ما يلف حول سنام البعير ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٤ ، ص ١١ .

(7) ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ج ٣٥١٥ ، ص ٨ .

نَشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا
عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حَكَمًا
مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿النساء ٣٤ - ٣٥﴾.

ومن هذه الطرق التي وضعها الشارع الحكيم لعلاج النشوز .

أولاً : الوعظ :

يبين - سبحانه وتعالى - أن أول طريق يسلكه الزوج في علاج نشوز
المرأة هو الوعظ لقوله تعالى ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ وذلك بتذكيرها بكلام الله عز وجل
وأمره إياها بتقوى الله وطاعته.

"والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة ، فمنهن من يؤثر فيها التخويف
من الله ، والترغيب في ثوابه ، ومنهن من ينفع معها التحذير من سوء العاقبة
كشماتة الأعداء والمنع من بعض الرغائب الدنيوية" (١) .

إن المرأة قد تكون جاهلة بأحكام الله تعالى ، وما يترتب عليها من عقاب
بسبب نشوزها فتذكيرها بآيات الله ، وأن طاعة الزوج فرض على المرأة ،
وتذكيرها بتهديد الله ووعيده وتحذيرها من سوء العاقبة ، يجعل المرأة تتراجع عما
هي فيه من عصيان للزوج واستعمال المرغبات وذلك بتحريك الإيمان في قلبها
وما لها من أجر بسبب طاعتها لزوجها(٢) .

"وهذه الإجراءات لا موضع لها في حالة الوفاق ، وإنما هي لمواجهة
خطر الفساد في الأسرة ، ولقد اعترضت امرأة: كيف يسمح الإسلام بضرب
المرأة ؟ فقيل لها : ولم وضعت نفسك في مكان المرأة المنحرفة الناشز؟" (٣) .

(1) من هدي سورة النساء حنان لحام ، ص ١٢٥ .

(2) انظر روح المعاني ، ج ٤ ، ص ٣٧ ، التفسير المنير ، ج ٥ ، ص ٥٦ ، من هدي سورة النساء ،
ص ١٢٥

(3) من هدي سورة النساء ، ص ١٢٧ .

فإذا لم تستجب المرأة لهذا الوعظ لإنقاذ الأسرة فإنه يستعمل معها الخطوة الجديدة .

ثانياً : الهجر في المضاجع :

إن الخطوة الثانية التي يسلكها الزوج في علاج نشوز الزوجة هجر فراشها وعدم مضاجعتها ، والمقصود بالهجر هو أن يكون الرجل والمرأة على فراش واحد ، ولكنه يوليها ظهره ولا يجامعها .

وقيل هو أن يكون الرجل والمرأة على فراش واحد ويطؤها ولا يكلمها .
وقيل هو هجر كلامها ويغظ لها بالقول ولا يدع جماعها ^(١) وسواء كان الهجر بأي من هذه الطرق ، فعلى الزوج أن يبين لزوجته غضبه وعدم رضاه منها حتى تشعر بخطئها وتراجع عما هي فيه .

ثالثاً: الضرب غير المبرح :

فإذا لم تستجب المرأة للوعظ ، والهجر فعلى الزوج أن يلجأ إلى الأسلوب الثالث وهو الضرب غير المبرح ومن وسائل الضرب السواك أو باليد على الكتف أو بعود خفيف ، فلا يكسر عظماً ولا يخدش وجهاً ، لأن المقصود من التأديب هو الإصلاح وليس الضرب في حد ذاته ^(٢) .

عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه خطب بعرفات في بطن الوادي فقال : " اتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، لکم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" ^(٣) .
﴿ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ .

فإن أطعتم عند وعظكم إياهن فلا تهجروهن في المضاجع ، وإن لم يطعنكم فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ، وإن راجعن طاعتكم فلا تلتمسوا

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ٨٦ - ٨٩ .

(2) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ٩٣ ، روح المعاني ، ج ٤ ، ص ٣٧ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ج ٥ ، ص ٥٦ .

(3) صحيح مسلم كتاب الحج باب حجة النبي ، ح ١٢١٨ ، ج ٢ ، ص ٨٨٦ .

سبيلا إلى ما لا يحل لكم من أبدانهم وأموالهم ، فلا يقول الرجل لزوجته وهي له مطيعة ، إنك لا تحبيني ، وأنت لي مبغضة ، فيضربها على ذلك أو يؤذيها (١) .

والظاهر اليوم أن الكثير من الناس ينتقل من المرتبة الأولى في علاج نشوز المرأة وهي الوعظ إلى المرتبة الثالثة وهي الضرب ، وهذا يخالف صريح الآية الكريمة ، فالله - عز وجل - بدأ العلاج بالوعظ ثم الهجر في المضاجع ، ثم الضرب وذلك من أجل المحافظة على تماسك الأسرة وعدم زعزعتها .

فقد نهى النبي ﷺ أن يضرب الرجل زوجته ثم يضاجعها في آخر الليل .
قال ﷺ : "لم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل أو العبد ثم لعله يعانقها" (٢) ، ولقد ختم الله - سبحانه وتعالى - الآية الكريمة بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴾ وفي ذلك تهديد للأزواج الذين يظلمون أزواجهن ، بالاستعلاء عليهن وضربهن وإيذائهن ، فيبين - سبحانه وتعالى - أنه هو العلي الكبير القاهر ينتصف لهن ويستوفي حقهن في الدنيا والآخرة (٣) .
رابعاً : التحكيم بين الطرفين :

بعد استعمال الزوج مع المرأة طرق العلاج المشروعة وهي الوعظ والهجر والضرب ، فإن لم تستجب الزوجة تبقى آخر وسيلة للحفاظ على الحياة الزوجية ألا وهي التحكيم .

ولقد خاطب سبحانه وتعالى أقارب الزوجين بفض الخلاف والعداوة بين الزوجين وذلك بإرسال حكمين أحدهما من أهل الزوج والآخر من أهل الزوجة للسعي في إصلاح الأسرة وكون الحكمين من أقارب الزوجين فهو على وجه

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ٩٤-٩٥ .

(2) صحيح البخاري كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ ﴾

ح ٦٠٤٢ ، ج ٧ ، ص ١١٠ .

(3) انظر البحر المحيط في التفسير ، ج ٣ ، ص ٦٣٨-٦٣٩ ، روح المعاني ، ج ٤ ، ص ٣٨ ، من هدي

سورة النساء ص ٥٧ .

الاستحباب لا الوجوب لأن مهمتهما هي استطلاع حقيقة الحال بين الزوجين ، وإجراء الصلح بينهما (١) .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء: ٣٥) .

وإذا لم يوجد من أهلها من يصلح لذلك فيرسل من غيرهما عدلين عالمين والأولى أن يكون الحكمان من أهل الزوجين حفاظا على أسرار الحياة الزوجية ، والأقارب أعرف بحال الزوجين من الأجانب ، وأشد حرصاً على الإصلاح ، وأبعد عن الميل إلى أحد الزوجين وأقرب إلى اطمئنان النفس إليهم (٢) .

وقد يوكل السلطان حكمن يقومان بالتحكيم بين الزوجين ، لأخذ الحق من الناشز منهما وإلزامه على إزالة الضرر (٣) .

ومتى صدقت نية الزوجين في الإصلاح والنصح لله تعالى ، فإن الله عز وجل يوفقهما لفعل الخير ، ويحقق الوفاق والتفاهم والعودة إلى المودة والألفة والتراحم بين الزوجين (٤) .

ولقد ختم الله - سبحانه وتعالى - الآية بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ فهو عليم بما يصنعه الحكمان من إصلاح بين الزوجين وغيره ، خبير بذلك وبغيره من أمورهما ، لا يخفى عليه شيء منهما فهو يجازي كلا منهما بالإحسان إحساناً والإساءة غفراناً أو عقاباً (٥) .

المطلب الثالث

الإصلاح في علاج نشوز الرجل

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ١٠٢ ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٧٥ .

(2) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٧٥ ، البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٦٢٩ ، من هدي سورة النساء ، ص ٥٩ .

(3) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ١٠٢ ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٧٥ .

(4) انظر البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٦٢٩ ، من هدي سورة النساء ، ص ٥٨ .

(5) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .

الأسرة هي أساس المجتمع الصالح ومتى كانت الأسرة متماسكة مترابطة ،
كان المجتمع مترابطاً .

ومن أجل المحافظة على تماسك الأسرة وترباطها ، وضع سبحانه وتعالى
قواعد ، وضوابط تسير عليها الأسرة في حال حدوث شقاق ونزاع .
والنشوز ليس خاصاً بالنساء ، فقد بين الله - سبحانه وتعالى - أن النشوز
يكون من الرجل أيضاً .

قال تعالى : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنِ
تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٨) .

ورد في سبب نزول هذه الآية روايتان :

الرواية الأولى : قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ لا يفضل
بعضنا على بعض في القَسَمِ من مكثه عندنا ، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا
جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت
عندها ، ولقد قالت سودة بنت زمعة^(١) حين أسنت وقرقت^(٢) أن يفارقها
رسول الله ﷺ : يا رسول الله يومي لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله ﷺ
منها قالت : نقول في ذلك ، أنزل الله - عز وجل - وفي أشباهها - أراه قال
﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾^(٣) .

الرواية الثانية : عن سعيد بن المسيب^(١) أن ابنة محمد بن مسلمة^(٢) كانت عند
رافع بن خديج^(٣) فكره منها أمراً ، إما كبيراً أو غيره فأراد طلاقها ، فقالت : لا
تطلقني واقسم لي ما بدا لك فأنزل الله ﷻ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾^(٤) .

(1) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية القرشية أم المؤمنين ، تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة ،
وهو بمكة ، وماتت سنة خمس وخمسين ، تقريب التهذيب ترجمة ، ٨٦١٢ ، ص ٧٤٨ .

(2) فرقت من الافتراق ، وفرقت بين الرجلين ففترقا بمعنى خافت أن يفرق بينها وبين النبي ﷺ .

(3) لباب النقول في أسباب النزول ، ص ١٠٠ .

يتبين من خلال أسباب النزول أن المرأة إذا خافت من زوجها أن يطلقها وذلك لعيب فيها، إما لكبر سن أو دمامة أو غيرها من العيوب ، فلها أن تتنازل عن حقها وتبقى في عس الزوجية .

ولقد وضح لنا ﷺ طريق التعامل بين الزوجين في حال تزوج الرجل بامرأة شابة صغيرة في السن ، وكانت تحته امرأة كبيرة ، فعليه أن يستشير زوجته الكبيرة على أن يقسم للشابة أكثر مما يقسم للكبيرة من الليل والنهار فترضى ، وإن أبت ، فعليه أن يعدل بينهما في القسَم، فترك التسوية بين النساء ، وتفضيل بعضهن على بعض لا يجوز إلا بإذن المفضولة ورضاها (٥) .

أسباب نشوز الرجل من المرأة :

لنفور الرجل من المرأة ثلاث حالات :

الحالة الأولى : إذا توقعت المرأة من زوجها نشوزاً وترفعاً ، ولم يعاملها بالود والرحمة أو آذاها بسب أو ضرب ، وأحجم عن محادثتها ومؤانستها لسوء في الطبع ولكبر في السن أو لسوء في الخلق ، وخشيت من تفكك الرابطة الزوجية ، فلا بأس من اللجوء إلى الإصلاح بينهما ، وذلك بالتنازل عن بعض حقوقها أو كل حقوقها ، لتبقى في عصمته للحفاظ على أولادها ، وإن كان للمرأة حق فراق الزوج .

(1) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي ، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، فهو أوسع التابعين علماً ، مات بعد التسعين وعمره ثمانين سنة ، انظر تقريب التهذيب ترجمة ، ٢٣٩٦ ، ص ٢٤١ .

(2) محمد بن مسلمة الأنصاري صحابي مشهور ، وكان من الفضلاء انظر تقريب التهذيب ترجمة ٦٣٠٠ ص ٥٠٧ .

(3) رافع بن خديج بن عدي الحارثي الأوسي الأنصاري ، أول مشاهده أحد ثم الخندق مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين للهجرة ، تقريب التهذيب ، ترجمة ، ١٨٦١ ، ص ٢٠٤ .

(4) لباب النقول في أسباب النزول ، ص ١٠٠ .

(5) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ٤٠٤-٤٠٥ .

ويُذَكَّرُ الزوجان دائماً بما أقامه الله بينهما من عاطفة الود والرحمة في حال وجود النزاع والخصام (١) .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم ٢١).
الحالة الثانية : حالة الاتفاق بين الزوجين المعبر عنه بالصلح
﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .

إن الصلح بين الزوجين ، وترك الزوجة حقها للزوج خير من المفارقة والتسريح والاعتراض وسوء العشرة ، وذلك للمحافظة على الرابطة الزوجية ، ويدل على ذلك سبب النزول حين كرهت سودة أن يفارقها رسول الله ﷺ فتنازلت عن حقها لعائشة رضي الله عنها .

ولا يحصل نشوز الرجل إلا عند ظهور الأمارات الدالة على وقوع الخوف ، وذلك بأن يقول الرجل لزوجته إنك ذميمة أو شيخة كبيرة في السن وإني أريد الزواج من شابة جميلة (٢) .

والواجب على المرأة أن تتأكد من نشوز زوجها ولا تتسرع في الحكم عليه ففعل نشوزها لكثرة انشغاله بأمور التجارة ، أو بأعمال الدعوة ، فعليها أن تصبر وأن تقدر ظروف زوجها ، فقد يكون الأمر مشكلة عارضة وسرعان ما تتجلي (٣) .
إن من الواجب على المرأة أن تصبر على زوجها إن كان به عيب أو سوء في خلقه فقد كان "عمران بن حطان الخارجي" (٤) " من أدّم بني آدم ، وامراته من أجملهم ، فأجالت في وجهه نظرها يوماً ، ثم تابعت الحمد لله ، فقال :

(1) انظر التفسير المنير ، ج ٥ ، ص ٢٩٥ ، من هدي سورة النساء ، ص ٣٦٠ .

(2) انظر التفسير الكبير ، ج ١١ ، ص ٥٢ ، البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٨٦ .

(3) انظر من هدي سورة النساء ، ص ٣٦٠ .

(4) عمران بن حطان السدوسي صدوق ، وهو على مذهب الخوارج ، ويقال إنه رجع عن ذلك توفي ١٨٤هـ ، انظر تقريب التهذيب ترجمة ح ٥١٥٢ ، ص ٤٢٩ .

مالك ؟ قالت : حمدت الله على أني وإياك من أهل الجنة ، قال : كيف ؟ قالت : لأنك رُزقت مثلي فشكرت ، ورُزقتُ مثلك فصبرت ، وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين" (١) .

ويبين - سبحانه وتعالى - أن العدل القلبي هو أمر شاق على النفس ، وليس بمقدور الإنسان ، والله - عز وجل - لا يؤاخذ الناس على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء ١٢٩) .
إن الإنسان مطالب بالميل المادي الذي هو في مقدور البشر ، أما الميل القلبي فغير مؤاخذ عليه ، وذلك بصريح الآية الكريمة .

لقد كان النبي ﷺ يتضرع إلى الله - عز وجل - من الميل القلبي ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك (٢) .

ولقد أمر الله - سبحانه وتعالى - الرجال إذا كرهوا شيئاً في المرأة بأن لا يميلوا كل الميل فتصبح لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل" (٣) .

الحالة الثالثة : الفراق بين الزوجين :

إن الطلاق بغيبض على الله تعالى ، لما فيه من تشتت وتمزق للأسرة التي بنيت على تقوى الله .

قال ﷺ : "أبغض الحلال إلى الله الطلاق" (٤) ، والله سبحانه وتعالى يبين أنه إذا رغب الزوجان في الطلاق ، وذلك لاستعصاء الحلول ، وعدم التوفيق والمصالحة بينهما ، فإن الله - عز وجل - يعوض الرجل بمن هي خير له منها

(1) الكشف عن حقائق التنزيل ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(2) سنن أبي داود كتاب النكاح باب في القسم بين النساء ، ح ٢١٣٤ ، ج ٢ ، ص ٩١٤ ، حديث صحيح .

(3) سنن أبي داود كتاب النكاح ، باب في القسم بين النساء ، ح ٢١٣٣ ، ج ٢ ، ص ٩١٣ ، حديث صحيح .

(4) سنن أبي داود كتاب الطلاق باب في كراهية الطلاق ، ح ٢١٧٨ ، ج ٢ ، ص ٩٣٤ ، حديث ضعيف .

ويعوضها بمن هو خير لها منه ، والله واسع الفضل ، عظيم المن على عباده ، حكيم في جميع أفعاله وأقداره وشرعه (١) .

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾

(النساء ١٣).

المطلب الرابع

دور الآباء والأمهات في إصلاح الأبناء وتربيتهم

الآباء والأمهات هم دعامة المجتمع ، ولا يصلح المجتمع إلا بهم ، وإن فسدوا فسد المجتمع فمتى كان الأب والأم صالحين وكانت الذرية سالحة ، كان المجتمع صالحاً .

ولقد حث - سبحانه وتعالى - الآباء على تربية أبنائهم تربية إيمانية نابعة من كتاب الله وسنة رسوله ، من أجل المحافظة عليهم في الدنيا من الانحرافات والفتن التي عمت البلاد والعباد ، وفوزهم في الآخرة برضوان الله تعالى وبعدهم عن سخطه وغضبه .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحریم ٦).

إن دور الآباء والأمهات أن يحافظوا على أنفسهم من عذاب الله وسخطه وذلك بالمحافظة على شعائر الله وأحكامه ، ثم يحافظوا على أبنائهم من سخط الله وعذابه ، إن صلاح الذرية هو مطلب كل أسرة سالحة ، ومحل اهتمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقد دعا الأنبياء عليهم السلام ربهم الذرية السالحة .

(1) انظر تفسير القاسمي محاسن التأويل ، ج ٥ ، ص ٥١٢ ، تيسير الكريم الرحمن ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ،

التفسير المنير ، ج ٥ ، ص ٢٩٨ .

لقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه الذرية الصالحة ، قال تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٠) ، و قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرْنَا هُنا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ (الصافات: ١١٢).

ودعا زكريا ربه الذرية الطيبة قال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران: ٣٨) .

ووصى لقمان بنيه على الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان ١٧-١٨).

إن الاختيار السليم للأسرة - الأم ذات الدين والأب ذو الخلق والدين - ينتج عنه أسرة قوامها السكينة والمودة والرحمة ، وينتج جيلاً سوياً صحيحاً خالياً من الأمراض والحالات النفسية ، أما إذا كانت الأسرة قائمة على أساس الاختيار الخاطيء بين الزوجين فإن ذلك يورث الأطفال كثيراً من الأخلاق الذميمة ، والصفات السيئة ، التي قد تؤدي بهم إلى الانحلال الخلقي، والاجتماعي فكثير من مشكلات الطفل مرجعها إلى سوء الاختيار بين الزوجين (١) .

والله - سبحانه وتعالى - يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ، فقد بين ذلك - سبحانه وتعالى - في قوله تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم: ٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ (الاسراء: ٣١).

فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم (٢) ، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى ، فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل ترك الآباء لهم وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينتفعوا آباءهم كباراً ،

(1) انظر مجلة الرابطة ، دور المرأة المسلمة في رعاية الطفل د. سميرة محمود ، ص ٣٣ ، العدد ٤٣٦ .

(2) انظر تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم الجوزية ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال : "يا أبت إنك عقتني صغيراً ، فعقتك كبيراً ، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً" (١) .

إن الأسرة المؤمنة الصالحة ، ترغب في أن يتصل عملها الصالح في ذريتها ، فيكون فيها من يعبد الله ويطلب رضاه .

قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٥) .

إن الذرية الصالحة أمل العبد الصالح وهي أفضل عنده من الكنوز والذخائر ، وأروح لقلبه من كل زينة الحياة الدنيا ، والدعاء يمتد من الوالدين إلى الذرية ليصل الأجيال المتعاقبة في طاعة الله (٢) ، قال تعالى : ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ فدعوة الوالدين صلاح الذرية بتوفيقهم لطاعة الله ، وأن لا يجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً (٣) .

إن مسئولية الآباء عن تربية أبنائهم ، عندما كان الطفل يمتاز بتقليد الآباء والأمهات ، كان الأب والأم مسؤولين عن تربية أبنائهم ، ونضرب مثلاً لذلك بما يحصل في بعض أفراح المسلمين حيث تجد أن كل محرم محذور في السابق أصبح مباحاً في أفراح المسلمين من تبرج وسفور واختلاط بحجة أنه فرح ، وإن كانت هذه العادات والتقاليد تتنافى مع روح الشريعة الإسلامية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم: ٦) .

وقال النبي ﷺ " كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته ، فالإمام راعٍ ومسئول عن رعيته ، والرجل في أهله راعٍ وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته ، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسئول عن

(1) انظر تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم الجوزية ، ص ٢٠٠ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٢٦٣ .

(3) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٦ ، ص ١٩٥ ، النكت والعيون ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ .

رعيته ، قال فسمعت هؤلاء من النبي ﷺ وأحسب النبي ﷺ قال : والرجل في مال أبيه راع ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته" (١) .

إن من واجب الأب أن يغرس القيم الدينية في نفوس أبنائه والعادات الإسلامية الصحيحة ، وأن يؤدبهم بآداب الإسلام ، وأحكام الشريعة ، وأن يميز لهم بين الحلال والحرام ، حتى يضعهم على الصراط المستقيم ، ويكون أجرهم وثوابهم في صحيفة والديهم في الآخرة (٢) .

إن الأبناء هم ورثة الآباء بعد وفاتهم ، قال ﷺ : "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، وعلم نافع ينتفع به ، وولد صالح يدعو له" (٣) .

إن الإنسان محتاج إلى تربية نفسه وأبنائه كاحتياجه إلى غذاء جسمه ، فكما أن الجسم لا ينمو إلا بالغذاء ، فكذلك النفس لا تصفو ولا تكتمل إلا بالآداب الحسنة - فإن ترعرع الأبناء على الصلاح صلح المجتمع ، وإن أهملوا فسدوا وأفسدوا مجتمعهم ، وما الجرائم التي تنتشر في المجتمع إلا نتيجة لسوء التربية ، وإهمال تربية الأبناء وتركهم فريسة لقرناء السوء يتأثرون بهم فيسيئوا كما يسيئون ، ويفسدوا كما يفسدون (٤) .

من الآداب الحسنة التي ينبغي مراعاتها في تربية الأبناء :

أولاً : تسمية الأبناء بأسماء حسنة :

إن من حق الأبناء على آبائهم تسميتهم بأسماء حسنة ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ " إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم" (٥) .

(1) صحيح البخاري كتاب العتق باب العيد راع في مال سيده ، ح ٢٥٥٨ ، ج ٣ ، ص ١٧٠ .

(2) انظر مجلة هدى الإسلام مسؤولية الآباء عن تربية الأبناء ص ٧٧ .

(3) سنن الترمذي ، كتاب الأحكام عن رسول الله باب في الوقف حديث حسن صحيح ، ح ١٣٧٦ ، ج ٣ ، ص ٤٢٦ .

(4) انظر مجلة الصراط مسؤولية تربية الأبناء أحمد مريد، العدد السابع السنة الأولى ربيع أول ١٤٠٧هـ .

(5) سنن أبي داود ، كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء ، ح ٤٩٤٨ ، ج ٤ ، ص ٢١٠٧ ، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ، ح ٥٤٦٠ ، ج ٢/١١ ، ص ٨١٠ .

والنبي ﷺ غير بعض أسماء الصحابة القبيحة ، عن سعيد بن المسيب (١)
عن أبيه عن جده قال : أتيت إلى النبي ﷺ فقال : " ما اسمك ؟ قلت حزن فقال :
أنت سهل ، قال : لا أغير اسماً سمانيه أبي ، قال ابن المسيب : فما زالت تلك
الْحَزُونَةُ (٢) فينا بعد " (٣) .

إن تسمية الأبناء بأسماء قبيحة مدعاة لعقوق الأبناء لأبائهم في الكبر ،
وقد حذرنا الإسلام من الأسماء القبيحة ، بل نختار أفضل الأسماء لهم .
ثانياً : التعليم :

إن الطفل في فترة الطفولة يتعلم من والديه كل ما يصدر عنهما ، سواء
كانت صفات إيجابية أو سلبية ، لذلك على الوالدين أن يعلموا أبناءهم ، التربية
الإسلامية ويغرسوا في نفوسهم القيم الحميدة .

ولقد أرشدنا النبي ﷺ إلى طريق التدرج في تعليم الأطفال ، قال ﷺ :
"مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه
عليها" (٤) ، وقد حث سبحانه وتعالى على تعليم الأهل والأبناء الصلاة ، قال تعالى
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ
لِلتَّقْوَى ﴾ (طه:١٣٢) ، ويقول ابن عمر لرجل : "أدب ابنك فإنك مسئول عن ولدك
ما علمته ، وهو مسئول عن برك وطاعته لك" (٥) .

(1) انظر ترجمة الحديث ، ص ١٦٠ من هذا البحث .

(2) الحزونة بمعنى الغلظة والخشونة ، انظر النهاية في ترغيب الحديث ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(3) صحيح البخاري كتاب الأدب باب الحزن ، ح ٦١٩٠ ، ج ٧ ، ص ١٥٢ .

(4) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، ح ٤٩٤ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ، وقال الألباني

حديث صحيح في صحيح الجامع الصغير ، ح ٥٨٦٧ ، ج ٢ ، ص ١٠٢١ .

(5) كتاب أحكام النساء لابن الجوزي ، ص ٨ .

إن أدب الأبناء راجع إلى تربية الآباء ، قال ﷺ " ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن" (١) . ومن الآداب الحسنة التي يغرستها الآباء في أبنائهم التمسك والتخلق بالأخلاق الحسنة ، فهو يأمره بالعدل والإحسان والبر بالوالدين ، والأقارب والجيران ويأمره بمعاملة الناس بالصدق والأمانة (٢) .
ولهذا كان من الواجب على الأب تعليم أبنائه أمور دينهم ، ومبادئ الأخلاق وقواعد الشريعة ، وإذا لم يكن عالماً بهذه الأمور وجب عليه تعليمهم ما أوجبه الله عليه من الأوامر والنواهي والحلال والحرام .
ثالثاً : مراقبة الله :

على الأب أن يذكر ابنه دائماً بمراقبة الله له في جميع الأحوال ، ولنا في الأنبياء الأسوة الحسنة فقد قال لقمان لابنه وهو يعلمه ويرشده إلى مراقبة الله :
﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾
(لقمان: ١٦-١٧) .

لقد أرشد نبينا ﷺ ابن عباس والصحابة إلى دوام استشعار مراقبة الله تعالى عن ابن عباس قال : كنت رديف النبي ﷺ على دابة فقال : يا غلام أني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على

(1) سنن الترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله ،باب ما جاء في أدب الولد ، ج ٤ ، ص ١١٠ ، ح ١٩٥١ ، ضعفه الترمذي وقال حديث غريب .

(2) انظر مجلة الصراط مسؤولة تربية الأبناء أحمد مريد ، العدد ٧ ، السنة الأولى ربيع الأول ١٤٠٧هـ .

أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف " (١) .

" إن الأب يسعى دائماً لإشعار الولد بمراقبة الله في كل وقت وفي كل مكان ، ويوقظ عنده المسؤولية أمام الله ، ويشعره بواجبه تجاهه سبحانه وتعالى ، وهذا يمكن تحقيقه خاصة مع الولد في سن التمييز ؛ إذ يمكنه أن يفكر بصورة مجردة ، ويفهم ويدرك تلك المعاني " (٢) .

رابعاً : التأديب :

يعترف المربون المسلمون بأهمية العقاب ، وذلك لما له من دور في تعديل السلوك وتوجيهه ، على أن يستخدم عند الحاجة ، مع مراعاة نوع العقوبة ومقدارها ووقتها (٣) .

ومن هدي صحابة رسول الله ﷺ أنهم كانوا يضربون غلمانهم إذا أخطأوا . عن أسماء بن أبي بكر قالت جلست عائشة إلى جنب رسول الله ﷺ وجلس أبو بكر إلى جنب رسول الله ﷺ من الشق الآخر ، وجلست إلى جنب أبي ننتظر غلامه وزمالته (٤) ، حتى متى يأتينا ، فأطلع الغلام يمشي ما معه بغيره ، قالت : فقال له أبو بكر أين بغيرك ، قال : أضلني الليلة قالت : فقام أبو بكر يضربه ويقول بغير واحد أضلك وأنت رجل فما يزيد رسول الله ﷺ على أن تبسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع " (٥) .

إن العقاب البدني يجب أن يكون آخر وسيلة يستخدمها الأب على الطفل ، لأن الطفل إن تعود على الضرب ، فإنه لن يصبح له تأثيره فيه بعد ذلك ، فوسائل العقاب غير الضرب كثيرة كالهجر والحرمان من المصروف والزجر

(1) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، الباب منه ، ح ٢٥١٦ ، ج ٤ ، ص ٣٨١ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، ح ٧٩٥٧ ، ج ٢ ، ص ١٣١٧ .

(2) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة عدنان حسن صالح بتصرف يسير ، ص ١١٤ .

(3) انظر مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ، ص ٨٤ .

(4) الزمالة : بمعنى البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .

(5) المستدرک على الصحيحين ، كتاب المناسك باب المحرم يؤدب غلامه ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .

والعبوس والمقاطعة وغيرها من وسائل العقاب ، فلا بد أن يكون التدرج في العقاب من الأخف إلى الأشد ، ومراعاة لحال الطفل ، واستجابته للعقاب (١) .

خامساً : العدل بين الأبناء :

إن من حقوق الأولاد على آبائهم العدل فيما بينهم في العطاء والمواهب لقول النبي ﷺ : " اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم " (٢) والنبي ﷺ رفض أن يشهد على بعض المواهب لعدم وجود العدل فيها .

عن النعمان بن بشير (٣) قال : سألت أمي أبي بعض المواهب لي من ماله ثم بدا له فوهبها لي ، فقالت : لا أرضى حتى تشهد النبي ﷺ فأخذ بيدي وأنا غلام ، فأتى بي النبي ﷺ ، فقال إن أمه بنت رواحة سألتني بعض المواهب لهذا ، قال : ألك ولد سواه ، قال نعم : قال : فأراه قال : لا تشهدني على جور (٤) .

سادساً : النهي عن الدعاء على الأبناء :

لقد نهى النبي ﷺ أن يدعو الآباء على أبنائهم حتى لا توافق ساعة إجابة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم " (٥) . إن القرآن الكريم يعلمنا كيف كان منهج الأنبياء وهم يدعون ربهم الذرية الطيبة قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران: ٣٨) .

(1) انظر مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ، ص ٨٤-٨٥ .

(2) سنن أبي دواد كتاب البيوع باب في الرجل يفضل بعض ولده في النحل ، ح ٣٥٤٤ ، ج ٣ ، ص ١٥٣٥ حديث صحيح .

(3) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي له ولأبويه صحبة ، سكن الشام ثم ولي إمرة الكوفة ثم قتل بحمص سنة ستين للهجرة ، تقريب التهذيب ترجمة ٧١٥٢ ، ص ٥٦٣ .

(4) صحيح البخاري كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، ح (٢٦٥٠) ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

(5) صحيح مسلم كتاب الزهد والفتن ، باب حديث جابر الطويل ، ح ٣٠٠٩ ، ج ٤ ، ص ٢٣٠٤ .

" والواجب على الإنسان أن يتضرع إلى خالقه في هداية ولده وزوجه ، بالتوفيق لهما والهداية والصلاح والعفاف والرعاية ، وأن يكونا معينين له على دينه ودنياه حتى تعظم منفعتهم بهما في أولاد وأخراه " (١) .

سابعاً : تعليم الأبناء آداب الاستئذان :

لقد بين - سبحانه وتعالى - لعباده المؤمنين أدباً من الآداب السامية بين الناس وبين أفراد الأسرة ألا وهو الاستئذان .

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور ٥٨-٥٩) .

يبين الله - عز وجل - أحكام الاستئذان داخل بيوت ، في الأوقات الثلاثة التي تتكشف فيها العورات ، قبل صلاة الفجر حيث يكون الناس في ثياب النوم ، ووقت الظهر عند القيلولة وبعد صلاة العشاء .

وفي هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الأطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم ، كي لا تقع أنظارهم على عورات أهلهم ، وهو أدب يغفله الكثيرون ، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية ، ظانين أن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر .

بينما يقرر النفسيون اليوم والعلوم النفسية ، أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها ، وقد تصيبهم أمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها (٢) .

(1) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤ ، ص ٧٣ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٥٣٢ .

قال أنس رضي الله عنه : كنت خادماً للنبي صلى الله عليه وسلم قال : فكنت أدخل بغير استئذان
فجئت يوماً فقال : " كما أنت يا بني فإنه قد حدث بعدك أمر ، لا تدخلن
إلا بإذن " (١) .

(1) الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري تأليف فضل الله الجبلي ، باب قول الرجل يا بني لمن أبوه
لم يدرك الإسلام ، ح ٨٠٧ ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .

المبحث الثاني

دعوة القرآن إلى إصلاح المجتمع

ويشتمل على خمسة مطالب :

- المطلب الأول : وجوب الإصلاح بين المسلمين المتنازعين .
- المطلب الثاني : الإصلاح صيانة للمجتمع من الفرقة والاختلاف .
- المطلب الثالث : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- المطلب الرابع : الأخذ بأسباب القوة .
- المطلب الخامس : إصلاح المناهج والتعليم .

المطلب الأول

وجوب الإصلاح بين المسلمين المتنازعين

قضية الإصلاح من القضايا الهامة التي تصون المجتمع من الفرقة والاختلاف ، لذلك حث الشارع الحكيم على وجوب الإصلاح بين المسلمين المتنازعين حتى يحافظوا على الألفة والمحبة فيما بينهم .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات ٩-١٠) .

سبب النزول :

" عن انس أن النبي ﷺ ركب حماراً وانطلق إلى عبد الله بن أبي فقال : إليك عني فقد آذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصار : والله لحماره أطيب ريحاً منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه ، وغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، فنزلت فيهم ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (١) .

مناسبة الآية لما قبلها :

"بعد أن حذر الله - تعالى - المؤمنين من نبأ الفاسق ، أبان هنا ما يترتب على خبره من الفتنة والنزاع ، وربما الاقتتال فأمر الله - تعالى - بالإصلاح بالوسائل السلمية بين المتنازعين ، كالنصيحة والوعظ والإرشاد والتحكيم ، فإن بغت إحدى الفئتين على الأخرى فتقاتل الباغية ، ثم أمر الوسطاء والأطراف المتنازعة بتقوى الله وطاعة أوامره" (٢) .

لقد أمر الله - عز وجل - النبي ﷺ والمؤمنين أن يصلحوا بين الطوائف المتنازعة المتقاتلة ، وذلك لوحدة الصف المسلم ، وصيانة للمجتمع من الخصام

(1) لباب النقول في أسباب النزول ، ص ٢٥٥ .

(2) التفسير المنير ، ج ٢٦ ، ص ٢٣٧ .

والتفكك ، وسواء كان سبب النزول خاصاً أم عاماً فإن الآية تمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الإسلامية من التفكك والتفرق ، ثم إقرار الحق والعدل والصلاح .

ولقد وصف الله - سبحانه وتعالى - الطائفتين المتنازعتين بالإيمان مع اقتتالهما ومع احتمال أن تكون إحداهما باغية على الأخرى ، وأن تكون الطائفتان باغيتين فمن واجب المؤمنين من غير الطائفتين المتقاتلتين أن يقوموا بالإصلاح بينهما ، فإن بغت إحدى الطائفتين عن قبول الحق ، ورفض الصلح ، ورفض قبول حكم الله في المسائل المتنازع عليها ، فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله (١) .

ويخاطب الله - عز وجل - في هذه الآية الوسطاء الذين يسيرون بين الناس في الإصلاح بأن يعدلوا ، والله مجازيهم على عدلهم أحسن الجزاء (٢) .
ويدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا (٣) .

إن الذين يعدلون في حكمهم بين الناس يكونون على منابر من نور يوم القيامة ، وهذا كناية عن المنازل الرفيعة التي يأخذونها مقابل إصلاحهم بين الناس وهذا الفضل سواء كان لمن عدل بين الناس أو لمن عدل في خلافة أو إمارة أو قضاء أو فيما يلزمه من حقوق أهله وماله وغيرها من الحقوق (٤) .

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٦ ، ص ١٥٦ ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٦ ، ص ٣١٧ في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٣٤٣ .

(2) انظر التفسير المنير ، ج ٢٦ ، ص ٢٣٨ .

(3) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، ح ١٨٢٧ ، ج ٣ ، ص ١٤٥٨ .

(4) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٤ ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

قال ﷺ: " ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة " (١) .

ومن فضائل الإصلاح بين الناس العدل ، عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : "كل سُلامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة" (٢) .

ولقد جعل الله للمصلحين درجة أفضل من الصلاة والصيام والزكاة ، عن أبي الدرداء (٣) قال : قال رسول الله ﷺ " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟" قالوا بلى ، قال : "صلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة" قال ﷺ : "هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين" (٤) .

وإصلاح ذات البين من الأمور المحببة إلى الله ، عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال لي رسول الله ﷺ " يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا" (٥) ، ولقد بين الله - عز وجل - في القرآن الكريم أن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب فإن أخوة النسب تتقطع بمخالفة الدين بينما أخوة الدين لا تتقطع بمخالفة النسب ، لذلك وصف الله - عز وجل - المتخاصمين بأنهم أخوة ، مهما حصل بينهم من مشاجرات ومناحرات

(1) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، ح ١٨٢٩ ، ج ٣ ، ص ١٤٦٠ .

(2) صحيح البخاري كتاب الصلح باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم ، ح ٢٧٠٧ ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .

(3) عويمر بن زيد قيس الأنصاري ، وقيل اسمه عامر أو عويمر لقب مختلف في اسم أبيه مشهور بكنيته "أبو الدرداء صحابي جليل أول مشاهده أحد ، مات في أواخر خلافة عثمان ؓ ، انظر تقريب التهذيب ترجمة ح ٥٢٢٨ ، ص ٤٣٤ .

(4) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض ، ح ٢٥٠٩ ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، ح ٢٥٩٥ ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .

(5) مسند عبد بن حميد ، ح ٢٣٢ ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

وقال ﷺ : " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال " (١) .
وسائل الإصلاح بين المسلمين المتنازعين :
أولا : تحكيم الشريعة الإسلامية :

إن القرآن الكريم والسنة المطهرة ، هما أساس التحكيم بين المتخاصمين ، فهو منهج حياة لجميع البشر قاطبة ، قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥) .

إن الكثير من الناس اليوم لا يعترفون بأن القرآن والسنة هما الأساس لحل النزاعات فيما بينهم ، معتمدين على الأحكام الوضعية التي من صنع البشر ، على اعتبار أن القرآن والسنة خاصا بالزواج والطلاق وأمور الآخرة ، ولقد نفى سبحانه وتعالى صفة الإيمان لمن يرفض التحكيم بالشريعة الإسلامية حيث قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

ثانيا : تقوى الله سبحانه وتعالى :

إن من يريد أن يصلح بين الناس ، لا بد أن يضع مخافة الله نصب عينيه ، ويحكم بينهم بالعدل ولا يميل مع طرف على حساب طرف آخر .

قال رسول الله ﷺ : " إنما أنا بشر وإكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه لا يأخذه ، فاتمأ أقطع له قطعة من النار " (٢) .

ثالثا : جواز الكذب للمصلحين بين الناس :

(1) صحيح البخاري كتاب الأدب ، باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ لا يطل ، ح ٦٠٧٦ ، ج ٧ ، ص ١١٩ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب موعظة الإمام للخصوم ، ح (٧١٦٩) ، ج ٨ ، ص ١٤٣ .

إن من وسائل الإصلاح التي أجازها الشارع الحكيم الكذب للمصلحين ،
وذلك للتخفيف من حدة النزاع بين المتخاصمين .

فقد يسمع المصلح بعض الكلام السيئ من كل طرف من الأطراف ضد
خصومه ، فيخبر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر ، ولا يكون
ذلك كذبا ، لأن الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به (١) .

قال رسول الله ﷺ : "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً
أو يقول خيراً" (٢) .

وعلى المصلح أن يتورع عن كثرة الحلف حتى لا يكون متجرئاً على الله
قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ
النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٤) .

إن ظاهر الآية نهى من الله - عز وجل - عن كثرة الحلف بالله من أجل
إرادة الخير وفعل الصلح بين الناس لأن في ذلك استخفاف واستهانة وتجرء
على القرآن الكريم فلا بد أن يكون المؤمن صادقاً في يمينه حتى يثق به الناس ،
أما إن كان متجرئاً على الله غير معظم له فلا يكون برا متقياً ولا يثق به الناس
ولا يدخلونه في إصلاح ذات بينهم (٣) .

" أما إذا حلف المؤمن معظماً لله تعالى وكان المحلوف عليه أمراً خيرياً
فلا يمنعه اليمين من فعل الخير المحلوف عليه ، وعليه أن يكفر عن يمينه ، وهذا
نوع من التسامح والتيسير في شرع الله تعالى ، حباً في فعل الخير من صدقة
أو معروف أو صلة رحم ، أو إصلاح بين الناس " (٤) .

(1) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٣٥٣ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ، ح ٢٦٩٢ ، ج ٣ ،
ص ٢٢١ .

(3) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ، التفسير المنير ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

(4) التفسير المنير ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة : " إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وانت الذي هو خير" (١) .

رابعاً : الصبر على أذى الناس :

من واجب المصلح أن يصبر على أذى الناس فقد يتعرض للسب والشتم والقول السفية من بعض المتخاصمين ، فعليه أن يصبر ولا يعتبر نفسه طرفاً في الخصام ، وله من الثواب الجزيل من الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٢) .

إن الكثير من المصلحين يضحون بأموالهم و أوقاتهم للإصلاح بين الناس ودفع الشرور عنهم ويسهرون الليالي لتقريب وجهات النظر المتأخرة والمتباعدة فيدفع الله بهذه الطائفة الشر عن عموم المسلمين (٢) .

خامساً : تنازل أصحاب الحقوق عن شيء من حقوقهم للإصلاح :

إن من واجب الإمام ، أو من يقوم مقامه ، أن يقرب وجهات النظر بين المتخاصمين بحيث يتنازل أصحاب الحقوق عن بعض حقوقهم مقابل حل النزاع . عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهم وإذا أحدهم يستوضع (٣) الآخر ويسترفقه (٤) في شيء ، وهو

(١) سنن النسائي كتاب الإيمان والنذور ، باب الكفارة قبل الحنث ، ح ٣٧٩٣ ، ج ٣ ، ص ٦٦٥ ، وصححه

الألباني في صحيح الجامع الصغير ، ح ٧٩٤١ ، ج ٢ ، ص ١٣١٥ .

(٢) انظر فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين مصطفى العدوى ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٣) يستوضع : بمعنى الحطيطة من الدين أنظر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٣٦٣ .

(٤) يسترفقه : يطلب منه الرفق ، انظر المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٦٣ .

يقول : والله لا أفعل ، فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال : " أين المتألي (١) على الله لا يفعل المعروف ؟ فقال : أنا يا رسول الله ، فله (*) أي ذلك أحب " (٢) .
سادساً : المناجاة في الخير :

يبين الله - عز وجل - أن النجوى لا تجوز بين كثير من الناس ، لعدم وجود الخير فيها قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المجادلة ٩-١٠) .

واستثنى الله - سبحانه وتعالى - من النجوى المحرمة ، النجوى التي تكون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإصلاح ذات البين ، والصدقة .
إن إصلاح ذات البين يحتاج لمناجاة المصلحين على المتخاصمين لتقريب وجهات النظر ، ولتوضيح بعض الحقائق ، والله - عز وجل - أقر هذه المناجاة واعتبرها من الأمور المباحة لفض النزاع والخصام ، ولتوحيد شمل المسلمين .
قال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء: ١١٤) .

سابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن من أهم وسائل الإصلاح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
قال ﷺ : " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" (١) .

(١) المتألي : الحالف المبالغ في اليمين انظر نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٣٦٣ . * التنازل عن بعض حقه والرفق بخصمه .

(*) التنازل عن بعض حقه والرفق بخصمه .

(٢) صحيح البخاري كتاب الصلح باب هل يشير الإمام بالصلح ، ج ٢٧٠٥ ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ .

إن من واجب المسلم إذا وجد خصومة أن يأمر الطرفين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، فيقف بجانب المظلوم ، ويرد الظالم عن ظلمه ، ويبين له خطر ما يقوم به ، وأن ذلك مخالف لهدى النبي ﷺ ، وأن هذه المخالفات تفرق شمل المسلمين .

ثمار الإصلاح بين الناس :

ذكر الأستاذ محمد الخولي بعض الثمار التي تترتب على الإصلاح بين الناس:

- ١ - "إحلال الألفة مكان الفرقة ، واستئصال داء النزاع قبل أن يستفحل .
- ٢ - حقن الدماء التي تراق بين الطوائف المتنازعة .
- ٣ - توفير الأموال التي تنفق للمحامين بالحق والباطل ، وتوفير الرسوم والنفقات الأخرى .
- ٤ - تجنب إنكار الحقائق التي تجر إليها الخصومات ، وترك شهادة الزور التي تنفق في دار القضاء .
- ٥ - تجنب المشاجرات والاعتداء على الحقوق الذي قلما يسلم منه المتخاصمان .
- ٦ - تفرغ النفوس للمصالح بدل انهماكها في الكيد للخصوم .
- ٧ - رحمة الله لعباده وأجره العظيم للمصلحين والمتصالحين" (٢) .
- ٨ - تماسك الأمة وتعاضدها فهي كالجسد الواحد .

قال ﷺ : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل جسد

الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر" (٣) .

المطلب الثاني

الإصلاح صيانة للمجتمع من الفرقة والاختلاف

(1) صحيح البخاري كتاب الإكراه باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل ، ح ٦٩٥٢ ، ج ٨ ، ص ٧٥ .

(2) إصلاح الوعظ الديني ، ص ٧١ .

(3) صحيح البخاري كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم ، ح ٦٠١١ ، ج ٧ ، ص ١٠٢ .

إن العالم لا يحترم إلا الأقوياء ، ولا يحسب حساباً لغيرهم ، ولا يمكن أن تصان الحريات والمقدسات ، ولا تحفظ الأرواح والأموال إلا بالقوة القادرة على دفع العدوان ، ورفع الظلم وكف الأذى .

وأكبر معالم القوة ومقوماتها هو اتحاد الصف واجتماع الكلمة ، فالأمة المتحدة قوية في نفسها مهابة من أعدائها تستغل كل طاقاتها البشرية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية في الدفاع عن نفسها ، وصيانة حرمانها ، وحماية أوطانها وممتلكاتها فلا يطمع فيها خائن ولا يقدر على مهاجمتها مستعمر ، ولا يفكر في احتلالها محتل غاصب .

إن أمتنا اليوم تقف على مفترق طرق خطير ، وتعيش مرحلة في غاية الصعوبة ، فالأعداء يقفون بين المسلمين ليسهل عليهم إضعاف المسلمين ، ومن ثم السيطرة عليهم وعلى مقدراتهم ، كما هو الحال في فلسطين والعراق وأفغانستان ، وغيرها من الدول المستعمرة .

لذلك حذرنا الإسلام من التفرق والاختلاف مهما كانت الأسباب ، وأمرنا بالاتحاد وجمع الكلمة ، وأن نكون يداً واحدة على أمة الكفر حتى لا يطمع فينا الطامعون ، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٣).

إن الله - سبحانه وتعالى - يدعو المسلمين للتمسك بدينه وعهده الذي عهده للمسلمين في كتابه الكريم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله لأن في التمسك بدينه النجاة من الفزع والجزع والذعر ، وأن تجتمع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ والانتهاز إلى أمره ونهيه لذلك قال : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (١) .

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٤ ، ص ٤٢-٤٤ .

لقد وصف النبي ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد في توحدهم واجتماعهم وعدم تفرقهم .

قال ﷺ : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (١) .
إن وحدة الأمة واجتماعها كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، قال ﷺ : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه " (٢) .

إن من دأب اليهود تمزيق شمل الصف المسلم ، وإثارة الفتنة والفرقة بين المسلمين ، سواء كان ذلك من قبل عصر النبوة ، ويتمثل ذلك في الواقعة بين الأوس والخزرج ، أو بعد عصر النبوة كما فعل قيس بن شاس ، من إثارة الفتنة بين المسلمين ، فيحذرنا القرآن الكريم من طاعة أهل الكتاب ، ومن الاستماع إلى كيدهم ودسهم ، ومن التفرق كما تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فالاعتصام بالكتاب الكريم تجعل كلمتها واحدة ، ويدها واحدة قوية متماسكة (٣) .
عن ابن عباس ؓ عن رسول الله ﷺ قال : " يد الله مع الجماعة " (٤) ، وقد بين النبي ﷺ أن هذه الأمة ستفترق إلى اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا الفرقة الناجية المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله .

قال رسول الله ﷺ : " إن بني إسرائيل افترت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة " (٥) .

المطلب الثالث

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(1) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، ح ٢٥٨٦ ، ج ٤ ، ص ١٩٩٩ .

(2) صحيح البخاري كتاب المظالم والغصب ، باب نصر المظلوم ، ح ٢٤٤٦ ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٤٤٣ .

(4) سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة ، ح ٢١٦٦ ، ج ٤ ، ص ٢١٤ . انفرد به الترمذي وقال هذا حديث غريب .

(5) سنن ابن ماجه كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم ، ح ٣٩٩٣ ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ ، إسناده صحيح .

قال تعالى : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

لقد أكرم الله - عز وجل - هذه الأمة فجعلها خير أمة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامتان يقوم عليهما صلاح المجتمع .

ولقد بين ﷺ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يتعدى ثلاث حالات إما أن يكون باليد أو باللسان أو بالقلب .

قال ﷺ : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (١) .

ولقد حث النبي ﷺ الأمة المسلمة في أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر على أن لا تحقر من المعروف شيئاً .

قال ﷺ : " لا يحقرن أحدكم نفسه قالوا : يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال: يرى أمراً لله فيه مقال ثم لا يقول فيه ، فيقول الله له يوم القيامة : ما منعك أن تقول كذا وكذا و كذا ، فيقول : خشية الناس ، فيقول فإياي كنت أحق أن تخشى " (٢) .

ولقد اختلف العلماء في معنى "من" هل هي للجنس أم للتبويض في قوله تعالى : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) .

الفريق الأول : ذهب إلى أن " من " هنا لبيان الجنس لأن الله تعالى أوجب على كل الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

(1) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ، ح ٤٩ ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(2) سنن ابن ماجة كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ح ٤٠٠٨ ، ج ٤ ، ص ٣٦١ ، إسناده صحيح .

فإذا بلغ الإنسان حد التكليف وجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده أو بلسانه أو بقلبه " فمن " جاءت لبيان الجنس لا للتبويض ، وذهب لذلك الإمام الرازي (١) ، والقرطبي (٢) ، وهذا ما يميل إليه الباحث .

الفريق الثاني : ذهب إلى أن " من " هنا للتبويض وذلك لأن في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مثل النساء والمرضى والعاجزين ، فالتكليف مختص بالعلماء (٣) ، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (التوبة: ١٢٢) . وهذا ما ذهب إليه الإمام النووي (٤) .

إن من الواجب على الأمة كلها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، الرجل في بيته وعمله ، والعامل في مجال عمله ، والمرأة في بيتها وعملها والمدرس في مدرسته ، فهم مطالبون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإذا لم يقدروا على ذلك ، قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) .

فالآية الكريمة شاملة لجميع الأمة بلا استثناء ، ولكن الله - عز وجل - جعل الخيرية في هذه الأمة للعلماء الذين يستنبطون دقائق المعاني والأحكام من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعندهم القدرة على أمر الناس بالمعروف ونهيه عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (التوبة: ١٢٢) .

وقد يذهب البعض إلى عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٥) .

(1) انظر التفسير الكبير ، ج ٨ ، ص ١٤٥ .

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .

(3) انظر التفسير الكبير ، ج ٨ ، ص ١٤٦ .

(4) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

يقول الإمام القرطبي : " وظاهر هذه الآية يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس القيام به بواجب إذا استقام الإنسان ، وأنه لا يؤخذ أحدٌ بذنب غيره " (١) .

ولكن السنة المطهرة وضحت المقصود من هذه الآية ، عن أبي بكر رضي الله عنه قال : إنكم تقرأون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه " (٢) .

والله تعالى أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البر والتقوى ، وأن يأخذوا على يد الظالم ، وفي حال العجز عن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجوارح الظاهرة ، فإنه يكون مرخصاً له الإنكار القلبي (٣) .
إن محاولة تغيير المنكر بالنصيحة وبالطرق العملية المثمرة ، تعمل على صيانة المجتمع وتقويمه وإصلاحه .

إن حركة القلب هي أول ظهور العمل الأخلاقي في الإنكار ، ثم تأتي بعدها ظواهر السلوك القولية أو العملية ، وفي حالة عدم وجود عقبات في عدم ظهور حركة القلب في الإنكار على سلوك الإنسان ، لعدم الاستطاعة من جبن النفس أو الخوف ، فإن العمل القلبي وحده يعتبر عملاً أخلاقياً ، وإن كان ضعيفاً من جهة آثاره المادية الظاهرة ، فالعمل الأقوى ما كان له آثار في اللسان ، والأقوى منهما ما كان له آثار في التطبيق العملي ، لذلك وصف الرسول صلى الله عليه وسلم إنكار القلب للمنكر بأنه أضعف الإيمان ولا يوجد مرتبة أقل من مرتبة الإنكار القلبي ، إلا الرضا بالمنكر ، ثم استحسانه ، ثم المتابعة عليه وفعله ونشره بين الناس ، وكل ذلك خارج عن الإيمان .

(1) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٤٢ .

(2) سنن أبي داود كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، ح (٤٣٣٨) ، ج ٤ ، ص ١٨٥٤ ، حديث صحيح .

(3) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٧ ، ص ١٣٠ ، المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاولة تغييره من مكارم الأخلاق الإيمانية ،لما فيها من خدمة اجتماعية وصيانة للمجتمعات من الانزلاق في مزالق الانحراف ، لذلك حرص الإسلام على جعل كل المسلمين والمسلمات حراساً لأسوار الفضائل و تعاليم الدين الحنيف ، فمن جاهد منهم المنحرفين بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان .

والرسول ﷺ يحمل المجتمع المسلم مسؤولية تقويم المنحرفين ، وحراسة حدود الإسلام كل حسب استطاعته ، فوظيفة حماية المجتمع من الانحراف ووظيفة اجتماعية إلزامية ، ولا يجوز التخلي عنها في أي حال من الأحوال ، والتخلي عنها يعرض الأمة كلها للعقوبة العامة^(١) .

عن حذيفة^(٢) قال : قال ﷺ : "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتتهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم^(٣) ." .

ولقد بين الله - عز وجل - ما أصاب بني إسرائيل لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك تحذير للمؤمنين من أن يسلكوا مسلك بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨-٧٩) .

إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدعاة لنزول العذاب ، والطرده من رحمة الله تعالى عن ابن مسعود ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا

(1) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها حنيفة الميداني ، ص ٦٥٣-٦٥٤ .

(2) حذيفة بن اليمان صحابي جليل وقد أعلمه الرسول ﷺ ما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة ، مات في

أول خلافة علي ؓ ، تقريب التهذيب ترجمة ، ١١٥٦ ، ص ١٥٤ .

(3) سنن الترمذي كتاب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح ٢١٦٩ ، ج ٤ ،

ص ٢١٥ ، قال الترمذي حديث حسن .

اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَكَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨- ٨١) .

ثم قال : " كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتتهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه (١) على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم " (٢) .

ولقد وضحت السنة المطهرة أن الله - عز وجل - يأخذ العامة بفعل الخاصة في حال تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

عن عدي بن عميرة (٣) قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة (٤) . يبين الله - عز وجل - أن على الداعية أن يكون قدوة وأسوة حسنة للمدعويين وأن تكون أقواله مطابقة لأفعاله ، قال تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤) .

لقد خاطب الله - عز وجل - المسلمين بصفة عامة وخاطب رجال الدين بصفة خاصة وأمرهم بأن تكون أقوالهم مطابقة لأفعالهم ، وأن لا يتخذوا الدين

(1) ولتأطرنه : بمعنى تعطفوه عليه ، النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(2) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، ح ٤٣٣٦ ، ج ٤ ، ص ١٨٥٣ ، إسناده ضعيف .

(3) عدي بن عميرة الكندي أبو زرارة صحابي مات في خلافة معاوية ، تقريب التهذيب ، ترجمة ٤٥٤٤ ، ص ٣٨٨ .

(4) مسند الإمام أحمد ، الموسوعة الحديثية ، ح ١٧٧٢٠ ، ج ٢٩ ، ص ٢٥٨ ، الحديث حسن لغيره .

حرفة وصناعة ، ولا يقولوا بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، ولا يأمرُوا بالخير ولا يفعلونه ولا يدعوا إلى البر ويهملونه ولا يحرقوا الكلم عن مواضعه ولا يؤولوا النصوص للغرض والهوى ، ولا يأتوا بفتاوى وتأويلات تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص وتختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين ، وذلك لمجاراته السلطان أو صاحب جاه أو مال كما كان يفعل أخبار اليهود (١) .

إن الإنسان إما أن يكون مؤمناً بما يدعو إليه ، وإما أن يكون غير مؤمن ، فإن كان غير مؤمن فهو كاذب منافق ، فقد اتخذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صناعة من الصناعات ، فهو يستحق العقاب الأليم في نار جهنم .

وإن كان مؤمناً بما يدعو إليه من خير فهو عالم أحمق لا عقل له ، لأنه يعرف الخير وينحرف عنه ، ويعرف الشر وينغمس فيه ، ولا يكون هذا في الإنسان إلا ثمرة انهيار أخلاقي في نفسه ، فلو كان صادقاً مخلصاً في إرشاده ونصحه للناس ، لأثرت فيه أقواله ونصائحه ، ومع التكرار والمتابعة يستقيم حاله ويصير من الذين يعملون بما يقولون ، لأن النصيحة الصادقة سلاح ذو حدين أحدهما يؤثر بالناصح ، وثانيهما يؤثر بالسامع (٢) .

ولقد توعد الله - عز وجل - هذا الصنف من الناس بالعذاب الأليم ، قال رسول الله ﷺ : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتتدلق أفتاب (٣) بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فيقول بلى ، قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية" (٤) .

لقد وضع العلماء لتغيير المنكر ضوابط تجعل تغيير المنكر مصلحة وتبعده عن أن يكون مفسدة .

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٦٨ .

(2) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ج ٢ ، ص ٦٥٧ .

(3) أفتاب : بمعنى الأمعاء النهائية في غريب الحديث والإثر ، ج ٤ ، ص ١١ .

(4) صحيح مسلم كتاب الزهد والرفائق ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ، ج ٤ ، ص ٢٢٩٠ .

ضوابط التغيير - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -

- ١- أن لا يؤدي تغيير المنكر إلى مفسدة أشد مما قصده تغييره ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٨).
نهى - سبحانه وتعالى - سب أصنام المشركين ، فإن هذا الشتم وإن كان فيه طاعة لله إلا أنه وجب الاحتراز منه حتى لا يستلزم شتم الله وشتم رسوله ، وفتح باب السفاهة وتغييرهم عن قبول الدين ، وإدخال الغيظ والغضب في قلوبهم ، وقد أخذ العلماء من هذه الآية قاعدة سد الذرائع ، وقاعدة درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة (١) .
- ٢- يجب على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون عالماً بما يقول قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨).
فإن كان العلم بالأمر المعروفة لدى عامة المسلمين كالصلاة ، والصيام والزنا والخمر ، فكل الناس مطالبون بذلك ، أما إن كان من دقائق الأمور من أقوال وأفعال ، وما يتعلق بالاجتهاد فهو خاص بالعلماء ، ولا مدخل للعامة فيه (٢) .
- ٣- يجب على الأمر والناهي أن يكون قوله مطابقاً لفعله . قال تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤).
- ٤- لا يشترط في الأمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلًا ما يأمر به ، مجتنباً ما ينهى عنه ، بل عليه الأمر وإن كان مخالفاً بما أمر به ، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه (٣) .

(١) انظر التفسير الكبير ، ج ٧ ، ص ١١٥ ، المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٢) انظر منبر الإسلام ، الدكتور عبد الحمين العدوى ، ص ١٩ ، العدد ٢ ، السنة ٥٤ ، صفر ١٤١٦ هـ ، يوليو ١٩٩٥ .

(٣) انظر منبر الإسلام ، الدكتور عبد الحمين العدوى ، ص ٢٠ .

٥- تغيير المنكر واجب على من قدر عليه ولو لحقه لوم لا يتعدى إلى الأذى ، وإلا فعليه أن ينكر بقلبه ، ويكون قد أدى ما عليه ، إذا لم يستطع سوى ذلك فإن لم تستطع فبقلبك وذلك أضعف الإيمان (١) .

٦- أن يستعمل الأمر والنهي الحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥) .

فلا يستعمل عبارات تضيق بها الصدور ، وتتفر بسببها القلوب بل يستعمل العبارات التي لا يمل منها السامع فيبشّر ولا ينفّر ويبسّر ولا يعسرّ فالموعظة تناسب مقتضى الحال عند المخاطب (٢) .

٧- أن يتجنب النصح أمام الناس ، فالنبي ﷺ إذا أراد أن ينكر شيئاً قال : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ولا يعين المقصود بنصيحته ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : رخص رسول الله ﷺ في أمر فتنزه عنه ناس من الناس فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب حتى بان الغضب في وجهه ، ثم قال : ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه ، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية (٣) .

٨- أن يجعل الأمور والمنهي يُحسُّ بالحرص على دينه ، وأنّ هذا التوجيه من منطلق الأخوة الإسلامية ، والمحبة الواجبة على المسلم لأخيه المسلم بعيداً عن مظهر الشدة والاستعلاء (٤) .

٩- على الأمر والنهي أن يعرف حدوده ولا يتجاوزها ، فليس لأحد من الأفراد أن يوقع العقاب ويقيم الحدود والتعزير ، والحبس ، فإن ذلك ليس من شأنه

(١) انظر المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٢) انظر منبر الإسلام للدكتور عبد الرحمن العدوى ، ص ٢٠ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته ، ح ٢٣٥٦ ، ج ٤ ، ص ١٨٢٩ .

(٤) انظر منبر الإسلام د. عبد الرحمن العدوى ، ص ٢٠ .

وإنما يقوم به ولي الأمر ، فالصحابا رضوان الله عليهم إذا أنكروا شيئاً
رجعوا إلى رسول الله ﷺ (١) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩) .

المطلب الرابع

الأخذ بأسباب القوة

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ
بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ ﴾ (الأنفال: ٦٠) .

لقد حدد الله - عز وجل - مسؤولية الأمة المسلمة ، وما تسلكه من قوة
من أجل الحفاظ على أمنها الداخلي من المنحرفين والخارجين من
المغتصبين المستعمرين .

أولاً : الأمن الداخلي :

لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان من داخل
المجتمع المسلم وذلك بالحفاظ على أداء شعائره وإقامة الحدود على المجرمين ،
ليكون رادعاً لغيرهم وينشأ عن ذلك مجتمع صالح .

إن المجتمع لا يكون صالحاً إلا إذا التزم بما أمر الله وانهى عما نهى الله
عنه ، فالسارق والزاني وقاتل النفس ، وغيرهما ممن يرتكبون جرائم في حق
الشعوب ، عندما يعلموا أن للمسلمين قوة تحافظ على إقامة الحدود في حالة
حدوث الجرائم ، فإنه لا يجرؤ أحد على الإقدام على هذه الجرائم .

(1) انظر المرجع السابق ، ص ٢٠ .

وفي حالة ضعف المجتمع المسلم تحدث الفتن والتسيب بين الأفراد ، لعدم وجود قانون يحكم المجتمع ، وخاصة في غياب تحكيم الشريعة الإسلامية ، وإحلال القوانين الوضعية مكانها .

إن ما حصل في العراق عند احتلالها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية أدى إلى انعدام الأمن وكثرة السرقة والقتل وغيرها من الجرائم أمام ملاءم البشر وعلى مرأى من شاشات التلفاز ، وذلك لانعدام القوة الداخلية التي تحافظ على حياة وأرواح المسلمين .

ومن أسباب الضعف الداخلي ، تولية المرأة زمام الحكم ، قال رسول الله ﷺ : " ما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة " (١) .

لقد ربط النبي ﷺ صلاح الأمة وفلاحها بوجود الحاكم من الرجال حيث يوجد فيه من القوة لحفظ البلاد ، وإقامة شرع الله ، ولذلك نهى عن تولي المرأة أمور المسلمين ، لما فيها من الضعف المؤدي إلى عدم انضباط الأمور ، وبالتالي إلى غياب الصلاح المنوط بشرع الله تعالى .

ثانياً : الأمن الخارجي :

إن الأمن الداخلي له تأثير كبير على الأمن الخارجي ، فعندما يرى أعداء الله تسيباً في المجتمع واختلافاً بين أفراده ، يكون المجتمع عرضة لأطماع أعداء الله وكما هو الحال في فلسطين والعراق وأفغانستان ، وغيرها من دول العالم ، وذلك لعدم إعداد العدة التي أمرنا الله بها ، قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠) .

لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض تؤمن حياة المسلمين الذين يختارون العقيدة ، فلا يصدوا عنها ولا يفتنوا بعد اعتناقها ، وهذه القوة ترهب أعداء هذا الدين إذا فكروا في الوقوف في وجهها (٢) .

(1) مسند أحمد ، ح ٢٠٥٠٨ ، ج ٣٤ ، ص ١٤٤ ، حديث صحيح .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٥٤٣ .

قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ،
 ألا إنَّ القوة الرمي ، ألا إنَّ القوة الرمي إلا إنَّ القوة الرمي " (١) .
 ولقد جعل النبي ﷺ هذه القوة متمثلة في السلطان ، فالذي يحققه السلطان
 من بسط نفوذه على الشعوب أكثر مما يحققه القرآن .
 وفي الحديث : " إن الله ليزعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن " (٢) ، يقول
 ابن كثير " ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من
 الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد " (٣) .
 ولكن واقع السلاطين في هذا الزمان مؤلم فهم أدوات في يد الأعداء
 ينفذون رغباتهم وإملاءاتهم ، وإن كانت هذه الرغبات والإملاءات تتعارض مع
 دين الله ومع شعوبهم .
 إن غياب تحكيم شريعة الله في الأرض جعل الأمن الخارجي
 للشعوب معدوماً .

إن أعداء الله يكيّدون ليلاً ونهاراً من أجل انسلاخ المؤمنين عن دينهم
 وليصبحوا مسلمين بالهوية ، أما السلوك والأخلاق فغريبة ممسوخة من العقيدة .

المطلب الخامس

إصلاح المناهج والتعليم

يحث الإسلام على العلم والتعلم ، وعلى إصلاح مناهج التعليم حتى يرتقي
 بالمسلم إلى مواكبة كل تقدم ، فأول ما نزل على قلب رسول الله ﷺ ، من القرآن
 آيات فيها حث على القراءة والكتابة ، قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
 مَا لَمْ يَكُن يَعْلَمُ ﴾ (العلق من ١-٥) .

(1) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه ودم من علمه ثم نسيه ، ح ١٩١٧ ، ج ٣ ،
 ص ١٥٢٢ .

(2) ذكره ابن كثير في تفسيره بدون إسناد ، ج ٩ ، ص ٦٨ .

(3) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٦٨ .

وجعل الله - عز وجل - للمتعلمين مكانة رفيعة ، قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة ١١) .

لقد جمعت الآية الكريمة بين الإيمان والعلم ، وجعلت كلاً منهما صفة لموصوف فالإيمان في حقيقته علم والعلم في حقيقته إيمان ، وإن الإيمان الذي لا يقوم على علم هو إيمان هزيل ، وكذلك العلم إذا لم يوصل إلى الإيمان وتضيء له الطريق فهو وبال على صاحبه ، فالمؤمن حق الإيمان عالم ، والعالم حق العلم مؤمن ^(١) فالعلم صفة شرف وكمال ، والجهل صفة نقصان فلو قيل لرجل عالم يا جاهل لتأذى من ذلك فالعلم شريف لذاته ومحبوب ، والجهل نقصان لذاته ، وأينما وجد العلم ، كان صاحبه محترماً معظماً ^(٢) .

ولقد اعتنى النبي ﷺ بتربية أصحابه ، تربية شاملة متكاملة ، تشتمل على الإرشاد وإكساب الآداب الإسلامية وتعديل السلوك وعلاج مظاهر الغلو وغرس القيم الأصلية والمعايير الصحيحة لهم ^(٣) .

لذلك جعل النبي ﷺ : "طلب العلم فريضة" لماله من أهمية في ارتقاء الشعوب . قال ﷺ : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" ^(٤) .

ولقد جاءت المفاضلة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، لبيان أن العلم هو الذي تقوم عليه قيم الناس ، فمن آتاه الله علماً انكشف له بالعلم الطريق إلى الله ، فأمن واتقى ، وأنه بقدر علمه يكون مبلغ إيمانه وتقواه ^(٥) قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر ٩) .

(1) انظر التفسير القرآني للقرآن ، ج ٢٨ ، ص ٨٣٣ .

(2) انظر التفسير الكبير ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(3) انظر مقدمة في التربية الإسلامية الدكتور محمود أبو دف ، ص ٦ .

(4) سنن ابن ماجه كتاب المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، ح ٢٢٤ ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، إسناده ضعيف .

(5) انظر التفسير القرآني للقرآن ، ج ٢٣ ، ص ١١٢٨ .

إن العلوم الشرعية هي أساس العلوم التي تحيي القلوب وتطور الطريق
وتصلح المجتمع فهي ثمرة كل علم نافع .

وليس المراد بالعلم ، العلم الشرعي فقط ، فقد كانت المدارس الإسلامية
القديمة كالمساجد ودور الكتاتيب وبيوت العلماء تُخرِّج العلماء المختصين في
العلوم الشرعية وغيرها كالطب والكيمياء والصيدلة والهندسة وغيرها من
العلوم الأخرى .

إن المسلمين مطالبون بمواكبة أي تكنولوجيا أو تقدم ، فلا ينبغي التركيز
على العلوم الشرعية مع تجاهل التخصصات الأخرى .

لقد كان السلف الصالح يعتنون بالعلوم الشرعية والعلمية معاً .
إن من يعتقد أن دولة الإسلام تقوم على العلوم الدينية فقط لا يقلون خطأً
عن أولئك العلمانيين الذين يظنون أنه يكفي أن نهتم بالعلوم العصرية حتى نقيم
دولة قوية عصرية (١) .

" إن الكمال الإنساني لا يتحقق إلا بالتوفيق بين الدين والعلم " (٢) ،
ولقد حث القرآن الكريم على التعليم الشرعي وغير الشرعي ، قال تعالى
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٤) .

فقد جاءت كلمة "علم" نكرة لتفيد الترغيب في جميع أنواع
العلوم ، الشرعية وغير الشرعية ، وإن كانت العلوم الشرعية في
مقدمة العلوم .

إن عدم الاستغناء عن القرآن والسنة بداية لأنهما يحويان مفهوم الحياة
الصالحة في الدنيا والآخرة ، فمهمة الإنسان أن يتعلم العلم للمعرفة والعمل
الإيجابي ، لا لذات العلم ، فإن تم التركيز على العلم فقط فإنه ينعكس بالعلم
السلبى ويلحق الأذى بالإنسانية (٣) .

(1) انظر بحوث في التربية الإسلامية للدكتور عبد الرحمن النقيب ، ص ١٦٩-١٧٢ .

(2) التربية الإسلامية وفلاسفتها محمد عطية الأبراشي ، ص ٢٤ .

(3) انظر التفسير القرآني للقرآن ، ج ٢٣ ، ص ١١٢٨ .

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر ٢٨) ، وفي هذه الآية إشارة إلى عموم مفهوم العلماء لتشمل كل عالم بالكون وآياته ودقائقه وأسرارهِ ، بصير بعلم الأرض وما فيها .

وإذا ما بدأنا بإصلاح التعليم من خلال ربط آيات القرآن بواقع الحياة وحاجات العصر، ودقائق العلوم ، فنكون قد وضعنا أنفسنا على الطريق القويم والمنهج السليم .

إن إصلاح التعليم هو أساس كل صلاح ، ولن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم ، فالعلماء من الأمة بمثابة القلب ، إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، وصلاح المسلمين بفقهم الإسلام وعملهم به ، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم ، فإن كان علماءهم أهل الجمود في العلم والابتداع في العمل ، كان المسلمون كذلك ، فصلاح التعليم قادر على أن ينشئ علماء مسلمين قادرين على تحمل أعباء الدعوة ، وقيادة الأمة وتخليصها مما هي فيه من الضعف والاستعمار والتخلف ، بينما أي تفريط في إصلاح التعليم ينجم عنه فساد في المجتمع وتخلف للحضارة (١) .

لقد مر تعليم التربية الدينية في مراحل خطيرة في فلسطين ، فقد كان الطالب يأخذ حصة واحدة في الأسبوع ، ويقوم بتدريس هذه المادة مدرس علوم أو رياضة ، أو لغة عربية ، وغيرهم من المدرسين أصحاب التخصصات غير الإسلامية .

إن عدم مراعاة الكفاءات في التعليم جعل هذه المادة من ثانويات التعليم ، فكانت مادة الدين الوحيدة هي التي لا تدخل ضمن نطاق المعدل النهائي للطالب فلا تعتبر مادة رسوب أو نجاح .

(1) انظر مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية ، دكتور عباس مدني ، ص ٣٢-٣٣ .

إن من واجب وزارة التعليم بإصلاح المناهج الدينية بتوفير الحصص اللازمة لفروع الدين من الفقه والعقائد والتاريخ الإسلامي والسيرة ، إذ هي الوسيلة لفهم القرآن وتدبره ، وتوفير المدرسين المختصين لتدريس هذه العلوم .
لقد كان الاستعمار سبباً في جمود التعليم في فلسطين وذلك بعدم الاعتراف برواتب المدرسين ، حتى أصبح كل مدرس يبحث له عن عمل إضافي ليعيش منه ، مما كان له من تأثير سلبي على التعليم .

لقد شهد العالم الإسلامي تطوراً خطيراً، بعد أحداث الحادي عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١م، حيث فرضت أمريكا برامج عملية لتغيير مناهج الدراسات والمعاهد الدينية في معظم البلاد الإسلامية ، وصرح بذلك الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته ، عبر شاشات التلفاز ، بإصلاح التعليم في دول العالم الإسلامي وأهمها أفغانستان وباكستان ومصر ودول الخليج وأهمها السعودية لأنها منبع الإرهاب على حد زعمهم .

ويرى الخبراء الأمريكيون أن التغيير سيبدأ من المرحلة الابتدائية بحيث يتم تغيير موضوعات المادة الدينية التي تحض على الجهاد ، والفتوحات الإسلامية لما لها من الآثار النفسية على المسلمين .

وتغيير مسمى المادة الدينية والتربية الإسلامية ليطلق عليها مادة (الأخلاق والثقافة الدينية) لإعطاء صورة إيجابية عن الديانات الثلاث " اليهودية والمسيحية والإسلامية " وليبين دور كل الأديان في بناء الحضارة الإنسانية .

إن ضعف الدول العربية وانصياعها وتهافتها لقرارات الولايات المتحدة الأمريكية ، جعلها تنهافت على التغيير المنشود من قبلها ، فبعد النظر في كتاب اللغة العربية للصف الرابع الابتدائي في فلسطين لم أجد آية واحدة من كتاب الله يستشهد بها الكاتبون ، ولم يكن هذا الأمر خاصاً بالصف الرابع بل بباقي الصفوف ، حيث يوجد في الكتاب آية أو آيتان فقط.

إن التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية للامة الإسلامية تحت عنوان التطور والإصلاح التعليمي الذي تفرضه على دول العالم الإسلامي هو إعلان حرب فكرية هدفها استعمار عقول المسلمين ، ومن ثم قلوبهم ومناهج حياتهم ، وذلك من

خلال التدرج البطيء في ضرب المقررات الإسلامية التي تحمي عقيدة الأمة وأخلاقها ، وبذلك يتم تجفيف روافد الإسلام وقيمه ، فتضعف صلة الأجيال بوحى السماء ، وتتهيباً نفوسهم وتتوافق مع بسط نفوذ السلطان الثقافي الدخيل .

المبحث الثالث الإصلاح التشريعي والمالي

ويشتمل على مطلبين :

- المطلب الأول : الإصلاح التشريعي .
- المطلب الثاني : الإصلاح المالي .

المطلب الأول الإصلاح التشريعي

ويشتمل على خمس مسائل .

المسألة الأولى: تحريم السرقة وحدها .

المسألة الثانية : تحريم الخمر ومشروعية حد شارب الخمر .

المسألة الثالثة : تحريم الزنا ومشروعية حد الزنا وحد القذف .

المسألة الرابعة : تحريم القتل ومشروعية القصاص .

المسألة الخامسة : حد الحراة .

المسألة الأولى : تحريم السرقة وحدّها :

أولاً : تحريم السرقة :

قال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٨) .

لقد بين الله سبحانه وتعالى حرمة المسلمين فيما بينهم، و الحفاظ على حقوقهم المالية و الجسمانية ، فلا يعتدي أحد على أحد .

والسرقة لغة : " أخذ المال في خفاء و حيلة "

وفي الشرع : "أخذ العاقل البالغ مقداراً مخصوصاً من المال خفية من حرز معلوم بدون حق ولا شبهة" (١) .

إن الإسلام يوفر للناس ضمانات العيش والكفاية ، فحق كل فرد في المجتمع المسلم أن يعيش حياة كريمة وأن يأكل ويشرب ويلبس ، وأن يكون له بيت يؤويه ، و يجد فيه الطمأنينة والراحة ، وهذه مسؤولية الجماعة المسلمة أن تحقق لأفرادها الأمن والأمان ، وفي حال عدم وجود جماعة مسلمة تقوم على خدمة مصالح الأمة ، فعلى الدولة النائية عن الجماعة أن تقوم بذلك .

إن من الواجب على الدولة أن توفر للفرد فرصة العمل وأداة العمل ، وإذا تعطل الفرد لعدم وجود العمل أو لعدم قدرته على العمل ، فله الحق في استكمال هذه الضروريات من بيت مال المسلمين أو من النفقات التي تفرض له شرعاً .

إن الإسلام يتشدد في الوسائل التي يجمع بها المال ، بحيث لا تكون إلا من حلال ، وحتى لا تثير في المجتمع المسلم أحقاد الذين لا يملكون المال ، ولا تثير أطماعهم في سلب ما في أيدي الآخرين ، وينتشر الفساد بين أفراد المجتمع (٢) .

(1) روائع البيان تفسير آيات الأحكام محمد الصابوني ، ج ١ ، ص ٥٢٠ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٨٢-٨٨٣ .

فمن حق كل فرد في المجتمع أن يكون كسبه من حلال لا من ربا وغش واحتكار وأكل أجور العمال ، إن واقع المسلمين اليوم مليء بالاختلاسات والسرقات والقانون السائد في هذا العصر هو القانون العلماني فالدول الإسلامية التي تقيم حدود الله تعالى تكاد تكون معدومة .

إن إقامة الحدود تصلح المجتمع من الفساد ، وتكبح جماح المجرمين ، قال أبو هريرة : " إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة " (١) .
إن في إقامة الحدود حياة للبشرية ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٩) ولكن هل نستطيع في هذا الزمان أن نقيم الحد على السارق ، والبطالة المنتشرة وفرص العمل غير متوفرة .

إن المبدأ العام في الإسلام هو درء الحدود بالشبهات ، فحين وجود مجاعة في المجتمع ، فإن للإسلام الحق في العفو عن السارق ، فعمر ﷺ ، لم يقطع يد من سرق في عام الرمادة ، حين عمت المجاعة ، وكذلك لم يقطع أيدي غلمان حاطب بن أبي بلتعة عندما سرقوا ناقه من رجل من مزينة ، بل درأ عنهم الحد ، وذلك حين تبين له أن سيدهم يجيعهم فغرم سيدهم ضعف ثمن الناقة تأديباً له ، هكذا يجب أن تفهم حدود الإسلام الذي يضع الضمانات للجميع لا لطبقة على حساب طبقة (٢) .

ثانياً : حد السرقة :

إن السرقة من الكبائر التي يوجب الإسلام عليها الحد ، قال تعالى :
﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٨) .

اتفق العلماء على أن السارق تقطع يده اليمنى في السرقة الأولى ، وإذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى ، واختلفوا في قطع اليد اليسرى في السرقة

(1) سنن النسائي كتاب قطع السارق ، باب الترغيب في إقامة الحد ، حديث حسن ، ح ٤٩٢٠ ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ .

(2) انظر في ظلال القرآن ج ٢ ، ص ٨٨٣ .

الثالثة والرَّجْلَ اليمنى في السرقة الرابعة ، والراجح في هذه المسألة رأى الحنفية والحنابلة ، أنه لا يقطع أصلاً بعد اليد اليمنى والرجل اليسرى ، ولكنه يعزر ويحبس حتى يتوب ، ويدل على ذلك ما حدث مع علي رضي الله عنه حينما أتى بسارق ، فقطع يده ، ثم أتى به الثانية وقد سرق ، فقطع رجله ، ثم أتى به في المرة الثالثة فقال : لا أقطعه ، إن قطعت يده فبأي شيء يأكل ، وبأي شيء يتمسح ، وإن قطعت رجله فبأي شيء يمشي إني لأستحي من الله ، فضربه بخشبة وحبسه (١) .

ولا يجوز التهاون في إقامة الحد ، عن عائشة رضي الله عنها أن قریشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام فاحتطب ، ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (٢) .

نصاب السرقة :

"قال الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة : نصاب السرقة ربع دينار شرعي من الذهب أو ثلاثة دراهم شرعية خالصة من الفضة ، أو قيمة ذلك من العروض والتجارات والحيوانات " (٣) .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً" (٤) .

وتثبت السرقة إما بالإقرار أو بالبينة ، وحد السرقة حق خالص لله تعالى فلا يحتمل العفو والصلح بعد ثبوته ، فلو أمر الحاكم بقطع يد السارق فعفا

(1) انظر الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي ، ج٦ ، ص ٩٦-٩٧ .

(2) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ، ح ٣٤٧٥ ، ج٤ ، ص ١٨١ .

(3) الفقه الإسلامي وأدلته ، ج٦ ، ص ١٠٣ .

(4) صحيح البخاري كتاب الحدود ، باب قول الله تعالى " ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ وفي

كم يقطع ، ح٦٧٨٩ ، ج٧ ، ص ٢١ .

عنه المسروق كان عفوه باطلا، ولذلك قرر الحنفية قاعدة " الصلح عن الحدود باطل" (١) .

والعفو عن السارق أو التوبة عن فعله يثبت قبل رفع الأمر إلى الإمام الحاكم وهذا ما عليه الجمهور . (٢) .

عن صفوان بن أمية انه طاف بالبيت وصلى ثم لف رداء له من برد فوضعه تحت رأسه فنام فأتاه لص ، فاستله من تحت رأسه ، فأخذه فأتى به النبي ﷺ فقال إن هذا سرق ردائي ، فقال له النبي ﷺ أسرقت هذا قال نعم ، قال اذهب به فاقطع يده ، قال صفوان : ما كنت أريد أن تقطع يده في ردائي فقال ، فقال له فلو ما قبل هذا" (٣) .

"إن هذه العقوبة وإن نفر منها بعض الناس إلا أنها العقوبة المناسبة التي هي الأشد تأثيراً ومنعاً للسرقة ، وتوفيراً لأمن الناس على أموالهم وأنفسهم ، ولا أحد يدرك ما للسرقة من مخاطر نفسية وعصبية ، ومالها من أثر في إحداث القلق والرعب في النفوس" (٤) .

المسألة الثانية : تحريم الخمر ومشروعية حد شارب الخمر :

إن الخمر من الكبائر التي حرمها الإسلام ، وأوجب على شاربها الحد ، لما فيها من الخطر الذي يهدد حياة الفرد والمجتمع ، وينشر الفساد والرذيلة بين أفراد المجتمع .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ

لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة : ٢١٩) .

والمنافع الموجودة في الخمر منافع دنيوية لما فيها من نفع للبدن ، وتهضيم الطعام ، وإخراج الفضلات ، ولذة الشدة المطربة التي

(1) انظر الفقه الإسلامي وأدلته ، ج ٦ ، ص ١٠٠ .

(2) انظر التفسير المنير ، ج ٦ ، ص ١٨١ .

(3) سنن النسائي كتاب قطع السارق ، باب ما يكون حرزا حديث صحيح ، ج ٤٨٩٦ ، ج ٤ ، ص ٣٩٣ .

(4) التفسير المنير بتصريف يسير ، ج ٦ ، ص ١٨٢ .

فيها ، وبيعها والانتفاع بثمنها ، وهذه المصالح الدنيوية لا توازي المضار المتعلقة بالعقل والدين ، والمفسدة التي تعود على البشر ، لذلك قال وإثمهما أكبر من نفعهما (١) .

ولذلك حرّم الله تعالى الخمر على مراحل متعددة لأن الخمر تورث الإدمان ولا يستطيع الإنسان الإنفكاك عنها بسهولة ، ولشدة تعلق الناس بها في الجاهلية ، فلو حرمت الخمر دفعة واحدة لثقل ذلك على نفوسهم .

عن عمر بن الخطاب قال : " اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاءً ، فنزلت الآية التي في البقرة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ (البقرة : ٢١٩) ، فدعي عمر فقرئت عليه ، قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاءً ، فنزلت الآية التي في النساء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء : ٤٣) فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي : ألا لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاءً ، فنزلت هذه الآية ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (المائدة : ٩١) قال عمر انتهينا " (٢) .

ولقد جاء الله - عز وجل - في تحريم الخمر بلفظ ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ وهو ابلغ في النهي والتحريم من لفظ ﴿ حُرِّمَ ﴾ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة : ٩٠) فلفظ ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ معناه البعد عنه بالكلية ، وكلما كانت الحرمة شديدة جاء التعبير بلفظ الاجتناب كما قال تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ (الحج : ٣٠) ، ولا يوجد ذنب أعظم من الإشراف بالله (٣) .

لقد وضع النبي ﷺ قاعدة للتعرف على الخمر وما شابهها من مسميات ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : " كل مُخْمَرٍ خمر ، وكل مسكر حرام ومن

(1) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٢٩١-٢٩٢ .

(2) سنن أبي داود كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر ، حديث صحيح ، ح ٣٦٧٠ ، ج ٣ ، ص ١٥٨٩ .

(3) انظر روائع البيان ، ج ١ ، ص ٥٢٨ .

شرب مسكراً بخست صلاته أربعين صباحاً ، فإن تابَ تابَ الله عليه ، فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال ، قيل : وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال : صديد أهل النار ، ومن سقاه صغيراً لا يعرف حلاله من حرامه كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال" (١) .

ومهما تعددت أسماؤها ومسمياتها وأشكالها وألوانها ، كالحشيش والبنج والأفيون والكوكابين وغيرها من المسكرات فهي حرام باتفاق العلماء ، ولا فرق في أن يكون المسكر مأكولاً أو مشروباً أو جامداً أو مائعاً ، فالنبي ﷺ قال : "كل مسكر حرام" فهي قاعدة عامة تشمل كل المسكرات وإن كانت الحشيش والكوكابين وغيرها من المسميات العصرية فهي من أعظم المنكرات التي تفسد المجتمعات الصالحة .

وهي أشد من الشراب المسكر لأنها تورث التخنيث والديوثة ، وتفسد المزاج وتورث الجنون (٢) ، قال رسول الله ﷺ " ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها " (٣) .

إن إباحية الخمر منتشرة في جميع الدول العربية والإسلامية ، تشجيعاً للسياحة ومواكبة للتقدم والحضارة ، وإرضاءً للغرب ، بل إن بيع الخمر والاتجار بها ، يأخذ ترخيصاً من المجالس التشريعية والقوانين الوضعية . ولو نظرنا من زاوية أخرى لوجدنا أن أصل المسكرات هو الخمر ، فكل ما خامر العقل سواء كان ذلك خمراً أو مخدرات بجميع أشكالها وأجناسها تندرج ضمن الخمر .

(1) سنن أبي داود كتاب الأشربة ، باب ما جاء في السكر ، حديث صحيح ، ح ٣٦٨٠ ، ج ٣ ، ص ١٥٩٣ .

(2) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ٣٤ ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(3) سنن أبي داود ، كتاب الأشربة ، باب في الدأذي حديث صحيح ح ٣٦٨٨ ج ٣ ص ١٥٩٦ والدأذي ، حب يطرب في الشراب فيشتد حتى يسكر ، انظر عون المعبود ، شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد أبادي ، ج ١٠ ، ص ١٠٩ .

إن العالم الإسلامي وغير الإسلامي يجندون الجنود من أجل محاربة الحشيش والمخدرات ، ويغضون أعينهم عن الخمر الذي هو أصل لجميع المسكرات ، فعندما حرم الإسلام الخمر إنما أراد بذلك الصلاح والخير للأمة ، مما تسببه الخمر من انتشار للأمراض والفساد .

إن انتشار الخمر في العالم الإسلامي يخدم بالدرجة الأولى الصهيونية العالمية لنشر الرذيلة والفساد في المجتمع ، ولتفت من عضد المسلمين ببعدهم عن دستورهم الذي حفظه الله .

لقد أدرك علماء الغرب مستوى الدمار والوباء الذي يجلبه عليهم الإدمان على المسكرات ومشتقاتها ، لذلك تقول دائرة معارف جامعة كاليفورنيا للصحة " يعتبر الخمر حالياً القاتل الثاني بعد التدخين في الولايات المتحدة ، فشرب المسكرات في أمريكا سبب موت أكثر من ١٠٠,٠٠٠ شخص سنوياً هناك والخمر وحده مسؤول عن أكثر من نصف الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق في أمريكا والبالغة ٥٠,٠٠٠ شخص سنوياً .

وليس هذا فحسب ، بل إن الخمر مسؤول عن إصابة أكثر من نصف مليون شخص سنوياً بحوادث السيارات في أمريكا في العام الواحد ، وأما في البيت ، فالمسكرات مسؤولة عن كثير من الحرائق ، وسقوط شاربي الخمر على الأرض أو غرقهم أثناء السباحة والمسكرات لا تسبب المشاكل في البيت أو على الطرقات فحسب ، بل إن خسائر أمريكا من نقص الإنتاج وفقدان العمل نتيجة شرب الخمر تزيد على ٧١ بليون دولار سنوياً ناهيك عن الخسائر التي لا تقدر بثمن ، من مشاكل نفسية وعائلية واجتماعية " (١) .

(1) مجلة البيان أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر ، العدد السابع والخمسون ، ص ٩١-٩٢ ، جمادى الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

وإذا كانت هذه الحصىلة من الوفيات في الولايات المتحدة الأمريكية سنوياً فقط فكيف تكون الحصىلة في باقي دول العالم .

إن علماء الغرب أدركوا مدى خطورة الخمر في القرن التاسع عشر بينما القرآن الكريم حذرنا من تعاطي المسكرات لما فيها فساد وإفساد على الفرد والمجتمع من قبل ١٤٢٥ سنة .

حد شارب الخمر :

" أجمع المسمون على وجوب الحد على شارب الخمر سواء شرب قليلاً أو كثيراً وأجمعوا على أنه لا يقتل بشربها ، وإن تكرر ذلك منه" (١) .

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين ، قال : وفعله أبو بكر ، فلما كان عمر انتشار الناس ، فقال عبد الرحمن بن عوف ؓ : أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر " (٢) .

أما ما يتعلق بالمخدرات كالحشيش و الأفيون والكوكايين وغيرها من المسميات فقد اختلف فيها العلماء (*) ، والراجح فيها قول الإمام ابن تيميه - رحمه الله - أنه يجب على شاربها الحد كما يجب في الخمر (٣) .

إن المسكرات من الحشيش والأفيون والكوكايين هي أخطر على البشرية من الخمر لأنها لا تغطي العقل فقط بل تدمر العقل والجسم معاً .

أما حكم من يتاجر فيها فقد أفتى بذلك مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في قراره الصادر برقم ١٣٨ في ١٤٠٧/٦/٢٠هـ متضمناً ما يلي:

- (1) صحيح مسلم شرح النووي ، ج ١٢ ، ص ٢٢٠ .
- (2) صحيح مسلم كتاب الحدود باب حد الخمر ح ١٧٠٦ ج ٣ ص ١٣٣٠ .
- (*) ذهب فريق من العلماء على أنه لا حد في المخدرات مطلقاً وإنما فيها التعزير لأن الحد إنما ورد في المانع المطرب الذي يشرب أما المأكل من المخدرات فلم يرد في تناوله حد مقرر . انظر كتاب فقه الأشربة وحدها عبد الوهاب عبد السلام طويلة ص ٤٢٧ .
- (3) انظر مجموع فتاوى ابن تيميه ج ٣٤ ص ٢٠٤ .

أولاً : "بالنسبة لمهرب المخدرات فإن عقوبته القتل ، لما يسببه تهريب المخدرات وإدخالها البلاد ، من فساد عظيم لا يقتصر على المهرب نفسه بل أضرار جسيمة وأخطار بليغة على الأمة بمجموعها .

ويلحق بالمهرب الشخص الذي يستورد أو يتلقى المخدرات من الخارج يُموّن بها المروجين .

ثانياً : أما بالنسبة لمروج المخدرات فقد أكد المجلس بقراره رقم (٨٥) بتاريخ ١٤٠٤/١١/١١ هـ الذي نص على أن من يروج المخدرات :فإن كان للمرة الأولى فيعزر تعزيراً بليغاً بالحبس ، أو الجلد ، أو الغرامة ، أو بهما جميعاً حسبما يقتضيه النظر القضائي .

وإن تكرر منه ذلك فيعزر بما يقطع شره عن المجتمع ولو كان بالقتل ، لأنه بفعله هذا يعتبر من المفسدين في الأرض ، ومن تأصل الإجرام في نفوسهم" (١) .

المسألة الثالثة : تحريم الزنا ومشروعية حد الزنا وحد القذف :

أولاً : تحريم الزنا :

لقد حرم الله - سبحانه وتعالى - الزنا لما يترتب عليه من اختلاط الأنساب وانتهاك الأعراض ، وانحلال الروابط الاجتماعية ، قال تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور: ٢-٣) .

وقبل أن يحرم الله - عز وجل - الزنا حرم كل الطرق والوسائل التي تؤدي إلى الزنا .

(1) الإنترنت موقع مؤسسة البلاغ www.balagh.com/ مقال الدكتور سعد المرصفي بعنوان المخدرات الخطر الداهم والإجماع على تحريمها وزراعتها وصناعتها والاتجار فيها ، بتصريف يسير .

ولما كان مبدأ الزنا من قبل البصر أمر الله تعالى ببغضه ، وجعل الغض مقدماً على حفظ الفروج ، لأن من أطلق نظره فقد أورد نفسه موارد الهلاك (١) قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (النور: ٣٠-٣١) .

"إن الإسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء مجتمعه النظيف ، إنما يعتمد على الوقاية" (٢) .

فقد جعل - سبحانه وتعالى - للبيوت حرمة لا يجوز المساس بها ، ولا يجوز الدخول فيها بغير استئذان ، خوفاً من التطلع على عورات أهلها وهم غافلون ، فقد حرم - سبحانه وتعالى - النظر بقصد إلا للمحارم (٣) ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ (النور: ٢٧) .

وحرم - سبحانه وتعالى - خلوة الرجل بالمرأة حتى لا يجعل للشيطان نصيباً في إغوائهما قال رسول الله ﷺ : " لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان " (٤) .

قال النبي ﷺ : " يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فإنما لك الأولى ، وليست لك الثانية " (٥) ، وجعل الله عز وجل حفظ الفرج وغض البصر من أسباب دخول الجنة .

(1) انظر الجواب الكافي ، ص ١٩٤ .

(2) في ظلال القرآن بتصرف يسير ، ج ٤ ، ص ٢٥٠٧ .

(3) انظر المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٠٧ .

(4) سنن الترمذي كتاب الرضاع باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات ، ح (١١٧١) ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ ، حديث صحيح .

(5) سنن أبي داود كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر ، حديث حسن ، ح ٢١٤٩ ، ج ٢ ، ص ٩٢١ .

عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال : " اضمنوا لي ستاً من أنفسكم
أضمن لكم الجنة ، اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا أوتمتم ،
واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم " (١) .

"ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم ، فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار
على أهلها وزوجها ، وأقاربها ، ونكست رؤوسهم بين الناس ، وإن حملت من
الزنا ، فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل ، وإن أبقت حملته على الزوج ،
فأدخلت على أهلها وأهله أجنبياً ليس منهم ، فورثهم وليس منهم ، ورآهم وخلا
بهم وانتسب إليهم وليس منهم ، إلى غير ذلك من مفاصد زناها .

وأما زنا الرجل فإنه يوجد اختلاط الأنساب أيضاً ، وإفساد المرأة المصونة
وتعريضها للتلف والفساد" (٢) .

وعندما كان الزنا من المفاصد العظيمة ، وهي منافية لمصلحة الأمة
ولمصلحة الكون كانت هذه المفسدة تلي مفسدة القتل في كتاب الله ، قال تعالى :
﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَا يَزْنُونَ ﴾ (الفرقان: ٦٨) .

ولقد أمر الله - عز وجل - النساء بعدم إظهار زينتهن حتى لا يطمع فيهن
طامع ولا يكون للشيطان عليهن سبيلاً .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " صنفان من أهل النار
لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات
عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة (٣) البخت المائلة لا يدخلن الجنة
ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" (٤) .

(1) مسند الإمام أحمد ، مسند الأنصار حديث حسن لغيره ، ح ٢٢٧٥٧ ، ج ٣٧ ، ص ٤١٧ .

(2) الجواب الكافي ، ص ٢٠٨ .

(3) أسنمة البخت : بمعنى " نساء يتعمن بالمقانع على رؤوسهن يُكبرنهن ، وهو من شعار المغنيات "
النهاية في غريب الحديث بتصريف يسير ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

(4) صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات ، ح ٣٩٧١ ، ج ٣ ، ص ١٦٨٠ .

إن واقع المسلمين اليوم مليء بالنساء الكاسيات العاريات ، مما يؤدي إلى فساد المجتمع المسلم ، وانحراف الشباب .

وعاقبة هذه الفاحشة لا يجنيها مرتكبو الزنا فقط بل يجنيها المجتمع كاملاً ، فقد توعده الله - عز وجل - من يرتكب هذه الفاحشة بالأمراض التي لم تكن موجودة في أسلافهم .

قال رسول الله ﷺ : " يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا " (١) .

وها نحن اليوم نسمع بالأمراض الكثيرة الخطيرة الفتاكة ، سواء كان ذلك في المجتمع الإسلامي أو غير الإسلامي ، والتي لم يتوصل الطب إلى اكتشاف علاج لها وذلك بسبب انتشار الزنا .

ثانياً : حد الزنا :

لقد حدد الله - عز وجل - أربعة شهود على من يرتكب جريمة الزنا ، وذلك لصعوبة هذه الفاحشة في المجتمع المسلم ، ولما لها ﷺ أثر في تمزيق شمل الصف المسلم ، فمن الصعب على من يرى الزاني أن يأتي بأربعة شهود ، لكثرة عددهم ولتعدد اجتماع أربعة شهود في آن واحد ، فقد يجتمع شخص أو شخصان . إن الإسلام عندما وضع هذا العدد إنما أراد أن يحافظ على المجتمع ليكون مجتمعاً صالحاً نظيفاً من الفساد و الرذيلة ، ولا يفتح لكل من تسول له نفسه أن يتهم أحداً بهذه الجريمة .

قال تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾

وظاهر هذه الآية العموم في كل زانٍ أو زانية يجلد مائة جلدة ، سواء كان عبداً أو أمة أو حراً أو بكراً أو محصناً من الرجال و النساء ،بينما جاء التفصيل في ذلك في مواطن أخرى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن كان بكراً لم يتزوج فإن

(1) سنن ابن ماجة كتاب الفتن ، باب العقوبات ، صحيح الإسناد ، ح ٤٠١٩ ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .

حده الجلد مائة جلدة ، ويزاد على ذلك أن يُغَرَّبَ عاماً عن بلده وهذا ما عليه جمهور العلماء (١) .

عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني (٢) في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما : "يا رسول الله : إن ابني كان عسيفاً ، يعني كان أجيراً على هذا ، فزنا بامرأته فافتديت منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم ، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا أنيس (٣) - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها ، فغدا عليها فاعترفت فرجمها (٤) " .

أما المحصن فإنه يرجم ويدل على ذلك القرآن الكريم والسنة ، قال تعالى : ﴿ وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَانَا فَاَرْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وهي منسوخة تلاوة وبقاوية حكماً (٥) .

وعن عبد الله بن عباس قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ : إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق

(1) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١٠ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج ٤ ، ص ٥ .

(2) زيد بن خالد الجهني المدني ، صحابي مشهور مات سنة ٦٨هـ ، تقريب التهذيب ، ترجمة ٢١٣٣ ، ص ٢٢٣ .

(3) أنيس بالتصغير ابن سمعان بن أبي يحيى الأسلمي ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٥٦٨ ، ص ١١٥ .

(4) صحيح البخاري كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، ح ٢٦٩٦ ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

(5) انظر أضواء البيان ، ج ٤ ، ص ٥ .

على من زنى إذا أحسن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة أو كان الحبل ، أو الاعتراف (١) .

فهذا دليل صريح في بقاء حكم الرجم وإن كانت الآية منسوخة تلاوة ، أما الزاني العبد فإنه يجلد نصف المائة وهو خمسون جلدة ، وكذلك الأمة قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (النساء: ٢٥) ، فهي مخصصة للعموم قال تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ (٢) .

وكان حكم من ترتكب الزنا في بداية الدعوة الإسلامية الحبس قال تعالى : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَاَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥) .

قال العلماء : هذه الآية منسوخة بحديث النبي ﷺ ، خرج النبي ﷺ يوماً على أصحابه فقال : خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر مائة جلدة وتعريب عام والثيب بالثيب الرجم ، فصارت هذه السنة ناسخة لتلك الآية (٣) .
والذي يراه الباحث أن الآية ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ محكمة وليست منسوخة ويلجأ إلى هذا الحكم - الحبس - عند غياب الإمام وعند غياب تطبيق الشريعة .

ولقد قرر العلماء أنه لا يجوز إقامة الحدود إلا في ظل حاكم مسلم فماذا يفعل المسلمون اليوم في غياب تحكيم شريعة الإسلام .

إن العمل بهذه الآية يبقى قائماً في حق المرأة والرجل ، فمن حق ولي المرأة التي زنت أن يحبسها في البيت إلى أن يتوفاها الله سبحانه وتعالى .

(1) صحيح مسلم كتاب الحدود ، باب رجم الثيب الزاني ، ح ١٦٩١ ، ج ٣ ، ص ١٣١٧ .

(2) انظر أضواء البيان ، ج ٤ ، ص ٦ .

(3) انظر الناسخ والمنسوخ لأبي قاسم هبة الله ، ص ١٨ .

إن القوانين الوضعية لا تعترف بتحكيم شريعة الإسلام ، وإن من يعترف بجريمة الزنا لا يعاقب حسب القوانين الوضعية ما دام الزنا وقع برضاء الطرفين .

وفي ظل هذه القوانين نذكر حادثة حصلت في جمهورية مصر العربية . "وبعد تردد قالت الأم : إن ولدي هو الذي اعتدى عليّ وقد عاشرتة معاشرّة الأزواج حتى حملت منه ، وأخذت تصف للمحقق كيف راودته هي عن نفسه عندما كانا ينامان معاً في فراش واحد ، وكيف ظلت تلاحقه إلى أن أقنعتة بما تريد ، وتكرر الإغراء أكثر من مرة إلى أن ظهرت عليها أعراض الحمل ، وسئل الابن فأيد أمه في روايتها ، وقال أنه اعتدى عليها برضاها ، وبعد أن ألحت عليه كثيراً .

ودونت النيابة هذه الأقوال ثم قررت الإفراج عن الابن وأمه ، وحفظ الدعوى لانعدام الجناية ، إذ إن القانون لا يعاقب على الواقعة ما دام الاعتداء تم برضاء الأم دون إكراه" (١) .

ثالثاً : حد القذف :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ (النور ٢٣-٢٥) .

يبين الله - سبحانه وتعالى - حد القاذف للمحصنة وهي الحرة البالغة العفيفة وهو الجلد ثمانين جلدة وكذلك لا تقبل للقاذف شهادة أبداً ، إلا إن جاء بأربعة شهود ، ففي هذه الحالة يسقط عنه الجلد وقد توعد الله عز وجل المنافقين الذين يرمون المحصنات ويروجون للفواحش بعذاب أليم في الآخرة (٢) .

(1) مجلة الاعتصام ، الحدود في الإسلام (الزنا) الشيخ محمود عبد الوهاب ، ص ٤١ ، ص ٤١ ، العدد ٢٥ نقلاً عن أخبار يوم ٩/١٠/١٩٥٤م ، وجريدة الأخبار ١٧/١٠/١٩٥٤م .

(2) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١٠ ، ص ١٧١ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ٢٣).

إننا في زمان أصبح من السهل الطعن في أعراض المسلمين لأدنى شبهة وهذا ما حذرنا منه القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : "اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" (١) .

المسألة الرابعة : تحريم القتل ومشروعية القصاص :

حرم الله - عز وجل - القتل بشتى أنواعه لما فيه من تعدٍ على الغير ، وفساد في المجتمع ، فرسم للبشرية طريقاً ومنهجاً واضحاً يتعاملون به فيما بينهم وحدد لهم حدوداً فلا يتجاوزونها.

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٢-٩٣).

فلا يجوز التعدي على النفس البشرية إلا بأمور ثلاثة كما وضحها النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة" (٢) .

(1) صحيح البخاري كتاب الوصايا ، باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾ (النساء: ١٠) ، ح ٢٧٦٦ ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ .

(2) صحيح مسلم كتاب القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم ، ح ١٦٧٦ ، ج ٣ ، ص ٧٥٤ .

ولقد ذم الله - عز وجل - بني إسرائيل بأنهم أشد الناس إجراماً في سفك الدماء لما في ذلك من نشر للفساد في المجتمع .
قال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة: ٣٢).

إن القرآن الكريم يستهجن قتل النفس المؤمنة بغير حق ، لأن دم المسلم أعلى من كل شيء في هذه الحياة الدنيا (١) .

قال رسول الله ﷺ : " لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم " (٢) .
إن الإسلام أنشأ علاقة بين المسلم والمسلم ، وبين المسلم والمجتمع الذي يعيش فيه وهذه العلاقة قائمة على الأخوة والمحبة والصلاح فيما بينهم فلا ينبغي أن تخذش كرامة المسلم فالمسلم عزيز بعقيدته وبإيمانه (٣) .

قال ﷺ : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " (٤) .

إن من يجترئ على قتل مسلم أو الاعتداء عليه دون جنائية أو قصاص ، فقد حادَّ الله ورسوله وارتكب كبيرة من الكبائر ، مما يجر عليه الوبال والدمار في الدنيا والآخرة .

وإذا كان هذا الفعل في حق من يقتل نفساً واحدة ، فكيف بمن يقوم بقتل الشيوخ والنساء والأطفال تحت مصطلح نشر الديمقراطية ، ورفع الظلم

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٧٣٤ .

(2) سنن النسائي كتاب تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ، حديث صحيح ، ح ٣٩٩٨ ، ج ٣ ، ص ٧٥٤ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٧٣٥ .

(4) صحيح البخاري كتاب المظالم والغصب ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، ح (٢٤٤٢) ، ج ٣ ،

والاضطهاد ، إن شعباً بكامله يتعرض للقتل والاضطهاد والتشريد من أجل مكاسب دنيوية قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (النحل: ١١١).

و لقد نهى الله - سبحانه وتعالى - عن قتل النفس البشرية وسفك الدماء لمجرد الحمية والعصبية ، و الفتوية أو للحسب والنسب ، أو لإثارة القلاقل والفتن بين المسلمين ، ولقد تبرأ رسول الله ﷺ من كل العصبية كيفما كان لونها واتجاهها ووضعها تحت قدمه ، إلا عصبية الإسلام بل وقد تبرأ ممن لا ينتمي إليها (١) .

قال رسول الله ﷺ " من قتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتله جاهلية " (٢) .

" لقد ضيق الإسلام دائرة إراقة الدماء المسلمة وجعلها درءاً لمفسدة أكبر ، أو ضرورة لإقامة العدل واستتباب الأمن بين المسلمين " (٣) .
ولقد قرن الله - عز وجل - بين الإشراف بالله وبين القتل ، لما في ذلك من فساد للنفس البشرية ، وفساد في المجتمع .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الفرقان: ٦٨).

إن كثرة القتل التي انتشرت في هذه البلاد وفي سائر البلاد الإسلامية ، إنما ينم عن قلة الوعي الديني ، وعن حجم هذا الجرم ، حتى أصبح القتل أمراً مستساغاً ، وكأن القاتل يرتكب صغيرة من الصغائر .

إن غياب تطبيق الشريعة الإسلامية يجعل المجرمين يفسدون في الأرض لعدم وجود رادع يردهم عن غيهم وطغيانهم .

(1) انظر مجلة الإسراء جريمة القتل وأثرها في المجتمع للدكتور إسماعيل نواهضة ، ص ٣٥ ، العدد الثاني والعشرون ، محرم - صفر - ١٤٢٠هـ .

(2) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، ح ١٨٥٠ ، ج ٣ ، ص ١٤٧٨ .

(3) مجلة الاسراء ، جريمة القتل وأثرها في المجتمع ، ص ٣٥ .

لقد شهدت فلسطين عدة حالات قتل في خلال فترة قصيرة وذلك بسبب انتشار السلاح في أيدي الناس بشكل كبير ، وفي ظل غياب قانون يضبط حياتهم ومساوهم ، مما جعلهم يرتكبون الجريمة دون أي حرج ولا أحد يمنع أن يكون مع الإنسان سلاح ، ولكن كيف يستعمل هذا السلاح إن النبي ﷺ نهى أن يشير المسلم على أخيه بحديدة .

قال ﷺ : "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" (١).

لقد أراد النبي ﷺ بذلك تقوية الروابط بين أفراد المجتمع ، وحتى يحافظ كل منهم على حياة أخيه .

مشروعية القصاص : إن الشريعة الإسلامية تقرر مبدأ المساواة في الدماء والمساواة في العقوبة ، ولا توجد شريعة أخرى تعترف بهذا المبدأ فتقتص للنفس بالنفس ، وللجوارح بمثلها على اختلاف المقامات والطبقات والأنساب والدماء والأجناس ، فكلهم سواء أمام شريعة الله (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة: ٤٥) .

فالقصاص على هذا الأساس هو العقاب الرادع الذي يجعل من يتجه إلى الاعتداء على النفس بالقتل ، وما زينه له شيطانه وهواه ، وهو يعلم أنه مأخوذ بالقتل إن قتل دون النظر إلى منصب أو مركز أو جاه ، كذلك إن أتلف عيناً أو أذنأ أو سناً فإنه مؤاخذ على فعله بالقصاص (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٩) ، فالقصاص فيه حياة وأمن للمجتمع ، وليس الأمر كذلك في القوانين الوضعية فقاتل النفس يحبس على ارتكابه جريمة القتل إلى أجل مسمى ، فيصبر

(1) صحيح البخاري كتاب الإيمان ، باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، ح ٣١ ، ج ١ ، ص ١٦ .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٩٨ .

(3) انظر التسهيل لعلوم التنزيل محمد سالم هاشم ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

على آلام السجن بينما إذا علم أن القتل مقابله القتل ، وقطع اليد مقابلها قطع اليد وكذلك العين مقابلها فقدان العين ، فإنه يكون رادعاً له ولغيره ، فلا يجروء على ارتكاب هذه الجريمة .

وجعل الله - عز وجل - لولي المقتول وأصحاب الحق أن يعفوا عن حقهم فذلك كفارة لهم يكفر الله ذنوبهم لعفوه وإسقاطه حقه ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ (المائدة: ٤٥) (١) .

ويقول الرسول ﷺ : " من جرح في جسده جراحة فتصدق بها كفر عنه ذنوبه بمثل ما تصدق به " (٢) .

المسألة الخامسة : حد الحرابة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٣) .

سبب النزول :

"عن أنس أن رهطاً من عكل (٣) وعرينة (٤) أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا (بمعنى سئمنا ومللنا) المدينة فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود (٥) أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها ، فقتلوا راعي رسول الله ﷺ ، واستاقوا الذود فبعث رسول الله

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٩٩ .

(2) مسند الإمام أحمد ، ح ٢٢٧٩٢ ، ج ٣٧ ، ص ٤٥٤ حديث صحيح .

(3) عكل : قبيلة من الرباب تُسْتَحَمَق ، يقولون لمن يستحمنونه عكلي ، وهو اسم امرأة حضنت بني عوف وغيرهم ، وسموا باسمها ، هو اسم بلد ، انظر معجم البلدان للشيخ شهاب الدين البغدادي ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .

(4) عرينة : موضع ببلاد فزارة ، وقيل قرى بالمدينة ، وعرينة قبيلة من العرب ، انظر معجم البلدان للشيخ شهاب الدين البغدادي ، ج ٤ ، ص ١١٥ .

(5) الذود من الإبل ما بين التنتين إلى التسعة ، انظر النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

ﷺ في آثامهم فأتى بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل^(١) أعينهم فتركوا في الحرة حتى ماتوا على حالهم" (٢) .

يبين الله - سبحانه وتعالى - أن الذي يسعى في الأرض بالفساد والإفساد فجزاؤه إما القتل أو الصلب أو قطع اليد أو الرّجل أو النفي من الأرض .

وظاهر الآية أن طرق الفساد في الأرض كثيرة ، فالشرك فساد في الأرض ، وقطع الطريق فساد في الأرض ، وسفك الدماء ، وهتك الأعراض ، ونهب الأموال فساد في الأرض والبغي على عباد الله بغير حق فساد في الأرض وهدم البنين وقطع الأشجار وتغویر الأنهار فساد في الأرض (٣) .

إن المحارب الذي يحارب الله ورسوله ، ويحارب المسلمين في ديارهم والمنتهاك حرمتهم وبيوتهم وقراهم يستحق حد الحرابة والأحكام التي تتعلق به لأنه ناصب الحرب ظلماً وعدواناً لله ورسوله (٤) .

كما هو الحاصل في ديار الإسلام في أفغانستان والعراق وفلسطين والشيشان وغيرها من دول العالم الإسلامي .

وإن من أشنع الفساد في الأرض تعطيل شريعة الله وترويع الأمنين فيها إن الحكام في هذا الزمان يستمدون سلطانهم من الغرب لا من شريعة الله ، ولا يقومون على تنفيذ هذه الشريعة ولا يعملون من أجل وجود دار الإسلام في بلادهم ولو زعموا أنهم مسلمون ، ويقوم علماء الدنيا بإفتاء الحكام بأن يأخذوا الخارجين عليهم بهذه العقوبات باسم شريعة الله ، بينما كان هؤلاء الخارجون لا يحاربون الله ورسوله بل يحاربون سلطة خارجة على الله ورسوله ، فلا يجوز

(1) سمل : بمعنى فقا أعينهم .

(2) أسباب النزول لأبي حسن النيسابوري ، ص ١٥٨-١٥٩ ، لباب النقول ، ص ١٠٨ .

(3) انظر فتح القدير ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(4) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٦ ، ص ٢٧٤ ، في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٧٩ .

لسلطة لا تقوم على شريعة الله في دار الإسلام أن تأخذ الخارجين عليها باسم شريعة الله (١) .

ولقد خاض العلماء في حد الحراية كثيراً وكثرت أقوالهم ولكن الذي يميل إليه الباحث هو رأي الجمهور الآتي :

١ - "إن كان المحارب ممن له الرأي والتدبير والقوة، فوجه الاجتهاد قتله أو صلبه لأن قطع الطريق لا يدفع ضرره، وإن كان لا رأى له ، وإنما هو ذو قوة وبأس قطعته من خلاف ، وإن كان ليس فيه شيء من هاتين الصفتين أخذ بأيسر عقاب فيه وهو الضرب والنفي .

٢ - وأما إذا قتل ، فلا بد من قتله وليس للإمام تخيير في قطعه ، ولا في نفيه ، وإنما التخيير في قتله وصلبه .

٣ - وأما إن أخذ المال ، فلم يقتل ، فالإمام مخير بين قتله أو صلبه أو قطعه أو نفيه ، يفعل مما ذكر ، ما يراه نظراً ومصلاً ولا يحكم فيه بالهوى " (٢) .

(1) انظر في ظلال القرآن ج ٢ ص ٨٧٩ .

(2) الفقه الإسلامي وأدلته ج ٦ ص ١٣٧-١٣٨ .

المطلب الثاني الإصلاح المالي

ويشتمل على أربعة مسائل

المسألة الأولى : الاعتدال في النفقة وتحريم الإسراف

المسألة الثانية : تحريم التبذير .

المسألة الثالثة : تحريم الربا

المسألة الرابعة : الحجر على مال السفية

المسألة الأولى : الاعتدال في النفقة وتحريم الإسراف :

السرف هو " تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان ويكون ذلك في الإنفاق وغيره " (1) قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان : ٦٧) .

ولقد حرم الله - عز وجل - الإسراف ومجاوزة الحد في المطاعم والمشرب والملابس والصدقة وأعمال البر وأكل الطعام فوق الشبع مما يضعف الجسد وينهك قواه ويشغله عن طاعة الله ، وأداء فرائضه (2) .
فالإسراف هو التوسع في دائرة المباحات من طعام وشراب ولباس وأثاث وكماليات .

إن كثيراً من الناس مصابون بداء التخمّة والشبع والإسراف في الطعام وكانهم يعيشون ليأكلوا فقط .

ولقد نهى الله - عز وجل - عباده أن ينفقوا كل ما في أيديهم حتى لا يصبحوا عالة يتكفون الناس .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام : ١٤١) .
سبب النزول :

" نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، جدّ نخلة فأطعم حتى أمسى وليس له ثمرة " (3) .

يتبين من سبب النزول أن الذي ينفق ماله يعد من المسرفين المتجاوزين الحد في الإسراف وهذا مما نهى الله - سبحانه وتعالى - ورسوله عنه .

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٥٩ .

(2) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٩ ، ص ٤٩ ، تفسير ابن كثير ، ج ١٠ ، ص ٣٣٢ ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .

(3) لباب النقول في أسباب النزول ، ص ١٢٥ .

قال رسول الله ﷺ : " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة ، وقال ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة " (١) .

وقال السدي : " لا تعطوا أموالكم فتقعوا فقراء " (٢) ، فالإنسان مسؤول عن ماله يوم القيامة من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : " لا تزول قدم بن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم " (٣) .

إن السرف يعارض حفظ المال بل يتلفه ويؤدي إلى افتقار المسرف ، ومن ثم افتقار أهل بيته وقرابته وأمته ، بل إن حفظ المال فيه حفظ للدين والعرض والشرف ، والأمم التي لا تملك المال لا يحترمها الآخرون (٤) .

إن الدين الإسلامي يحرص على صلاح الفرد والمجتمع من الناحية الاقتصادية .

ولقد ذم الله - عز وجل - الإسراف في أكثر من عشرين موضعاً في القرآن الكريم ، وكلها تدل على ذم الإسراف والتفريط منه ، سواء كان الإسراف مادياً أو معنوياً، فالواجب على المؤمن أن يكون وسطاً معتدلاً لا إفراط ولا تفريط ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٧) .

(1) صحيح البخاري كتاب اللباس والزينة ، باب قول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ ح الباب ، ج ٧ ، ص ٤٣ .

(2) تفسير القاسمي ، ج ٦ ، ص ٢٥٢٧ .

(3) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ، ح ٢٤١٦ ، ج ٤ ، ص ٣٣٦ ، وقال الترمذي حديث غريب .

(4) انظر مجلة البيان والسرف في الأموال والمتاع لإبراهيم محمد الحقييل ، السنة السابعة عشر ، العدد ١٨٣ .

فليسوا مبذرين في إنفاقهم فيصرفوا فوق الحاجة ولا بخلاء على أهلهم يضيعون عليهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فالغلو في الإنفاق يعرض الإنسان إلى الإسراف والإفراط يجعل الإنسان شحيحاً بخيلاً^(١) ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩) .

المسألة الثانية : تحريم التبذير :

التبذير : بمعنى إنفاق المال في المعاصي ، قال تعالى : ﴿ وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٦-٢٧) ^(٢) .

لقد فرق بعض العلماء بين التبذير و الإسراف ، فالإسراف في الأمور المباحة وهو مجاوزة الحد في النفقة ، أما التبذير هو الإنفاق في المحرمات كالخمور والقمار والرشوة والشهوات وغيرها . قال القرطبي " من أنفق ماله في الشهوات زائداً على قدر الحاجات وعرضه بذلك للنفاذ فهو مبذر " ^(٣) . ولقد نهى الله - سبحانه وتعالى - عباده عن التبذير في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم وذكر أن المبذرين إخوان الشياطين لما للتبذير من أثر على فساد الفرد ثم فساد المجتمع ، إن المبذر إذا اعتاد على إنفاق ماله في الحرام كشراب المسكرات وعلى الترف والمجون ، فإنه يكون قريناً للشيطان في نشر الفساد .

ولقد قرن الله - عز وجل - المبذرين مع الشياطين لأن المبذر ساعٍ في الإفساد في الأرض كإخوانه الشياطين ، فهم يفعلون ما تسول لهم أنفسهم فهم قرناء الشياطين في الدنيا والآخرة ^(٤) .

فالمبذر من شأنه أن يصرف كل ما أعطاه الله تعالى من القوي إلى غير ما خلقت له من أنواع المعاصي ، والإفساد في الأرض ، وإضلال الناس وحملهم على الكفر وكفران نعمة الله على عباده ، وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به ^(١) .

(1) انظر مجلة نور اليقين الدين والإسراف للشيخ أحمد الشبراوي ، العدد ٩٨ ، ربيع ثاني ١٤١٨ هـ .

(2) لسان العرب بتصرف يسير ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٠ ، ص ٢٤٨ .

(4) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٠ ، ص ٢٤٧ ، التفسير المنير ، ج ١٥ ، ص ٥٨ .

ولقد اعتبر النبي ﷺ أكل مال اليتيم وإضاعة ماله في الحرام من التبذير .
إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إني فقير ليس لي شيء ولي يتيم قال : كل من
مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثّل (٢) ، (٣) .

المسألة الثالثة : تحريم الربا :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة ٢٧٥-٢٧٦).

مناسبة الآية :

لقد تحدث - سبحانه وتعالى - قبل آيات الربا في ثلاثة عشرة آية عن
الصدقة وفضلها والحث عليها وأن الله - عز وجل - يضاعف لمن يتصدق
بأضعاف كثيرة وأن أفضل الصدقة ما كانت في السر ، وإنفاق هذه الصدقة على
الفقراء ، ثم بين حال آكلي الربا والفرق بينه وبين التجارة ، فكما أن الله
- عز وجل - ينمي الصدقة ويبارك في رزقها إلى سبعمئة ضعف فقد نزع
البركة من الربا وأن مصيرها إلى الزوال .

سبب النزول :

وردت في هذه الآية روايتان :

الرواية الأولى : "قال عطاء وعكرمة نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب
وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر ، فلما حضر الجدّاد قال لهما صاحب

(1) انظر تفسير القاسمي ، ج ١٠ ، ص ٢٢١ .

(2) متأثّل : بمعنى عدم الأخذ من أصل مال اليتيم إلى ماله ، انظر النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ،
ص ٢٣ .

(3) سنن النسائي ، كتاب الوصايا ، باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه ، ح ٣٦٠٨ ، ج ٣ ، ص ٦١٧ ،
حديث صحيح .

التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي إذا أنتما أخذتما حظكما كله ، فهل لكما أن تأخذا النصف واضعف لكما ففعلا ، فلما حل الأجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك الرسول ﷺ فنهاهما وأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما" (١) .
الرواية الثانية :

"قال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد ، وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا ، فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي ﷺ ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب" (٢) .

يتبين من سببي النزول أن الله - عز وجل - حرم الربا الذي كان سائدا في الجاهلية بكلمة لا تقبل التأويل ولا يأتيها اللبس حيث قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ونزع البركة منها ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ ولقد كان الربا منتشرا في الجاهلية كانتشار الخمر ، فكانت المعاملات والقروض لا تتم إلا عن طريق الربا ، لذلك جاء التحريم الرباني على مراحل متعددة كتحريم الخمر لانتشاره الواسع في حياة الكفار .

فقد مهد الله - عز وجل - لتحريم الربا في مكة ، ثم جاء التحريم بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة على ثلاثة مراحل متعددة .

المرحلة الأولى : في مكة ، فقد أنزل الله - عز وجل - في مكة قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٩) .
وهو تمهيد لتحريم الربا وإيماء إلى ضرورة تجنبه .

المرحلة الثانية : وهي في المدينة ، قال تعالى ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾ (النساء: ١٦١) .

(1) أسباب النزول للواحدى النياسبورى ، ص ٥٣ .

(2) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

وبين الله - عز وجل - في هذه الآية أن الربا محرم على اليهود وعلى الأمم السابقة فخالفوا أمره بأكل الربا فعاقبهم على معصيتهم .
المرحلة الثالثة : نهى - سبحانه وتعالى - عن الربا الفاحش الذي يتزايد ليصبح أضعافاً مضاعفة وهو ما كان في الجاهلية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ (آل عمران: ١٣٠).

المرحلة الرابعة : فقد جاء التحريم القاطع للربا ، عن كل ما يزيد عن رأس مال المدين ^(١) قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٢٧٨).

" وباب الربا من أشكال الأبواب على كثير من أهل العلم " ^(٢) ، فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه " ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً الجَدُّ ^(٣) والكلالة ^(٤) وأبواب من أبواب الربا " ^(٥) .

إن الربا يتعارض مع التصور الإيماني للبشرية ، فهو يقوم على عدم رعاية المبادئ والغايات والأخلاق ، التي يريدتها الله للبشرية ، فالربا يقوم على عدم وجود علاقة بين إرادة الله تعالى وحياة البشر ، فالإنسان هو سيد هذه الأرض في تحصيله للمال ، والتمتع به ، وغير ملتزم بمصلحة الآخرين ، فالغاية هي التمتع بالمال بأي وسيلة كانت ، وإن كانت تتعارض مع مصالح الآخرين .

إن المرابين في المجتمع الجاهلي كانوا يتعاملون بالربا بصورة شخصية فردية ، بينما الآن أصبحوا يمثلون مؤسسات مصرفية ، فقد استطاعوا أن يمثلوا سلطة هائلة داخل أجهزة الحكم العالمية وخارجها بما

(1) انظر التفسير المنير ، ج ٣ ، ص ٩١ .

(2) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .

(3) الجد : الحظ والسعادة والغنى " النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(4) الكلالة : وهو الذي لا ولد له ولا والد . انظر المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٩٧ .

(5) صحيح البخاري كتاب الأشربة ، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب ، ح ٥٥٨٨ ،

ج ٦ ، ص ٣٠٣ .

يملكون من وسائل التوجيه والإعلام في الأرض ، سواء كان ذلك في الصحف والكتب والجامعات ، ومحطات الإرسال ودور السينما ، وغيرها ، فهم يوحون للبشر أن النظام الربوي هو النظام الحضاري الطبيعي والمعقول ، والأساس الصحيح الذي لا أساس غيره للنمو الاقتصادي ، وأن التقدم الحضاري الأوربي بسبب هذه المصارف .

إن النظام الربوي بلاء على الإنسانية لا في إيمانها وأخلاقها وتصورها للحياة فحسب ، بل في صميم حياتها الاقتصادية والعملية ، وإنه أبشع نظام يمحق سعادة البشرية ويعطل نموها الإنساني المتوازن ، وإن كان مظهره يبدو وكأنه مساعدة من هذا النظام للنمو الاقتصادي العام.

إن التعامل الربوي يفسد حياة الفرد والجماعة البشرية بكاملها بما يبثه من روح الطمع والأثرة والمقامرة ، فإنه يعد الدافع الأول لتوجيه رأس المال إلى أخط وجوه الاستثمار، كي يستطيع رأس المال المستدان بالربا أن يربح ربحاً مضموناً فيؤدي الفائدة الربوية ، ويبقى منه شيء للمستدين، فهو الدافع المباشر لاستثمار المال في الأفلام والصحافة القذرة والمراقص والملاهي وغيرها من أنشطة ساقطة هابطة سريعة الربح مدمرة للأخلاق وقيم المجتمعات التي لا يجني ثمارها إلا فئة من المعتوهين المغفلين في المجتمع (1) .

إن كثيراً من الكوارث التي تصيب الأمم والشعوب في جميع بلدان العالم والزلازل التي تصيب الدول العربية والعالم الإسلامي ، إنما هو سبب من أسباب أكل الربا ، والتعامل فيه ، لذلك لم يبين سبحانه وتعالى عقوبة الربا ، فمن يتعامل بالربا فإنه يواجه حرباً لا هوادة فيها في الدنيا ، وفي الآخرة عذاب شديد ، قال تعالى ﴿ فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

لقد أصبح التعامل مع البنوك الربوية على جميع المستويات الإسلامية والحكومية ، فإذا أراد الفرد أو المؤسسة ، أي معاملة ، فلا بد له من فتح حساب

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٣١٩-٣٢٢ .

في البنك والتعامل معه ، ولقد دخل الربا في بناء المساجد ، فلا يجوز لك أن تبني مسجداً حتى تفتح حساباً ثم تورد الأموال في البنوك لكي يحفظها البنك وينميها لحسابه .

إن انعدام الثقة بين الناس بسبب عدم سداد المدين حقه من الدائن جعل الكثير من الناس يتوجهون إلى البنوك الربوية ، ليغذي رغبته .
وقد حث الإسلام على فتح أبواب الخير بين الناس ومضاعفة الأجور للمدين .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت ليلة أسري بي على أبواب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر ، فقلت يا جبريل ، ما بال القرض أفضل من الصدقة ، قال لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة (١) .

إن العالم الإسلامي وغير الإسلامي يعطي الربا الصبغة الشرعية تحت مسميات كثيرة ، حتى يعطي لها المبرر الشرعي في تحليلها ، والله - عز وجل - حرم كل طريق تؤدي إلى الربا .

عن جابر (٢) قال : "لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله ، وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء" (٣) .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة ، فانطلقا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد الرجل أن يخرج رمي الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج

(1) سنن ابن ماجه كتاب الأحكام باب القرض ، ح ٢٤٣١ ، ج ٣ ، ص ١٥٤ ، إسناده ضعيف .

(2) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري صحابي بن صحابي مات بالمدينة وهو ابن أربع وسبعين ، انظر تقريب التهذيب ترجمة ٨٧١ ، ص ١٣٦ .

(3) صحيح مسلم كتاب المساقاة ، باب لعن آكل الربا وموكله ، ح ١٥٩٨ ، ج ٣ ، ص ١٢١٩ .

رمي في فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ما هذا ، فقال : الذي رأيته في النهر آكل الربا" (١) .

أثر التعامل بالربا على المجتمعات والشعوب :

- إن الديون الربوية تفتك بالعالم وتمتص دماء الشعوب الفقيرة ، فمن جملة المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات من أثر الربا منها :
- ١- سيطرة أصحاب رؤوس الأموال من المرابين على مقدرات الناس لاحتياج جميع قطاعات المجتمع لهم ، ولما في أيديهم من مال مجمد .
 - ٢- الربا يولد العداوة والبغضاء ، والحسد بين الفئة الفقيرة ، والفئة الفتية ، وتثير المشاحنات والخصومات فيما بينهم .
 - ٣- القضاء على عاطفة التراحم والتعاون فيما بينهم ، فيكون الإنسان عبداً للمال .
 - ٤- الربا كسب من غير عوض والشرع يحرم أخذ الأموال بغير حق شرعي .
 - ٥- الربا يقضي على القرض الحسن ، وطرق الخير التي تقوي العلاقة بين أفراد المجتمع، لما فيه من التيسير على الأمة .
 - ٦- استحقاق غضب الله تعالى على المرابي ، ونزع البركة من عمله وماله (٢) .

المسألة الرابعة : الحجر على مال السفية :

لقد حرص الإسلام على التكافل بين أفراد الأسرة ، والحفاظ على أموالها من أيدي السفهاء ، وعدم تمكين السفهاء من التصرف في أموالهم ، لنقص فيهم وعدم محافظتهم عليها . قال تعالى ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (النساء : ٥) .

ولقد اختلف العلماء في تحديد معنى السفية الذي أشارت إليه الآية فقال البعض هم الصغار ، فإن الصغير مسلوب الإرادة ، وقيل : الحجر للجنون ، وقيل : لسوء التصرف ، وقيل : لنقص العقل أو الدين ، وقيل : لرجل

(1) صحيح البخاري كتاب البيوع ، باب آكل الربا وشاهده وكتابه ، ح ٢٠٨٥ ، ج ٣ ، ص ١٥ .

(2) انظر التفسير المنير ، ج ٣ ، ص ٩٩ ، مجلة النور ، الربا وأثره في حياة المجتمعات صلاح شاهين ، ص ٧٤ ، العدد الأول محرم ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م ، منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ، ص ٣٢٣ .

أحاطت به الديون ولم يستطع سداد ما عليه ، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حُجر عليه (١) .

والآية ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ عامة في كل سفيه ، فلا يجوز لولي السفيه أن يعطيه ماله لفساده ولسوء تدبيره ، لأن السفه خفة العقل ، ولذلك سمي الفاسق سفيهاً لأنه لا وزن له عند أهل الدين والعلم ، والذي يدل على عموم الآية قول الله - عز وجل - في الآية التي تليها ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (النساء : ٦) .

فأمر الله - عز وجل - أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم إذا بلغوا سن الرشد أي صلاحاً وعلماً بما يصلحه .

والرشد هو العقل والقدرة على إصلاح المال باستثماره ، فإن كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه في ماله (٢) .

" وليس السفه من هؤلاء صفة ذم ، ولا يفيد معنى العصيان لله تعالى وإنما سُموا سفهاء لخفة عقولهم ، ونقصان تمييزهم عن القيام بحفظ الأموال " (٣) .

وإذا بلغ الرجل رشيداً ، ثم صار سفيهاً فيجوز الحجر عليه ، رعاية لمصلحته ومحافظة على ماله ، حتى لا يكون عالة على غيره ، ويكون حكمه حينئذ حكم الصبي المميز في التصرفات ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فُلْيُمَلِّ وَلِيهٖ بِالْعَدْلِ ﴾ (البقرة : ٢٨٢) إلا أن الحجر على السفيه في هذه الحالة يكون بحكم قضائي ، بالتثبت من السفه (٤) .

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٤ ، ص ٣١٠ ، تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ .

(٢) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٤ ، ص ٣١٠ ، تفسير ابن كثير ، ج ٩ ، ص ١٤٩ .

(٣) التفسير الكبير ، ج ٩ ، ص ١٥١ .

(٤) انظر الفقه الإسلامي وأدلته ، ج ٤ ، ص ١٣١ .

الفصل الثالث

آثار الإصلاح ووسائله ومحبطاته

ويشتمل على أربعة مباحث :

- المبحث الأول : أثر العمل الصالح على الفرد في الدنيا .
- المبحث الثاني : أثر العمل الصالح على الفرد في الآخرة .
- المبحث الثالث : أثر العمل الصالح على المجتمع .
- المبحث الرابع : وسائل الإصلاح ومحبطاته .

المبحث الأول

أثر العمل الصالح على الفرد في الدنيا

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : العمل الصالح سبب في جلب الرزق .

المطلب الثاني : العمل الصالح سبب في جلب الطمأنينة .

المطلب الثالث : العمل الصالح يعصم النفس الإنسانية

من اليأس .

المطلب الأول

العمل الصالح سبب في جلب الرزق

لقد وعد الله عباده المخلصين له بالطاعة والعبادة ، بفتح أبواب الرزق والخير جزاء لهم على عملهم الصالح ، قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (نوح : ١٠-١٢) .

ولقد ربط الله - عز وجل - بين الاستغفار وصلاح القلوب ، واستقامتها على هدى الله وبين تيسير الأرزاق ، وعموم الرخاء الذي يعود على البشرية ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ٩٦) .

إن الإخلاص لله في العبادة والرجوع إليه في أحكامه وتشريعاته سبب في جلب الرزق ، وما من أمة قام فيها شرع الله ، واتجهت اتجاهها حقيقياً لله تعالى بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله ، فحققت فيما بينها العدل والأمن للناس جميعاً القائم على تقوى الله ، إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها في الأرض (١) .

عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً" (٢) .

ولقد كان أصحاب النبي ﷺ سامعين مطيعين ، ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي (٣) .

إن الاستقامة على شريعة الله واتباع طريق الإيمان والهدى ، والاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات لاختبارهم في الحياة الدنيا وشكرهم لهذه

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٧١٣ .

(2) سنن الترمذي كتاب الزهد ، باب في التوكل على الله ، ح ٢٣٤٤ ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ ، حسن صحيح .

(3) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٨ .

النعم (١) ، قال تعالى : ﴿ وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾
(الجن: ١٦) .

إن الله - عز وجل - يبتلي عباده ويختبرهم بهذا الرزق والرخاء فيوسع
للمؤمن بسبب طاعته وإيمانه ، وقد يحرم من الرزق بسبب الذنوب والمعاصي ،
قال رسول الله ﷺ : " لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء
وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" (٢) .

ولقد قيد النبي ﷺ بسط الرزق بصلة الرحم ، قال رسول الله ﷺ :
" من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ (٣) له في أثره فليصل رحمه" (٤) .
ولقد خشى النبي ﷺ على أمته أن يتركوا العمل الصالح ويسعوا إلى الدنيا
وملذاتها ، قال ﷺ : " فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن
تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ،
فتهلككم كما أهلكتهم" (٥) .

إن توسيع الرزق ليس خاصاً بالمؤمنين ، فالله عز وجل يوسع في الرزق
على الأمم التي لا تقيم شريعة الله ، وهي أعداء الله والإسلام
والمسلمين لبيبتليهم ويختبرهم ، قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي فيما
يرويه عن ربه : " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" (٦) .

إن هذا الرخاء مؤقت يأكله الانحدار الخلقي والظلم والبغي ، وإهدار
كرامة الإنسان ، ولقد وسع الله - عز وجل - في الرزق والتمكين في الأرض

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٩ ، ص ١٣٨ ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٧

(2) سنن ابن ماجة كتاب الفتن ، باب العقوبات ، ح ٤٠٢٢ ، ج ٤ ، ص ٣٦٩ ، إسناده حسن .

(3) ينسأ : بمعنى تأخير في العمر . انظر النهاية في غريب الحديث ، ج ٥ ، ص ٤٤ .

(4) صحيح البخاري كتاب البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق ، ح (٢٠٦٧) ، ج ٣ ، ص ١٠ .

(5) صحيح البخاري كتاب الجزية ، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب ، ح ٣١٥٨ ، ج ٤ ، ص ٧٤ .

(6) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴾

ح ٤٦٨٦ ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ .

لدولتين عظيمتين ، إحداهما رأسمالية والأخرى شيوعية ، ولكن بعد الظلم والطغيان السائد في هاتين الدولتين سقطت الدولة الشيوعية بسبب طغيانها ، والثانية في طريقها نحو السقوط إن شاء الله (١) .

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ، ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيعطى بحسناته في الدنيا ، فإذا لقي الله عز وجل يوم القيامة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً" (٢) .

ولقد ضرب الله - عز وجل - مثلاً في القرآن الكريم لمن يكفر بنعم الله بعذاب شديد وبمحق الرزق والخير الذي عندهم ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَا لَهُم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ (سبأ : ١٥-١٧) .

لقد أكرم الله - عز وجل - قوم سبأ بنعم وخيرات كثيرة لا تحصى ، حتى إن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار ، وعلى رأسها مكتل ، فتنساقط الثمار في داخل المكتل من غير أن تحتاج إلى كلفة ولا قطاف ، لكثرت ونضرت ، فكفروا بهذه النعم التي أنعمها الله - عز وجل - عليهم ، فأبدلهم بالجنتين ، شجر من الأراك والأثل والسدر ، فبعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة ، والظلال العميقة والأنهار الجارية تبدلت إلى شجر من الأراك والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل ، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله ، وتكذيبهم الحق ، وعدلهم عنه إلى الباطل ، ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ (٣) .

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٧١٣ .

(2) مسند أحمد ، ح ١٢٢٦٤ ، ج ١٩ ، ص ٢٨٥ ، إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(3) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١١ ، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

المطلب الثاني

العمل الصالح سبب في جلب الطمأنينة

يبين - سبحانه وتعالى - أن الإيمان بالله والعمل الصالح هو الذي يجلب الطمأنينة للنفس المؤمنة لصلتها الوثيقة بالله ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُم ﴾ (الرعد : ٢٨-٢٩) .

إن هذا الاطمئنان لا يعرفه إلا أصحاب القلوب المؤمنة المتصلة بالله تعالى فهي تسري في القلب الذي يستقر فيه اليقين ، فيستروحها ويستشعر بها ويشعر أنه ليس منفرداً في هذا الوجود ، بل كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه (١) .

خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومنَّ به علينا ، قال : الله ما أجلسكم إلا ذاك ، قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله - عز وجل - يباهي بكم الملائكة (٢) .

إن المؤمنين الذين صدقوا بالله ورسله وسكنت قلوبهم إلى توحيد الله ووعده واطمأنت قلوبهم بذلك ، فإن الله - عز وجل - يذهب عنهم القلق والاضطراب بما وقر في تلك القلوب من نور الإيمان (٣) ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَلَّيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الزمر: ٢٣) .

(1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للبروسوي ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٠٦٠ .

(2) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ح ٢٧٠١ ، ج ٤ ، ص ٢٠٧٥ .

(3) انظر التفسير المنير ، ج ١٣ ، ص ١٦٥ .

إن المؤمن إذا تذكر وعد الله بالثواب والرحمة ، اطمأن قلبه وهدأت نفسه فكان ثمرة إيمانه وعمله الصالح العيش الطيب والنعمة والخير وحسن الثواب (١) قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢) .

والله - عز وجل - بين حال المؤمنين الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات وآمنوا بالشرعية التي أنزلت على محمد ، بإصلاح شأنهم وحالهم في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٢) .

ولقد حث الله - عز وجل - المؤمنين وهم في أحلك الظروف في أرض المعركة وحثهم على ذكر الله ، لما في ذلك من طمأنينة للنفوس وثبات في القتال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال: ٤٥) .

ويبين الله - عز وجل - للمؤمنين حال الأشقياء الذين كفروا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، وكفروا بلقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنت نفوسهم لها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يونس : ٧-٨) .

فلا يوجد على وجه الأرض ممن يحرمون الطمأنينة والأنس إلى الله إلا من ابتعد قلبه عن ذكر الله وعن طاعته .

فهذا الصنف من الناس ينطلق في الأرض مقطوع الصلة بما حوله في الكون ، لأنه انفصم عن العروة الوثقى التي تربطه بما حوله في الله خالق الكون ، فليس أشقى ممن يعيش في هذه الحياة منفرداً وحيداً شريداً يشق طريقه بلا ناصر ولا معين .

(1) انظر التفسير المنير ، ج١٣ ، ص ١٦٥ .

وإن هناك للحظات في الحياة الدنيا لا يصمد لها البشر إلا أن يكون مرتكناً إلى الله مطمئناً إلى حماه ، مهما أوتي من القوة والثبات والصلابة والاعتداد ، ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله ، فلا يصمد لها إلا المطمئنون بالله ، ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨) (١) .

المطلب الثالث

العمل الصالح يعصم النفس الإنسانية من اليأس

قال تعالى : ﴿ وَلَئِن أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِن أَدْقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (هود : ٩-١١) .

يخبر - سبحانه وتعالى - عن حال المؤمنين الذين يعملون الصالحات عند الابتلاء بأي مكروه فيصبروا ويحتسبوا عند الله تعالى ما أصابهم من شدائد ومحن ، قال رسول الله ﷺ : " ما يصيب المؤمن من وصب (٢) ولا نصب (٣) ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهّمه إلا كفر به سيئاته " (٤) .

إن اليأس والقنوط من رحمة الله صفة ذميمة لا يتخلق بها إلا أصحاب القلوب المريضة ، فالمؤمن إذا أصابته شدة بعد نعمة صبر وشكر الله تعالى على هذه الرحمة التي أصابته .

إن صورة الإنسان القاصر إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأسٌ وقنوط من الخير ، كفور بالنعمة التي أنعمها الله عليه ، وكأنه لم ير خيراً ، ولم يرج بعد ذلك فرجاً ، وإذا أصابته نعمة بعد نقمة قال : "ذهب السيئات عني" ، "إلا الذين

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٠٦٠ .

(2) وصب : بمعنى دوام الوجد ولزومه ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٥ ، ص ١٩٠ .

(3) والنصب : بمعنى التعب ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٥ ، ص ٦٢ .

(4) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ح ٢٥٧٣ ، ج ٤ ،

ص ١٩٩٢ .

صبروا" في الشدائد والمكاره لهم مغفرة على صبرهم بما أصابهم (١) .
وإذا بسط - سبحانه وتعالى - الرزق للإنسان في الدنيا ووسع عليه من
النعم بعد ضيق وكرب من العيش ، قال الإنسان ذهب الضيق والعسرة ، وزالت
الشدائد والمكاره عني ، ويفتخر بما نال من السعة في الدنيا ، وما بسط له فيها
من العيش ، وينسى ما مر فيه من كرب في حياته ، ويدع طلب النعيم الذي
يبقى والسرور الذي يدوم فلا يزول ، ولكن الله - عز وجل - لا يحب الفرحين
لأنه يفخر بما أعطى وهو لا يشكر الله (٢) .

إن الإيمان المتمثل في العمل الصالح هو الذي يعصم النفس البشرية من
اليأس الكافر في الشدة ، كما يعصمها من البطر الفاجر في الرخاء ، وهو الذي
يقيم القلب البشري على سواء في البأساء والنعماء ، فكلا الحالين خير للمؤمن (٣)
عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير
وليس لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته
ضراء صبر فكان خيراً له" (٤) .

ويوجه الله عباده المؤمنين إلى عدم اليأس والقنوط من رحمته سبحانه
وتعالى ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣) .
سبب النزول :

عن ابن عباس قال : "بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة
يدعوه إلى الإسلام ، فأرسل إليه كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو
زنى أو أشرك ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ * يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿
وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة ؟ فأنزل الله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ١٨٦٠ .

(2) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٢ ، ص ١٤ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ١٨٦٠ .

(4) صحيح مسلم كتاب الزهد والرفائق ، باب المؤمن أمره كله خير ، ح ٢٩٩٩ ، ج ٤ ، ص ٢٢٩٥ .

وَعَمِلَ صَالِحاً ... الآية﴾ ، فقال وحشي : هذا شرط شديد ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ فلعلي لا أقدر على هذا فأنزل الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فقال وحشي : هذا رأي بعده مشيئة فلا أدري أيغفر لي أم لا ؟ فهل غير هذا ؟ فأنزل الله : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ... الآية﴾ ، قال وحشي : هذا نعم فأسلم" (١) .

وتدل الآية الكريمة على رحمة الله - سبحانه وتعالى - على عباده ، وتحت على عدم القنوط واليأس من رحمته ، فإنه يغفر الذنوب جميعاً ، وهذا يدل على وعد الله أمراً بالرجاء ، وإذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم ، ألا وهو كرم عباده بدخول رحمته (٢) .

ولقد حث النبي ﷺ المؤمنين على عدم القنوط من رحمته ، عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "والذي نفسي بيده أو قال : والذي نفس محمد بيده لو خَطِئْتُمْ حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتُم الله لغفر لكم ، والذي نفس محمد بيده ، أو والذي نفسي بيده ، لو لم تخطئوا لجاؤ الله بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم" (٣) .

(1) لباب النقول في أسباب النزول ، ص ٢٣٨ .

(2) انظر التفسير الكبير ، ج٢٧ ، ص ٥ .

(3) مسند أحمد ، ح ١٣٤٩٣ ، ج٢١ ، ص ١٤٦ ، صحيح لغيره .

المبحث الثاني

أثر العمل الصالح على الفرد في الآخرة

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : العمل الصالح سبب في المغفرة
وتكفير الذنوب .

المطلب الثاني : ثواب العمل الصالح في الآخرة .

المطلب الأول العمل الصالح سبب في المغفرة وتكفير الذنوب

لقد أكرم الله - عز وجل - عباده المذنبين المقصرين بغفران ذنوبهم إذا رجعوا عنها وأصلحوا أنفسهم وعزموا على عدم العودة للذنوب ، قال تعالى :
﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٤-١٣٦) .
سبب النزول :

"إن رجلين أنصاريًا وثقفيًا آخى رسول الله ﷺ بينهما فكانا لا يفترقان فخرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه وخرج معه الثقفي ، وخلف الأنصاري في أهله وحاجته ، وكان يتعاهد أهل الثقفي ، فأقبل ذات يوم فأبصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى إليها فذهب ليقبلها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيا فأدبر راجعاً فقالت : سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك ، قال : فندم على صنيعه فخرج يسبح في الجبال ويتوب إلى الله تعالى من ذنبه حتى وافى الثقفي فأخبرته أهله بفعله ، فخرج يطلبه حتى دُلَّ عليه فوافقه ساجداً وهو يقول : رب ذنبي قد خنت أخي ، فقال له : يا فلان قم فانطلق إلى رسول الله ﷺ فسله عن ذنبك لعل الله أن يجعل لك فرجاً وتوبة فأقبل معه حتى رجع إلى المدينة وكان ذات يوم عند صلاة العصر نزل جبريل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً إِلَى قَوْلِهِ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ فقال عمر : أخاص هذا لهذا الرجل أم للناس عامة ؟ قال : بل للناس عامة" (١) .

(1) أسباب النزول ، ص ١٠٥ .

لقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - بأن الجنة معدة لعباده المتقين الذين أقبلوا على الطاعات والعبادات والأعمال الصالحة ، وهم الذين وصفهم الله - عز وجل - بالإنفاق في السراء والضراء وكظم الغيظ ، والعفو عن الناس ، ومن بين هؤلاء المتقين الذين ارتكبوا الذنوب ، ثم تابوا إلى الله تعالى على ما اقترفوا من المعاصي فهذا المذنب إذا تاب وأصلح حاله بالأعمال الصالحة من عبادات وطاعات وغيرها فإنه يصبح في منزلة من لم يذنب ذنباً قط ، بل يبذل الله سيئاتهم حسنات (١) .

ولقد جعل الله تعالى لعباده التائبين جنتين ثواباً لهم على توبتهم وعملهم الصالح ، قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ (الرحمن: ٤٦) .

فإنَّ مَنْ عمل صالحاً وخاف مقامه بين يدي ربه - سبحانه وتعالى - فأطاعه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فله جزاء ذلك العمل جنتان (٢) ، عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ فقالت : وإن زنى وإن سرق يا رسول الله ؟ قال : "لمن خاف مقام ربه جنتان" ، قال : فقالت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ؟ قال : "ولمن خاف مقام ربه جنتان" ، فقالت : وإن زنى وإن سرق يا رسول الله ؟ فقال : وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي الدرداء" (٣) .

الأعمال الصالحة المكفرة للذنوب :

١ - الوضوء :

عن عثمان بن عفان أنه دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه إلى المرافق ثلاث مرات ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : "من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٤ ، ص ١٢٥ ، التفسير الكبير ، ج ٩ ، ص ٨-٩ .

(2) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢٧ ، ص ١٧٩ .

(3) مسند الإمام أحمد ، ح ٨٦٨٣ ، ج ١٤ ، ص ٣١١ ، إسناده صحيح .

فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه" (١) .

٢ - الصلاة :

قال رسول الله ﷺ : "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله" (٢) .

٣ - الحج والعمرة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : "من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" (٣) .

٤ - الجهاد في سبيل الله :

عن أبي قتادة سمع رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال : يا رسول الله أرأيت إن قُتلت في سبيل الله يُكفر عن خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، ثم قال رسول الله ﷺ كيف قلت : قال أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر عن خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك (٤) .

إن الأعمال الصالحة مهما تعددت مجالاتها فإنها سبب في المغفرة وتكفير الذنوب .

(1) صحيح البخاري كتاب الوضوء ، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ، ح ١٥٩ ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(2) صحيح مسلم كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ، ح ٢٢٨ ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(3) صحيح البخاري كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ، ح ١٥٢١ ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

(4) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إلا الدين ، ح ١٨٨٥ ،

ج ٣ ، ص ١٥٠١ .

المطلب الثاني

ثواب العمل الصالح في الآخرة

لقد أثنى الله - عز وجل - المطيعين له في الدنيا ، الذين آمنوا بالله وملائكته ورسوله وكتبه ، وعملوا الصالحات من عبادات وطاعات ومن أعمال البر ، فهؤلاء لهم ثواب عظيم عند الله بسبب طاعتهم .

ولقد نص القرآن الكريم في مواضع كثيرة على أن الإيمان والأعمال الصالحة هما اللذان يؤهلان الإنسان لدخول الجنة والتمتع بنعيمها ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥) .

لقد بشر الله - عز وجل - الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار وأزواج مطهرة من الحيض والغائط ، والنخام والبزاق والأذى والمأثم ، وهذا من تمام السعادة ، خالدين في هذا النعيم ، آمنين من الموت والانقطاع عن هذا النعيم الأبدي (١) .

قال القرطبي : "الجنة تتال بالإيمان والعمل الصالح ... والدرجات تستحق بالأعمال الصالحات" (٢) .

وهذا الوصف للجنة هو حض وترغيب من الله سبحانه وتعالى لعباده ولأهل طاعته والمؤمنين به ، فكلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة رزقاً ، قالوا هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا لشدة مشابهة بعض ما في الدنيا لما في الآخرة ، وذلك فقط في اللون والمنظر ، أما الطعم فمختلف (٣) .

(1) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٣٢٠-٣٢٣ .

(2) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(3) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

ولقد وصف الله - عز وجل - الجنة ونعيمها وما فيها من أنهار لعباده الصالحين ، فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (محمد: ١٥) .

إنَّ الله - عز وجل - وصف نعيم أهل الجنة في الجنة بأوصاف متعددة ، حيث وعد الله عباده المتقين الذين امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ، بأن لهم أنهار من ماء جارٍ غير متغير الطعم والريح واللون لطول المكث ، بل هو ماء عذب فرات متدفق نقي غير مصحوب برواسب أو طحالب ، من شربه لا يظمأ أبداً وقد ابتداءً بالماء لأنه أعم نفعاً للناس من بقية المشروبات ، وفيها أنهار من حليب لذيذ الطعم لم يتغير كالألبان الدنيا ، وهو في غاية البياض والحلاوة والدسومة ، وفيها أنهار من خمر ، لذيذ الطعم طيب الشرب ليست كريهة الطعم والرائحة ، أو مرة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة ، قال تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ (الصفوات : ٤٧) ، وقال تعالى : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴾ (الواقعة: ١٩) ، فلا يوجد فيها ضرر ولا كحول تذهب العقل ولا تصيب بالصداع ، إنما هي لذيذة للشاربين ، وفيها أنهار من عسل في غاية الصفاء ، وحسن اللون والطعم والريح ، لم يخالطه شئ من الشمع والقذى والعكر والكدر (١) .

قال رسول الله ﷺ : "إنَّ في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد" (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (محمد: ١٢) .

إن من كرم الله ورحمته بعباده أنه يجزل في العطاء للرجال والنساء سواء فلا فرق لأحد على أحد إلا بعمله الصالح ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ

(1) انظر التفسير المنير ، ج٢٦ ، ص ١٠٢-١٠٤ .

(2) سنن الترمذي كتاب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة ، ح ٢٥٧١ ، ج٤ ص ٤١٠ ، صححه الألباني في صحيح الجامعي الصغير ، ح ٢١٢٢ ، ج١ ، ص ٤٢٦ .

ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ (النحل: ٩٧) .

فقد أعد الله لعباده الصالحين ما لا يخطر على قلب بشر ، قال رسول الله ﷺ : قال الله : "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (السجدة: ١٧)" (١) .

كما أخبر النبي ﷺ عما أعد الله تعالى للمؤمنين من غرف في الجنة بسبب إيمانهم بالله - سبحانه وتعالى - وتصديقهم رسله وطاعتهم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" (٢) .

ولقد وصف سبحانه وتعالى ما في الجنة من نعيم لعباده الصالحين ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبِى ﴾ (الرعد: ٢٩) وطوبى شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة وافرءوا إن شئتم ﴿ وَظِلٌّ مَّمْدُودٌ ﴾ (الواقعة: ٣٠)" (٣) .

ومن ثمرات العبادة في الدنيا الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة وفيها مقام رسول الله ﷺ ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة" (٤) .

(1) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، ح ٣٢٤٤ ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

(2) المصدر السابق ، ح ٣٢٥٦ ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .

(3) نفس المصدر ، ح ٣٢٥٢ ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(4) صحيح البخاري كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، ح ٦١٤ ، ج ١ ، ص ١٧١ .

إن أدنى أهل الجنة منزلة له أضعاف أضعاف أغنى ملوك أهل الأرض ، عن المغيرة بن شعبه (١) أن رسول الله ﷺ قال : "سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ، قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له أدخل الجنة ، فيقول أي ربّ كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت ربي ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال رب فأعلاهم منزلة ، قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، قال ومصادقه في كتاب الله - عز وجل - : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (السجدة: ١٧) (٢) .

ونختم حديثنا بأفضل نعيم في الجنة لعباد الله الصالحين ألا وهو النظر إلى وجه الله - سبحانه وتعالى - قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: ٢٦) .

لقد وعد الله - عز وجل - عباده المحسنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة وأن يبيض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم غرقاً من لآلئ ، وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً ، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته (٣) ، عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقال : "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن

(1) المغيرة بن شعبه بن مسعود بن مُعْتَبِ الثَّقَفِي ، صحابي مشهور أسلم قبل الحديبية وولي إمرة البصرة ثم توفي بالكوفة سنة خمسين للهجرة ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٦٨٤٠ ، ص ٥٤٣ .

(2) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، ح ١٨٩ ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

(3) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١١ ، ص ١٣٧ .

ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة
ويجرنا من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، قال : فو الله
ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، ولا أقر لأعينهم" (١) .

(1) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، ح ١٨١ ،
ج ١ ص ١٦٣ .

المبحث الثالث

أثر العمل الصالح على المجتمع

ويشتمل على ستة مطالب :

- المطلب الأول : التماسك بين أفراد الأسرة .
- المطلب الثاني : التماسك بين أفراد المجتمع .
- المطلب الثالث : العدالة بين الناس .
- المطلب الرابع : الاستخلاف في الأرض .
- المطلب الخامس : الأمن بعد الخوف .
- المطلب السادس : التمكين في الدين .

المطلب الأول

التماسك بين أفراد الأسرة

إن الأسرة الصالحة تقوم على دعامتين رئيسيتين ، رجل صالح وزوجة صالحة ، والإسلام يحث على تربية الأسرة وتوعيتها بدين الله عز وجل ، لأن الأسرة هي أساس المجتمع فإن تمسكت هذه الأسرة بدين الله قرآناً وسنة ، نشأ عنها مجتمع صالح يحكم بكتاب الله ويقوم شرائعه وأحكامه .

فالإسلام لم يكلف الرجل وحده بالحفاظ على بيته بل كلف الرجل والمرأة على حد سواء ، فالخطاب موجه للجميع للنهوض بهذه الأسرة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦) .
وجعل الله عز وجل البيت المسلم مأوى للسكينة والطمأنينة ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ (النحل: ٨٠) .

إن الإسلام يريد للأسرة المسلمة أن تكون مكاناً للسكينة والراحة النفسية والاطمئنان الشعوري ، فليس البيت مكاناً للنزاع والشقاق والخصام - لما له من آثار سلبية تنعكس على الأبناء - إنما هو مبيت للسكن والأمن والاطمئنان والسلام والراحة (١) .

إن التكافل هو قوام الأسرة وعماد قوتها وسعادتها في هذه الحياة ، فالأسرة كالفرد لبنة في مجتمع صغير ، ويبدأ هذا التكافل بواجب الإنسان نحو زوجته وأولاده (٢) .

"لقد أدرك السلف الصالح أهمية تكوين الأسرة ، ومكانتها من المجتمع الإسلامي وأثرها في صلاح شئون الدين والدنيا ، فحرصوا على الزواج ، وسارعوا إليه استكمالاً لدينهم واتباعاً لسنة نبيهم ، وتوثيقاً لعرى الأخوة بينهم

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢١٨٦-٢١٨٧ .

(2) انظر منبر الإسلام ، أصول العدالة في الإسلام للدكتور طه عبد السلام خضير ، ص ٥٦ ، العدد السادس ، أكتوبر ١٩٩٨م ، السنة ٥٧ .

وبين إخوانهم ، وتقرباً إلى الله تعالى بتنشئة الأبناء ورعايتهم ، وزيادة شوكة الإسلام بكفاحهم وجهادهم فضلاً عما فيه من تحصين لنفوسهم وتصفية لقلوبهم" (١) .

إن تماسك الأسرة هو بالتزامها بشريعة الإسلام الذي يحث المؤمنين على تربية أبنائهم وتعليمهم الصلاة ، قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه:١٣٢) .

إن على رب الأسرة أن يعلم أبناءه الصلاة ويصبر على تعليمهم إياها ، وإقامة أركانها وحدودها وخشوعها ، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم ، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع (٢) .

"وعندما نزلت ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾ كان النبي ﷺ يجيء إلى باب عليّ صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول الصلاة رحمكم الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب: ٣٣) (٣) .

إن الإسلام يهدف من تكوين الأسرة إلى تحقيق تماسك المجتمع وترابطه وتوثيق عرى الأخوة بين أفرادها وجماعاته وشعوبه بالمصاهرة والنسب ، وفي سبيل هذه الغاية اعتبر الإسلام المسلمين أمة واحدة ، لا فرق فيها بين عربي وعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى ، وبذلك يكون الإسلام قد سبق جميع الأنظمة التي تدعي الديمقراطية إلى تحقيق وحدة الجنس البشري (٤) .

ومن أجل الحفاظ على الأسرة لا بد أن يكون لها منهج واضح مع كتاب الله وسنة رسوله فمتى التزمت الأسرة بهذين المنهجين أصبحت حصناً منيعاً لأفراد الأسرة تحفظهم من تقلبات الحياة ، وخاصة ونحن نعيش في مجتمع كثير

(1) أهداف الأسرة في الإسلام ، حسين محمد يوسف ، ص ١٥٤-١٥٥ .

(2) انظر فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٤٩٣-٤٩٤ ، تيسير الكريم الرحمن ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ .

(3) فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٤٩٥ .

(4) انظر أهداف الأسرة في الإسلام ، ص ٨١ .

الانحلال ، والبدع ، فإذا تمسكت الأسرة بهذا المنهج الذي رسمه الله عز وجل لنا في كتابه وسنة نبيه عندها يكون سير الأسرة في الطريق الصحيح ، وهذه هي مسئولية الآباء ، قال رسول الله ﷺ : "الرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها" (١) .

المطلب الثاني

التماسك بين أفراد المجتمع

يبين سبحانه وتعالى أن المجتمع المسلم يتكون من أفراد مسلمين ، وأسر مسلمة ، فإذا كان الفرد صالحاً والأسرة سالحة ، نشأ مجتمعاً صالحاً متماسكاً ، متمسكاً بكتاب الله وسنة نبيه .

ولقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - مواصفات للمجتمع المسلم في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى : ٣٦-٤٠) .

هذه الآيات مكية نزلت قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة ، حيث يصف فيها سبحانه وتعالى الجماعة المسلمة بلزوم الشورى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ مما يوحي بأن وضع الشورى أعظم في حياة المسلمين من مجرد أن يكون نظاماً سياسياً للدولة .

ومن الصفات التي ذكرها - سبحانه وتعالى - لوحدة وتماسك الجماعة المسلمة الإيمان القائم على الصلاح والتوكل واجتناب كبائر الإثم والفواحش ، والمغفرة عند الغضب ، والاستجابة لله ، وإقام الصلاة ، والإنفاق مما رزق الله ،

(1) انظر تخريج الحديث ، ص ١٦٦ من هذا البحث .

والانتصار من البغي ، والعفو والصبر ، فهذه صفات أساسية لتماسك الجماعة المسلمة ، التي تصبح جماعة صالحة لقيادة الأمة (١) .

ولا بد للمجتمع المسلم أن يكون قائماً على مبدأ الأخوة حتى يصبح مجتمعاً متماسكاً مترابطاً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠) ، لما في أخوة الدين من القوة والترابط والتماسك أكثر بكثير من أخوة النسب ، فعندما قامت الدولة الإسلامية في المدينة آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، ليقوي الروابط الإيمانية فيما بينهم ، حتى أصبح من ثمار هذه الأخوة أن يرث المهاجري الأنصاري ، والأنصاري المهاجري ، لتقوية الرابطة بين المسلمين إلى أن قويت شوكة المسلمين ، وقويت علاقة الأخوة فيما بينهم ، عندها أصبحت أخوة النسب هي التي ترث .

إن المجتمع الذي يقوم على عقيدة صحيحة وعمل صالح يسود فيه التعاون والتضامن بين أفرادهم ، وهذا التعاون له أثره في تماسك المجتمع وترابطه ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢) ، وقال ﷺ : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (٢) .
الخصائص التي تعمل على ترابط المجتمع وتماسكه :

هناك خصائص كثيرة تعمل على ترابط المجتمع وتماسكه منها :

١- رد التحية بأحسن منها : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء: ٨٦) .

٢- لا يجوز للمتخاصمين أن يزيدوا في خصامهم أكثر من ثلاثة أيام ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" (٣) .

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٣١٦—٣١٦ .

(2) سبق تخريجه ، ص ١٨٠ من هذا البحث .

(3) صحيح البخاري كتاب الأدب ، باب الهجرة ، ح ٦٠٧٧ ، ج ٧ ، ص ١١٩ .

٣- لم يفرق الإسلام بين أبيض وأسود ولا عربي وأعجمي إلا بالتقوى ، فالميزان الوحيد الذي يوزن به البشر هو ميزان التقوى ، قال رسول الله ﷺ : "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت ؟ قالوا بلغ رسول الله ﷺ ثم قال : أي يوم هذا قالوا : يوم حرام ، ثم قال : أي شهر هذا ، قالوا : شهر حرام ، ثم قال أي بلد هذا قالوا : بلد حرام قال : فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم ، قال : ولا أدري قال أو أعراضكم أم لا ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغت ؟ قالوا : بلغ رسول الله ﷺ ، قال : ليبلغ الشاهد الغائب" (١) .

لقد أذاب الإسلام جميع الفوارق والاعتبارات بين أفراد المجتمع ووفر لهم جميع الشروط التي تحقق المساواة بين الفقير والغني والضعيف والقوي ، فالتفاضل في الأمة المسلمة لا يكون إلا فيما يصلح به حالها وهو التقوى (٢)

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣) .

٤- اجتناب الظن وسوء الفهم والتجسس على أعراض المسلمين ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢) .

نهى الله - سبحانه وتعالى - عن كثير من الظن السيء بالمؤمنين لأن ذلك يحرك الضغينة ، ويؤلب القلوب بعضها على بعض ، ويعمل على تفتيت وحدة المسلمين (٣) .

إن ديننا الحنيف يعلمنا كيف نتعامل مع بعضنا البعض بعداً للريبة والظن السيئ بالآخرين ، والنظر إليهم من خلال منظار أسود ، يخفي حسناتهم ويضخم

(1) مسند الإمام أحمد ، ح ٢٣٤٨٩ ، ج ٣٨ ، ص ٤٧٤ ، صحيح الإسناد .

(2) انظر مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية ، الدكتور عباس مدني ، ص ١٩٤ .

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن ، ج ٧ ، ص ١٣٧ .

سيئاتهم ، فالغلاة دائماً يسارعون إلى سوء الظن والالتهام لأدنى سبب فلا يلتزمون المعاذير للآخرين ، بل يفتشون على العيوب ، وإذا كان هذا الفعل أو القول يحتمل وجهين ، وجه خير وهداية ، ووجه شر وغواية ، رجحوا احتمال الشر على احتمال الخير ، والأصل حمل حال المسلم على الصلاح وعلى المحمل الحسن ، وتصحيح أقواله وأفعاله بقدر الإمكان ، فقد كان بعض السلف يقول : إني لألتمس لأخي المعاذير من عذر إلى سبعين ، ثم أقول لعل له عذراً آخر لا أعرفه (١) ، قال رسول الله ﷺ : "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ، وكونوا إخواناً ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك" (٢) .

٥- اجتناب الغيبة والنميمة : قال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (الحجرات: ١٢) .

لقد ذكر الله - عز وجل - مثلاً منفراً مكروهاً للنفوس باغتياب الإنسان لأخيه الإنسان ، فقد وصف الغيبة بأكل لحم الإنسان ميتاً فاقد الروح (٣) ، قال ﷺ : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" (٤) .

ولقد شدد الرسول ﷺ في وجوب ترك الغيبة والنميمة لما فيها من الفساد بين الناس فقال ﷺ : "أندرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتة ، وإن لم يكن فيه فقد بهته" (٥) " (٦) .

(1) انظر الصحوة الإسلامية بين الجود والتطرف للدكتور يوسف القرضاوي ، ص ٤٩-٥٠ .

(2) صحيح البخاري كتاب النكاح ، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ، ج ٥١٤٣ ، ج ٦ ، ص ١٦٦ .

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن ، ج ٧ ، ص ١٣٨ .

(4) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ح ٢٥٦٤ ، ج ٤ ، ص ١٩٨٦ .

(5) بهته : بمعنى كذبت وافتريت عليه ، النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(6) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الغيبة ، ح ٢٥٨٩ ، ج ٤ ، ص ٢٠٠١ .

إن المسلم مهما لاقى من عنت وإساءة من المجتمع الذي يعيش فيه ، فلا بد له من الصبر ، وأن يدفع السيئة بالحسنة ، ولا يصح له أن يعتزل الناس ما دام قادراً على القيام بالخدمة النافعة للمجتمع الذي يعيش فيه (١) ، عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : "المسلم إذا كان مخالطاً للناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (٢) .

إن من واجب الفرد أن يشعر أنه بار لمجتمعه ، وعضو نشيط في أمته ، يسعد بسعادتها ، وينفعل بأحاسيسها ، فمتى استيقظ هذا الضمير نحو أمته بالحب والإخلاص والتضحية ، واستيقظت الأمة التي تحمي أفرادها ، كان ذلك المجتمع في كنف الله ، مستظلاً برعايته وحماه (٣) .

ولقد شبه الرسول ﷺ هذه الأمة في اجتماعها وتماسكها بركاب السفينة تمخر فجاج البحر ، فلا يسمح ركابها أن يتركوا عابثاً يعيث بها ولو كانت ملكه الخاص ، قال رسول الله ﷺ : "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (٤) على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" (٥) .

(1) انظر مجلة هدى الإسلام ، روابط المجتمع كما يرسمها الإسلام ، ص ١٧ ، كلمة العدد ، العدد السادس جمادى الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

(2) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب رقم ٥٥-١٢٠ ، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ٩٣٩ ، ج ٢ ، ص ٦٥٢ .

(3) انظر مجلة الجامعة الإسلامية ، المسئولية بين الفرد والمجتمع ، الشيخ محمد أبو فرحة ، ص ٥٥ ، العدد الثاني ، السنة الرابعة ، شوال ١٣٩١هـ-نوفمبر ١٩٧١م .

(4) استهموا : بمعنى ركبوا على سفينة .

(5) صحيح البخاري كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ، ح ٢٤٩٣ ، ج ٣ ، ص ١٥٢ .

المطلب الثالث العدالة بين الناس

إن العدل في الإسلام حق يكفله الله لجميع أجناس البشر ، سواء كان ذلك بين الحاكم والمحكوم أو بين الناس في معاملاتهم ، أو بين المسلمين والكافرين ، فالسماوات والأرض لم تقم إلا على العدل ، لذلك أمر سبحانه وتعالى عباده بالعدل وعدم الجور ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٨-٩) .

فالله سبحانه وتعالى يأمر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن يكونوا قوامين بالعدل فيما بينهم وبين أعداء الله ، فلا يتركوا العدل لمحبة أحد ولا لعداوة أحد ، كما يأمرهم بالتقوى ، فإله يجازي المؤمنين على أعمالهم خيرا وشرها ، صغيرها وكبيرها ، وإذا كان هذا العدل واجبا مع أعداء الله ، فمع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه أوجب وأكد (١) .

وحت - سبحانه وتعالى - عباده المؤمنين الصالحين بأن يكون العدل من صفاتهم حتى ولو كان مع أقرب المقربين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥) .

يأمر الله تعالى عباده بأن يكونوا قوامين بالعدل ، فلا يميلوا عنه يمينا ولا شمالا ولا يأخذهم في الحق لومة لائم ، وإن كان ضرر الشهادة عائداً على أقرب الناس إلى المؤمن ، فمتى سئل عنها فليقل الحق ، فإن الله سيجعل لمن أطاعه مخرجا من كل أمر وصنيعه (٢) .

(1) انظر تفسير القاسمي ، ج ٦ ، ص ١١٦-١١٧ .

(2) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ .

صور العدل :

للعدل صورتان في المجتمع المسلم :

الأولى : صورة لإحقاق الحق ودفع الظلم الواقع : وذلك بمنع الظلم وإزالته عن المظلوم والأخذ على يد الظالم ومنعه من انتهاك حقوق الناس في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، وإزالة آثار التعدي إن وقع عليهم اعتداء ، ومعاقبة المعتدي وهذا خاص بالدولة ^(١) ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ (النحل: ١٢٦) .

ولقد حرم النبي ﷺ الظلم بين الناس عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال : "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" ^(٢) .

الثانية : صورة للمساواة بين الناس وعدم إيقاع الظلم أصلاً : للعدل في المجتمع المسلم ، وتحقيقها منوط بالدولة ، وذلك بالدفاع عن حقوق أبناء الشعب في كفالة حرياتهم ، وتأمين العيش الكريم لهم بحيث لا يكون فيهم عاجز ولا ضعيف ولا فقير ولا محروم ، ولا خائف .

إن العدل في المجتمع المسلم منبثق عن شريعة الله ، وليست من صنع الفرد ولا من صنع فئة ، فهي مبرأة من الميل مع الهوى أو التعرض للخطأ ، فكل فرد في المجتمع المسلم منوط به الرقابة على سلامة تنفيذ أحكام الشريعة ومنوط به أن يدفع الظلم حين يقع ، وأن ينبه الحاكم حين يطغى والقاضي حين يخطيء ، وإلا لحقه الإثم إن هو تخاذل عن ذلك ، وهذا ما جعل العدل سائداً في المجتمع المسلم المستسلم لأمر الله ^(٣) .

إن العدل حق يكفل لكل الناس حقوقهم وهذا ليس خاصاً بالمؤمنين ، بل يتعدى ذلك إلى جميع أجناس البشر ، وقد بين لنا القرآن الكريم كيف أنصف

(1) انظر المجتمع المسلم كما بيينه الإسلام للدكتور محمد علي الهاشمي ، ص ١١٥ .

(2) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ح ٢٥٧٧ ، ج ٤ ، ص ٢٢١٥ .

(3) انظر المجتمع المسلم كما بيينه الإسلام ، ص ١١٦ .

يهودياً عندما اتهم بالسرقة ظلماً من قبل أحد المسلمين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً * وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴾ (النساء : ١٠٥-١٠٨) .

سبب النزول :

"إنَّ رجلاً من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جار له يقال له قتادة بن النعمان ^(١) ، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتشر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود ويقال له زيد بن السمير فالتمست ^(٢) الدرع عند طعمة فلم توجد عنده ، وحلف لهم والله ما أخذها وما له به من علم فقال أصحاب الدرع بلى والله قد أدلج ^(٣) علينا ، فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره فرأينا أثر الدقيق ، فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه ، فقال : دفعها إليّ طعمه ، انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فكلّموه في ذلك فسألوه أن يجادل ^(٤) عن صاحبهم ، وقالوا : إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي ، فهم رسول الله ﷺ أن يفعل ، وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي حتى أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (النساء: ١٠٥) ^(٥) .

-
- (1) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري ، صحابي ممن شهد بدرًا ، مات سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٥٥٢١ ، ص ٤٥٤ .
- (2) فالتمست الدرع ، بمعنى طلبه ، أسباب النزول ، ص ١٤٧ .
- (3) أدلج علينا : دخل علينا ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
- (4) يجادل عن صاحبهم : يدافع عنه ، نفس المرجع ، ص ١٤٧ .
- (5) نفس المرجع ، ص ١٤٧ .

ترسم هذه الآيات أسمى صور العدل الإلهي وذلك في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون سهامهم المسمومة على الإسلام والمسلمين وذلك بنشر الأكاذيب وتأليب المشركين وتشجيع المنافقين ، وتشكيكهم في الوحي والرسالة التي تنزل على رسول الله ﷺ وعلى الجماعة المسلمة . هذه الآيات لتتصف رجلاً يهودياً ، اتهم ظمناً بسرقة ، وتدين الذين تأمروا على اتهامه ، إن هذه قمة في العدل التي لا يبلغها البشر ولا يعرفوا لها طريقاً إلا عن طريق المنهج الرباني الذي نزل من فوق سبع سماوات (1) .

إن إقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى ولا مع العصبية ، ولا يتأرجح مع المودة أياً كانت الملابس والأحوال ، لا يقدم على الظلم الذي حرمه رب العزة ، وجعل دعوة المظلوم مستجابة سواء كانت من مؤمن أو من كافر ، عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال : " اتق دعوة المظلوم فإنها ليست بينها وبين الله حجاب " (2) ، وإن من الظلم أن يوسد الأمر إلى غير أهله ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " (3) .

إن الشريعة الإسلامية تساوي بين الراعي والرعية ، فالجميع سواسية أمام قضاء الله ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إماماً عادلاً بين الرعية ، ومن ثمرات عدله أنه أشاع الطمأنينة في النفوس .

"روي أن قيصراً أرسل إلى عمر بن الخطاب رسولاً لينظر أحواله ويشاهد أفعاله ، فلما دخل المدينة سأل عن عمر وقال : أين ملككم ؟ فقالوا : ما لنا ملك ، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة ، فخرج في طلبه فرآه نائماً فوق الرمل ، وقد توسد درته ، وهي عصا صغيرة كانت دائماً بيده يغير بها المنكر ، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع في قلبه ، وقال : رجل يكون جميع الملوك لا يقر

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٧٥١ .

(2) صحيح البخاري كتاب المظالم ، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ، ح ٢٤٤٨ ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

(3) صحيح البخاري كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ، ح ٦٤٩٦ ، ج ٧ ، ص ٢٤١ .

لهم قرارٌ من هيئته ، وتكون هذه حالته ، ولكنك يا عمر عدلت فنمت ، وملكننا
يجور ، فلا جرم أنه لا يزال ساهراً خائفاً" (١) .

إن الإسلام يساوي بين الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية وفي الحقوق
والواجبات ، والحقوق المدنية في المعاملات والأموال ، التي سبق بها جميع
الأنظمة والشرائع التي عرفها البشر ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧) .

فالتفاضل في ميزان الله قائم على العدل والتقوى بين جميع أجناس البشر
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣) .

ولقد حث الإسلام الرجل أن يعدل بين زوجاته ، قال تعالى :
﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (النساء: ٣) .

فرخص الإسلام للرجل أن يتزوج بأربع نساء بشرط أن يعدل بينهن فإن لم
يستطع يبقى على زوجة واحدة ، فهذا قمة في العدل والمساواة . إن غياب سلطة
القانون في هذه البلاد جعل للسفهاء نصيباً كبيراً في افتراءهم وتكبرهم ، فقد كثر
القتل وسفك الدماء والسرقه ، فأين العدل الذي ينصف الظالم من المظلوم ،
ويضع الموازين في مكانها السديد ، أين العدل الذي يضع الحاكم والمحكوم أمام
سلطة القضاء ، إن غياب العدل في هذه البلاد جعل التنافر بين المسلمين على
أشده ، فبمقتضى ضرورة المساواة بين الناس في العدل تقرر القصاص ، قال
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ
بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة: ١٧٨) .

(1) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ، ص ١٥٦-١٥٧ .

المطلب الرابع الاستخلاف في الأرض

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (النور: ٥٥) .

سبب النزول :

"لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وأوتهم الأنصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ، ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا : ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ، فنزلت ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾ (١) .

إن وعد الله محقق لا محالة ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (القصص: ٦١) ، فإذا وعدك الله بشيء فإن موعوده واقع ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ١١١) .

لقد وعد الله عباده المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض ، وهذا الوعد مشروط بالإيمان والعمل الصالح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فالعبادة هي ثمن الاستخلاف في الأرض ، فالله - سبحانه وتعالى - كلما أمرنا بالعبادة نهانا عن الشرك ، ليؤكد لنا أن الشرك مهما كان صغيراً ينقض العبادة ، قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (النساء: ٣٦) .

فالذي يكفر وينحرف لا يستحق الاستخلاف في الأرض ، فالاستخلاف يأتي من طاعة الله - سبحانه وتعالى - وطاعة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .
إن هذا الوعد بالتمكين والاستخلاف في الأرض قد حققه الله سبحانه وتعالى على يد نبيه ﷺ وعلى يد الخلفاء الراشدين من بعده ، فلم يمت النبي ﷺ

(1) لباب النقول ، ص ١٩٩ .

حتى فتح الله على يده مكة وخيبر والبحرين وسائر الجزيرة العربية واليمن ،
وعندما توفي النبي ﷺ وولى الخلافة أبوبكر رضي الله عنه ، فتح البلاد إلى أن
وصل إلى بلاد فارس ، ثم جاء عمر رضي الله عنه الخليفة الثاني ، وفتح بلاد
الشام ومصر وبلاد كسرى وقيصر وانتزع يد قيصر عن بلاد الشام ، ثم لما
كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض
ومغربها ، فتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس ، وقبرص ، وبلاد
القيروان ، وبلاد سبتة مما يلي البحر الأحمر ومن ناحية المشرق إلى أقصى
بلاد الصين .

وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وجبى الخراج من مشارق
الأرض ومغربها إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (١) ، قال
رسول الله ﷺ : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغربها ، وإن أمتي
سبيلن ملكها ما زوى لي منها " (٢) .

وهذا الاستخلاف عام لجميع الأنبياء والمؤمنين ، فقد استخلف الله - عز
وجل - بني إسرائيل في الشام ، بعد إهلاك الجبابرة ، وفي مصر فقد صارت
تحت تصرفهم بعد إهلاك فرعون . (٣)

وأورث الله - سبحانه وتعالى - بني إسرائيل النعيم والملك الكبير من
الكنوز وجميع ما كان لفرعون من الأموال والمساكن . (٤)

قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا
وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف ١٢٨-١٢٩) .

(1) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١٠ ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(2) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض ، ح ٢٨٨٩ ، ج ٤ ،
ص ٢٢١٥ .

(3) انظر جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ج ١٨ ، ص ٢٠١ ، روح المعاني ج ١٠ ، ص ٢٩٧ .

(4) انظر تفسير البغوى ، ج ٣ ، ص ٤٦٨ .

إن الأرض هي ميراث الفئة الصالحة ، الفئة العاملة بطاعة الله والمنتهين
بنهيه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) .

الاستخلاف في الأرض قد يتسع فيشمل الأمة بكاملها ، وقد يضيق ويشمل
الأسرة فالرجل خليفة عن أهل بيته ، والمعلم في صفه مستخلف ، والطبيب
مستخلف عن المرضى ، والموظف جعله الله خليفة عن هؤلاء المراجعين
فلا يضع العراقيل أمامهم ، فكل إنسان مستخلف في عمله ، فالآية تطبيق عملي
أن تعرف ما لك وما عليك ، وأن تؤدي حق الله وحق عباده فتتجو من
سخطه وعذابه .

إن من أسباب الاستخلاف في الأرض ، جهاد الكفار والمشركين ، فالجهاد
وإن كان فيه من المصائب والبأساء والضراء ، إلا أنه مصدر عزة وكرامة هذه
الأمة ففيه من الفوائد العظيمة بالامتثال إلى أمر الله بالقتال ، والظفر بالغنيمة
وظهور المؤمنين على الأعداء ، وتمكينهم في الأرض ونيلهم للشهادة ، وظفرهم
بالجنة ، أما التخلف عن الجهاد فإنه يورث الذل والمهانة وذهاب الأمر والروح
والانهازامية ، وهو ما يحصل للمسلمين في زماننا ، حيث ترك الجهاد على
التغور وتمكن الجبن في الأنفس ، وتولى المسلمون للركون إلى الدنيا ، وما طاب
منها ، وما خبث من الشهوات والملذات ، حتى استولى المشركون والكفار على
أراضي المسلمين وأخذوا بعض ما كان في أيديهم وأسروا رجالهم ونساءهم
وحرقوا أجساد أطفالهم ودمروا بيوتهم ومقدساتهم وخلعوا أشجارهم ، ولقد أمر
الله تعالى بالجهاد ووعده بالنصر ، قال تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦) ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ *
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر ١-٣) .

ولهذا كان الأنبياء والدعاة والصالحون يتضرعون إلى الله ويطلبون النصر
والتمكن ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا

صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٥٠﴾ .

أما من يطلب النصر والتمكين من أمريكا ودول الكفر فقد حكم على نفسه بالهزيمة والذل ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٠) .

إن وعد الله بالنصر لهذه الأمة لن يتخلف ، ولكن حينما تزداد قوة الطغاة والكفار في الأرض ، وذلك بالأخذ بجميع الوسائل المادية المتاحة لهم ، وبترك أهل الإيمان إيمانهم وعملهم الصالح ، وذلك بترك صلاتهم وزكاتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، فإن الغلبة في هذه الحالة للأخذين بالوسائل المادية ، فوعد الله بالنصر والتمكين لا يأتي إلا للأمة الصالحة التي تجتمع على الإيمان والعمل الصالح (١) .

المطلب الخامس

الأمن بعد الخوف

لقد وعد الله - عز وجل - الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والتزموا بكل ما أمرهم الله ورسوله ﷺ به وانتهوا عما نهاهم عنه بالأمن والطمأنينة وعدم الخوف والجزع ، قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٥) .

سبب النزول :

"مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحى الله إليه خائفاً هو وأصحابه يدعون إلى الله - سبحانه - سراً وعلانية ثم أمر بالهجرة إلى المدينة وكانوا خائفين يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح فقال رسول الله :

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٤٠٠ .

لن تلبثوا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم مُحْتَبِياً^(١) ليست فيهم حديدة وأنزل الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ إلى آخر الآية فأظهر الله تعالى نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا ثم قبض الله - تعالى - نبيه فكانوا كذلك في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة فأدخل الله عليهم الخوف وغيروا فغير الله بهم^(٢) .

وعد الله عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالأمن في أوطانهم ، ولقد جعل الله - سبحانه وتعالى - من الكرامات التي أكرمها لنبيه وللمؤمنين من بعده أن ينصرهم على أعدائهم بالخوف من قبل وصولهم بشهر ، عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : "أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغنم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"^(٣) .

فالخوف سلاح فتاك استعمله النبي ﷺ بأمر من رب العزة لنصرته على أعدائه ولظهور الحق وطمس الباطل وهذا السلاح واقع ملموس في صفوف أعداء الله .

ولقد جعل الله - سبحانه وتعالى - من سنته أن يختبر وبيئتي عباده المؤمنين بالخوف ، قال تعالى : ﴿ وَنَبِّئُوهُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

(1) الاحتباء : هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوضاً عن الثوب . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

(2) أسباب النزول ، ص ٢٧٢ .

(3) صحيح البخاري كتاب التيمم ، باب قول الله تعالى : "فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً" ، ح ٣٣٥ ،

ج ١ ، ص ٩٩ .

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿البقرة: ١٥٥-١٥٧﴾ .

فقد أقسم - سبحانه وتعالى - في الآية الكريمة أنه مختبر عباده الصالحين بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ليرى من يصبر على هذا الابتلاء حتى يفوز بجنة الله ورضوانه وصلواته عليهم ، إن وعد الله - سبحانه وتعالى - لعباده الصابرين المحتسبين بالصلاة عليهم ورحمته وشهادته لهم جزاءً على التضحية بالأموال والأنفس والثمرات ، وجزاءً على الخوف والجوع والشدة ، وجزاءً على القتل والشهادة أثقل في الميزان من كل عطاء وأرجح من النصر والتمكين ^(١) ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢) .

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخلصوا لله العبادة ولم يخلطوا عبادتهم بظلم ولم يشركوا في عبادته شيئاً ، وجعلوا عبادتهم خالصة لله وسلكوا طريق النجاة وسبيل الرشاد ، فقد آمنوا مكر الله وعقابه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩) بينما الذين يشركون في عبادتهم إياه ، فيعبدون الأوثان والأصنام فإنهم خائفون من عقابه جزاء عبادتهم في الدنيا وجُلُون من حلول سخط الله بهم ، وفي الآخرة موقنون بعذاب الله وسخطه ^(٢) .

المطلب السادس التمكين في الأرض

لقد وعد الله - عز وجل - الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يمكن لهم دينهم فالإنسان حينما يؤدي ما أمره الله به من فرائض كالصلاة والزكاة والصوم وحينما يكون الدين ثابتاً راسخاً في قلوب المؤمنين ، حينها يمكن الله لعباده في الأرض بإعلاء كلمة الله ، فالعبادة هي ثمن التمكين في الأرض ، قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(2) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٧ ، ص ٣١٧ .

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمْكُنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴿النور: ٥٥﴾ .
 والتمكين في الدين بأن يجعل دينهم ثابتاً مقررأ بأن يعلي سبحانه شأنه
 ويقوي أركانه ، ويعظم أهله في نفوس أعدائهم ، ولا يمكن الله عز وجل لهذه
 الأمة إلا بعد العمل بأحكامه والرجوع إليه في كل أعماله الصغيرة والكبيرة (١) .
 والتمكين الذي ارتضاه الله - سبحانه وتعالى - لعباده هو الإسلام (٢) ،
 قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ
 الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣) .

فالله - سبحانه وتعالى - لا يقبل ديناً في الأرض غير الإسلام ،
 قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥) .

"إن الإيمان الراسخ والعمل الصالح ، والسيرة الفاضلة ، والمقاصد الخيرة
 والدعوة إلى الله وإلى الحق ، واستخدام كل ما أوتينا من علم وحكمة يصنع
 الحضارة الربانية التي قاعدتها العقيدة الصحيحة ، والتي تنبثق منها مبادئ وقيم
 وأخلاق ربانية تسعد من دخل في منهجها في الدنيا والآخرة" (٣) .

وقد وعد النبي ﷺ أصحابه بأن الله تعالى سيمكن لهم دينهم في الأرض .
 عن تميم الداري (٤) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "ليلغن هذا الأمر ما بلغ
 الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر (٥) ولا وبر (٦) إلا أدخله الله هذا الدين بعز
 عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر ، وكان تميم
 الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير
 والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية" (٧) .

(1) انظر روح المعاني ، ج ١٠ ، ص ٢٩٨ .

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ٣٠٠ .

(3) تبصير المؤمنين فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم للدكتور علي الصلابي ، ص ١٨١ .

(4) تميم بن أوس بن خارجه الداري أبو رقية ، صحابي مشهور سكن بيت المقدس بعد قتل عثمان ، توفي
 سنة أربعين للهجرة ، انظر تقريب التهذيب ، ترجمة ٧٩٩ ، ص ١٣٠ .

(5) مدر : هم أهل القرى والأمصار ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ .

(6) وبر : هم أهل البوادي والمدن ، وهو من وبر الإبل ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٥ ، ص ١٤٥ .

(7) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ح ١٦٩٥٧ ، ج ٢٨ ، ص ١٥٥ ، إسناده صحيح على شرط مسلم .

وقال رسول الله ﷺ : "يا عدي (١) هل رأيت الحيرة : قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها ، قال : "فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله" ، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَارُ طيء الذين قد سَعَرُوا البلاد ؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ... قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يُخرج ملء كفه" (٢) .

إن التمكين لهذه الأمة لا يأتي إلا بعد ابتلاء وتمحيص ، عن خباب بن الأرت (٣) قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، قلنا له ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ، قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (٤) .

إن هذه الأمة تتعرض اليوم إلى أشد ما كانت تتعرض إليه الأمم السابقة من التعذيب والتنكيل ، إنها تضرب بالصواريخ حتى لا يبقى في جسده عظم ولا لحم .

(1) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، صحابي مشهور وكان ممن ثبت في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي ، ومات سنة ثمان وستين ، وهو ابن مائة وعشرين سنة ، تقريب التهذيب ، ترجمة ٤٥٤٠ ، ص ٣٨٨ .

(2) صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ج ٣٥٩٥ ، ج ٤ ، ص ٢١١ .

(3) خباب بن الأرت التميمي أبو عبد الله من السابقين في الإسلام ، وكان يعذب في الله وممن شهد بدرأ ، ثم نزل الكوفة ، وتوفي سنة سبع وثلاثين للهجرة ، تقريب التهذيب ، ترجمة ١٦٩٨ ، ص ١٩٢ .

(4) صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ج ٣٦١٢ ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

إن قسم الله - عز وجل - بالنصر والتمكين لم يكن خاصاً بالنبى ﷺ وأصحابه بل هو للأمة المؤمنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فقتال اليهود لن يكون مع الصحابة في عهد النبى ﷺ حين ينطق الحجر والشجر ، بل هو للأمة التي جاءت بعد النبى ﷺ ولم تشهد النبى ﷺ .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
"تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله" (١) .

إن هذا إخبار غيبي عن آخر الزمان يدل على أن التمكين لهذه الأمة وانتصارها في وجه الباطل سنة من سنن الله لا تتبدل ولا تتخلف ، قال تعالى :
﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٦٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر: ٤٣) . قال رسول الله ﷺ : "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة" (٢) .

إن أعداء الله من الكفار والمشركين لا يريدون أن تقوم للإسلام قائمة ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف : ٨-٩) .

إن أعداء الله يريدون لهذا الدين أن ينطفئ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، كم من الأمم التي جاءت تحارب الإسلام مثل الحملات الصليبية والتتار وغيرهم ممن احتلوا أراضي المسلمين وقتلوا رجالهم وسلبوا أموالهم وحقوقهم ، فهل قضت هذه الحملات على الدعوة الإسلامية ، أم إن الدعوة الإسلامية ماضية عبر العصور والأجيال ، فمن حارب الإسلام وأهله ذهب وانقرض ولم يبق منه إلا العبرة والعظة لهذه الأمة لكي تتمسك بدين الله - سبحانه وتعالى - قال تعالى :

(1) صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ح ٣٥٩٣ ، ج ٤ ، ص ٢١١ .
(2) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ، ح ١٥٦ ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصفافات: ١٧١-١٧٣) .

إن آثار النصر قد تتخلف قليلاً بالقياس لأعمار البشر المحدودة ولكنها لا تتخلف وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر لأنهم يطلبون المؤلف لديهم من صور النصر والغلبة ، ولا يدركون تحقق سنة الله من النصر والغلبة لجند الله ، وأتباع رسله ، وإن كلف ذلك الفئة المؤمنة وجندهم المشقة وطول الأمد ، أكثر مما ينتظرون .

لقد أراد المسلمون قبل غزوة بدر أن تكون لهم غير قريش وأراد الله أن تفوتهم القافلة الرابعة ، وأن يقابلوا النفير وأن يقاتلوا الطائفة ذات الشوكة ، وكان ما أراه الله هو خير لهم وللإسلام ، وكان النصر الذي أراه الله لرسوله وجنده ، ودعوته على مدى الأيام ، وقد تتوالى الهزائم على جنود الله في عدة معارك ويقسو عليهم الإبتلاء لأن الله يعدهم بنصر ومعركة أكبر ، فالله يهيئ الظروف من حولهم ليأتي لهم بالنصر الذي أراه ولن تتخلف هذه السنة (١) .

إننا في زمن أصبح فيه المتمسك بدينه غريباً ، ولكن البشارة من النبي ﷺ أن الدين سيعود غريباً كما بدأ ، قال رسول الله ﷺ : "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء" (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" (٣) .

إن وعد الله بهزيمة الكافرين المكذبين المنحرفين عن منهج الله قائم في كل لحظة ووعدته بالنصر للفئة المؤمنة القليلة قائم كذلك في كل لحظة ،

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٣٠٨٥ .

(2) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، ح ١٤٥ ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(3) مسند الإمام أحمد ، ح ١٨٤٠٦ ، ج ٣٠ ، ص ٣٥٥ ، إسناده حسن .

فسنة الله ماضية ، وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن لهذه الحقيقة ، وتتق بوعده الله ، فتصبر حتى يأذن الله ولا تستعجل ولا تقنط إذا طال عليها الأمد (١) .

إن الأمة في هذا الزمان ضيعت الدين ولم تلتزم به ، فأصبح شعاراً يتردد بالألسن بين الفينة والأخرى ، وأصبح هم الأمة التنافس في الدنيا ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال : "وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها" (٢) .

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله - عز وجل - وأطوعهم لله ، وأظهروا كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها ، فنصرهم الله وأيدهم تأييداً عظيماً حتى تحكموا في سائر العباد والبلاد (٣) .

ولقد كان المسلمون واثقين من وعد الله لهم بالأمن ، ولكن الله قدم على الوعد بالأمن ، الوعد بالاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين ، فمن سنة الله في الكون أن لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على حدود بلادها وهذا التمكين يأتي من طاعة الله والرسول ﷺ : ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (النور: ٥٤) ، فإذا حل الاهتداء في النفوس نشأت الصالحات وقوي الإيمان في القلوب (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج : ٤٠-٤١) .

إن التمكين في الدين يحتاج من الأمة المؤمنة المسلمة إعداد العدة سواء كانت هذه العدة الحربية للقتال أو العدة النفسية للتهيئة ، وذلك بتربية المؤمنين وتزكية نفوسهم بالعمل الصالح ، وصقلها على عقيدة التوحيد .

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .

(2) صحيح البخاري كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد ، ح ١٣٤٤ ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

(3) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١٠ ، ص ٢٦٨ .

(4) انظر التحرير والتنوير ، ج ١٨ ، ص ٢٨٢ .

المبحث الرابع وسائل الإصلاح ومحيطاته

ويشتمل على مطلبين :

- المطلب الأول : وسائل الإصلاح .
- المطلب الثاني : محيطات الإصلاح .

المطلب الأول وسائل الإصلاح

ويشتمل على ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى : المحافظة على أداء الشعائر الدينية

(الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج) .

المسألة الثانية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المسألة الثالثة : القضاء العادل .

المسألة الأولى : المحافظة على أداء الشعائر الدينية (الصلاة - الزكاة - الصيام - الحج)

التمهيد :

لقد جعل الله - عز وجل - العبادة من وسائل الإصلاح التي تصلح روح الفرد في الدنيا ، وجعل الهدف الذي من أجله خلق الإنسان هو العبادة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦) .

فالعبادة هي الغاية التي من أجلها خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنس والجن ، وبعث بها جميع الرسل ليدعوا إليها وتمام العبادة متوقفة على المعرفة بالله ، فكلما ازداد العبد في العبادة ازدادت معرفته بربه (١) .

لقد افترض الله - سبحانه وتعالى - على عباده خمسة أركان رئيسة لينتقروا إليه بها ، قال رسول الله ﷺ : "بني الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان" (٢) .

وقرن الله - سبحانه وتعالى - هذه العبادات بالأعمال الصالحة ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٧) .

والتقرب إلى الله - عز وجل - لا يكون إلا بما افترضه - سبحانه وتعالى - على عباده ، قال رسول الله ﷺ : "إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعانني لأعيذنه" (٣) .

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن ، ج ٧ ، ص ١٨١ .

(2) صحيح البخاري كتاب الإيمان ، باب دعاؤكم إيمانكم لقوله تعالى : "قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم" ، ح ٨ ، ج ١ ، ص ٩ .

(3) صحيح البخاري كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ح ٦٥٠٢ ، ج ٧ ، ص ٢٤٣ .

إن العبادات التي شرعها الإسلام ليست طقوساً مبهمه يقوم بها العبد تجاه ربه وحركات لا معنى لها ، بل هي لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة ، وأن يظل متمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف ، فهي أشبه بالتمارين الرياضية التي يقبل الإنسان عليها بشغف ملتصقاً من المداومة عليها عافية البدن وسلامة الحياة (١) .

إن صلاح الفرد منوط بالالتزام بالفرائض والإكثار من النوافل ، فالإنسان يلتزم بفريضة الصلاة ، وبالإكثار من النوافل من قيام الليل وصلاة للضحى ، وغيرها من النوافل ، وكذلك الزكاة لها نوافل يتقرب بها الإنسان ليزكي بها نفسه كصدقة المال ، وصدقة الوقت والجاه ، وصدقة عن النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ، وكذلك صيام رمضان له نوافل مثل صيام التطوع .

فإذا كانت الواجبات والفرائض محدودة ، فإن النوافل لا حدود لنهايتها ، اللهم إلا أن تكون داخل حدود الاستطاعة الإنسانية (٢) .

سيتناول الباحث بعض الشعائر الدينية لبيان أثرها في صلاح الفرد

والمجتمع :

أولاً : الصلاة :

الصلاة في اللغة : بمعنى "الدعاء ، وفي الشريعة : عبارة عن أركان

مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدرة" (٣) .

لقد قرن - سبحانه وتعالى - الإيمان والعمل الصالح بإقام الصلاة ، فهي

العبادة الروحية التي تربط العبد بخالقه ، فالإيمان لا يتحقق إلا بأداء الفرائض

التي افترضها الله على عباده ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة: ٢٧٧) .

(1) انظر خلق المسلم ، محمد الغزالي ، ص ٧ .

(2) انظر منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع للدكتور عبد الحلیم محمود ، ص ١١٠-١١١ .

(3) التعريفات للجرجاني ، ص ١٣٧ .

إن النبي ﷺ إذا أصابه مكروه هرع إلى الصلاة ، قال بلال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "قم يا بلال فأرحنا بالصلاة" (١) .

ومن الآثار الإيجابية للصلاة تكفير السيئات وغفران الذنوب ، قال تعالى :
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذُكِّرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤) .

ولقد بين - سبحانه وتعالى - أن العبادة هي أفضل زاد للإنسان ، فالصلاة هي التي تصل قلب المؤمن بربه الرحيم الودود القريب مجيب المضطر إذا دعاه والصلاة من أفضل الحسنات التي تذهب السيئات (٢) .

وبين النبي ﷺ أهمية الصلاة في حياة الفرد فهي تمحو الذنوب كما يمحو الماء الأوساخ من على جسد الإنسان ، قال رسول الله ﷺ : "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ، ما تقول ذلك يُبقي من درنه ، قالوا : لا يبقي من درنه شيئاً ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا" (٣) .

إن من نعم الله على عبده أنه إذا ارتكب ذنباً فهرع إلى الصلاة غفر الله له ما كان منه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال : يا رسول الله إني أصبت حداً ، فأقمه عليّ قال : ولم يسأله عنه ، قال : وحضرت الصلاة فصلّى مع النبي ﷺ فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام إليه الرجل فقال : يا رسول الله إني أصبت حداً فأقم فيّ كتاب الله ، قال : أليس قد صليت معنا ، قال : نعم ، قال : فإن الله قد غفر لك ذنبك ، أو قال حدك" (٤) .

فمن لم تنته صلواته عن الفحشاء والمنكر وعن ارتكاب المحرمات فلا صلاة له ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) .

(1) سنن أبي داود كتاب الأدب ، باب في صلاة العتمة ، ح ٤٩٨٦ ، ج ٤ ، ص ٢١٢٣ ، حديث صحيح .

(2) انظر في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ١٩٣٢ .

(3) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلوات الخمس كفارة ، ح ٥٢٨ ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

(4) صحيح البخاري كتاب المحاربيين من أهل الكفر والردة ، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه ، ح ٦٨٢٣ ، ج ٨ ، ص ٣٠ .

فالصلاة لها معانٍ أخلاقية فهي تبعد الإنسان عن الرذائل وتطهر نفس الإنسان من سوء القول والعمل^(١) ، وقد جاء في حديث يرويه النبي ﷺ عن ربه : "إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي ، وقطع النهار في ذكري ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب"^(٢) .

إن الله - سبحانه وتعالى - افترض هذه العبادة على كل فرد ذكراً كان أو أنثى لتزيد من وحدة الأمة الإسلامية ، فوحدة القبلة لها أثر كبير في توحيد قلوب المسلمين كل يوم خمس مرات ، متجهة إلى مركز واحد ، وهذا له أثر كبير في إشعار المسلم أنه مرتبط ببقية المسلمين^(٣) .

ولقد حدث النبي ﷺ المسلمين على الإلتزام بصلاة الجماعة لمضاعفة الأجر ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ، ما دام في مصلاه ، اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة"^(٤) .

ثانياً : الصيام :

الصيام في اللغة : بمعنى : "مطلق الإمساك ، وفي الشرع : عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصباح إلى المغرب مع النية"^(٥) .

(1) انظر خلق المسلم ، ص ٨ .

(2) جامع الأحاديث القدسية ، باب تقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ، ح ١٣٣ ، ج ١ ، ص ٢٤١ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة ، ح ٩٥٠ ، ج ٢ ، حديث ضعيف .

(3) انظر الإسلام ، سعيد حوى ، ص ٣٣٩ .

(4) صحيح البخاري كتاب الأذان ، باب فضل صلاة الجماعة ، ح ٦٤٧ ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(5) التعريفات ، ص ١٣٩ .

كتب الله - عز وجل - الصيام على أمة محمد ﷺ وعلى جميع الأمم السابقة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣) ..

إن للصيام حكمة عظيمة تعود منفعتها لصالح الفرد ، فالصائم يترك أحب الأشياء إليه امتثالاً لأمر الله ، يترك شهواته وطعامه وشرابه ، ويُعود نفسه على قوة الإرادة وعلى الصبر وتحمل المصاعب ، فليس القصد من الصيام هو ترك الطعام والشراب والمفطرات ، وإنما هو التزام وهجر جميع المعاصي والسيئات ، فلا يحل للصائم أن يتكلم إلا حسناً ، ولا يفعل إلا جميلاً (١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرئ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم مرتين ، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها" (٢) .

والصيام وقاية للإنسان من المنكرات والشور ، فيهذب النفس ، وينور القلب ، ويصفي الروح ، ويؤدب الجوارح ، ويصلح الضمائر ، وينقي السرائر ، كما أن الجسم يحتاج إلى الأكل والشرب ، كذلك الروح تحتاج إلى صدق العبودية والإخلاص في الطاعة لله الواحد الديان (٣) ، قال رسول الله ﷺ : "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" (٤) .

والصيام يحقق مبدأ المساواة بين الأغنياء والفقراء ، والأشراف والعامّة ، ويعود الناس على النظام في المعيشة والاقتصاد ، ويجدد البنية ويقوي الصحة ، ويخلص الجسد من الرواسب والتخمرات الضارة ، ويريح الأعضاء ،

(1) انظر التفسير المنير للزحيلي ، ج ٢ ، ص ١٣١-١٣٢ ، إسلامنا للسيد سابق ، ص ١٢٤ .

(2) صحيح البخاري كتاب الصوم ، باب فضل الصوم ، ح ١٨٩٤ ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

(3) انظر إسلامنا ، ص ٨٧-٨٨ .

(4) صحيح البخاري كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ، ح ١٩٠٣ ، ج ٢ ،

ص ٢٧٩ .

ويقوي الذاكرة (١) .

ثالثاً : الزكاة :

الزكاة في اللغة : بمعنى "الزيادة ، وفي الشرع : عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص" (٢) .

لقد قرن - سبحانه وتعالى - الإيمان والعمل الصالح بفريضة الزكاة ، لما لهذه الفريضة من أثر في تقوية الروابط الاجتماعية في المجتمع المسلم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٧) .

ولقد جاءت هذه الآية بين آيات الربا لتبين أن الزكاة هي قاعدة المجتمع المتكافل المتضامن الذي لا يحتاج إلى التعامل مع الربا .

ولقد فرض الإسلام على رؤوس الأموال زكاة حقاً للفقير يؤديها أصحاب الأموال لإخوانهم الفقراء لكي يشعر كل فرد أن حياته وحياته أولاده مكفولة في كل حالة .

ولقد حدد الإسلام مصارف الزكاة ولمن تعطى هذه الأموال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦٠) .

لقد وعد - سبحانه وتعالى - المؤمنين الذين يقيمون حياتهم على الإيمان والصلاح والعبادة والتكافل والتعاون ، أن يحتفظ لهم بأجرهم عنده ، ووعدهم بالأمن ، فلا يخافون الفقر عند دفع ما عليهم من زكاة ، فالله يضاعف هذه الأعمال إلى أضعاف كثيرة (٣) ، قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (البقرة: ٢٧٦) .

(1) انظر التفسير المنير ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(2) التعريفات ، ص ١١٧ .

(3) انظر في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٣٢٨-٣٢٩ .

إن الفقراء يمثلون الأكثرية في المجتمع والمحافظة على إنسانيتهم وكرامتهم ببذل العطاء لهم من الحق الذي شرعه الله لهم حتى يصبحوا أعضاء نافعين ومواطنين صالحين في المجتمع ، وقد يكون فيهم من هو أوفر ذكاءً ، وأقدر على النهوض بالأعمال الجسام إذا وجد ما يقوم بحاجته الضرورية من الطعام والملبس والمأوى ، فإذا لم يجد الفقراء والضعفاء الكفاية مما هو ضروري وتعرضوا للجوع ، فإن ذلك يحملهم على الحصول على المال بأي طريقة كانت سواء كانت بالسرقة ، والنهب ، أو بارتكاب الجرائم .

إن إمداد الفقراء والمساكين بأموال الزكاة له أثر عظيم حيث تقوى الصلات بين الأغنياء والفقراء ، وتجعل منهم أسرة واحدة متعاونة على الخير وتنمية المال وتقوية الأواصر فيما بينهم ، وتصل بالمجتمع إلى أسمى درجات السمو والكمال والرفعة ⁽¹⁾ .

لقد حاربت الولايات المتحدة المسلمين تحت مسمى الإرهاب ، ثم بعد ذلك أعلنت الحرب على لجان الإغاثة من المؤسسات الخيرية ولجان الزكاة التي تدعم المسلمين تحت مسمى الإرهاب ، فقامت بالحجر على أموال المسلمين في البنوك الغربية ، وفرضت على الدول العربية تجميد أموال المؤسسات الخيرية ولجان الزكاة ، وإغلاق الكثير من هذه المؤسسات التي تدعم الفقراء وتدعم كفالة الأيتام .

إن الجمعيات الإسلامية تتكفل آلاف أسر الأيتام والأسرى والمتضررين ، وذلك من أموال الزكاة ، وهذا ينغص على أعداء الله ، لأنهم يريدون الفقر للشعوب الإسلامية ولا يريدون التكافل الاجتماعي الذي يقوي الروابط الاجتماعية بين المسلمين ويكفل حق الفقراء .

إن الولايات المتحدة الأمريكية تدعم الجمعيات التنصيرية في الدول العربية وخارج الدول العربية لنشر النصرانية ، ولقد ذكر لي أحد الإخوة المشهود له بالصدق والأمانة أنه رفض بعثة تعليمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك

(1) انظر إسلامنا ، سيد سابق ، ص ١٢١-١٢٢ .

بسبب عدم موافقته المكث في بيت نصراني والمواظبة على زيارة الكنيسة النصرانية من أجل التقارب .

إن الولايات المتحدة الأمريكية تدعم الحكومة الصهيونية بمليارات الدولارات سنوياً ليحاربوا الشعب الفلسطيني وتقوم بارتكاب الجرائم ضد المسلمين ، وذلك لطمس معالم الدين الإسلامي .

إن المنظمات الخيرية لا تحارب أحداً ، بل هي سجل من الأعمال الخيرية التي تعطي الفقراء حقهم وتكفل رعايتهم ومصالحهم .
رابعاً : الحج :

الحج في اللغة : بمعنى "القصْد إلى الشيء المعظم ، وفي الشرع : قصد لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة" (١) ، قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ١٩٧) .

لقد فرض - سبحانه وتعالى - الحج على قدر الاستطاعة ، وإذا لم يستطع لقلة المال أو العجز أو المرض أو العدو ، فإنها تسقط عنه وذلك بعموم الآية (٢) .
ولقد فرض - سبحانه وتعالى - الحج على المسلمين سنة ست من الهجرة بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧) .

واستمر المسلمون منذ ذلك التاريخ وهم يهرعون إلى بيت الله الحرام كل عام في مختلف أقطار الأرض ، ترتفع أصواتهم بتلبية أوامر الله ، خاشعين لله ، قاصدين تطهير أنفسهم من شوائب العصيان ومخالفة الأوامر الإلهية ، متساوين فيما بينهم لا فرق بين حاكم ومحكوم وغني وفقير متجردين عن مظاهر الدنيا وزينتها ، فلا تكاد تجد في أنحاء العالم تجمعا كثيفا ومؤتمرا عالميا مثل

(1) التعريفات ، ص ٨٧ .

(2) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

مؤتمر الحج كل عام ، حيث تجد فيه مختلف الجنسيات والألوان والألسنة من كل أنحاء العالم (١) .

قال تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لِيُقْضُوا تَفَثُهُمْ وَيُؤْفُوا نُؤُورَهُمْ وَيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج : ٢٧-٢٩) .

إن عبادة الحج لها هدفها الأسمى ، وغايتها المثلى ، فإذا عزم الحاج على الحج فإنه يجدر به أن يبتعد عن الأخلاق الذميمة ، فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل ، ولا يشاحن ، ولا يؤذي أحداً ، ولا يضر شراً ، ولا ينظر لأحد بازدراء ولا يطلق لسانه في أعراض الناس ، ولا يستمع إلى غيبة ولا نميمة ، ولا يشتغل بسفاسف الأمور ، ولا يغش ولا يكذب ، ولا يرئى ولا يظلم أحداً ، إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة التي نهى عنها الدين وحذر منها ، فيجب على الحاج أن يتحلى بالأخلاق الحسنة والخصال الحميدة ، والأعمال الصالحة ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويتصدق من ماله ، ويصدق في حديثه ، وينصح في بيعه وشرائه ، ويصلح بين الناس ، ويرحم الصغير ، ويوقر الكبير ، ويساعد المحتاج ، ويؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، ويدعو إلى الحق ويعين عليه (٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
"من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" (٣) .

إن المؤمن عندما يذهب إلى بيت الله الحرام يعود ومعه أقوى سلاح ، ألا وهو الإيمان ، فيجب عليه أن يتفقد إيمانه بين الفترة والأخرى بالأعمال الصالحة وترك كل ما يضعف إيمانه من المعاصي والموبقات .

(1) انظر التفسير المنير ، ج ٢ ، ص ١٩٦-١٩٧ .

(2) انظر مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) ، أثر الحج في النفس والمجتمع للدكتور عبد الرحمن بله علي ، ص ١٧٩-١٨٠ ، السنة الحادية عشر ، العدد الثاني ، ذي الحجة ١٣٩٨ هـ .

(3) صحيح البخاري كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ، ح ١٥٢١ ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

إن من المسلمين مَنْ يؤدي بعض الشعائر وهو لا يدري ما الحكمة من وراء هذه الشعيرة ، فيجب على المسلم طاعة الله ورسوله ﷺ مع الرضا التام ، والتسليم المطلق في كل شأن ، وفي كل صغيرة وكبيرة يقوم بها في الحج ، فهي دين يثاب المرء على فعله ويعاقب على تركه ، وعلى قدر إيمانه تكون طاعته وتسليمه ورضاه .

إن الحج أشبه بالمناورات الحربية ، فهذه اللقاءات الخاطفة والوجبات الخفيفة والحركات السريعة ، والخيام المضروبة والتوقيت الدقيق ، والحرص على إصابة الهدف ثم انقضاء المهمة ، والشوق إلى الأهل والحنين إلى لقائهم هو أشبه بالمناورات الحربية والتدريبات العسكرية (١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : **"جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة"** (٢) .

إن الحج يعود نفعه على صلاح الفرد ، فتجده عندما يسمع منادي الصلاة وداعي الجهاد يبادر إلى كل عمل فيه خير وصلاح لدينه ودنياه ، فالحج الزاد الذي يتزود منه المؤمن ليواصل به أعباء الدنيا .

المسألة الثانية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) :

إن من وسائل الإصلاح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما الدعامتان اللتان يقوم عليهما إصلاح الفرد والمجتمع ، قال تعالى : **﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾** (آل عمران: ١١٠) .

إن من الواجب على الأمة أن تقوم بتغيير المنكر ، وأن لا تحقر من المعروف شيئاً ، قال رسول الله ﷺ : **"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"** (٤) .

(1) انظر مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) ، أثر الحج في النفس والمجتمع ، ص ١٨٣ .

(2) سنن النسائي كتاب مناسك الحج ، باب فضل الحج ، ح ٢٦٢٥ ، ج ٣ ، ص ٧٨ ، حديث حسن .

(3) انظر ص ١٨٢ من هذا البحث .

(4) انظر ص ١٨٢ من هذا البحث .

المسألة الثالثة : القضاء العادل :

إن القضاء العادل في الإسلام حق يكفله الله - سبحانه وتعالى - لكل الناس ، فالجميع سواسية أمام قضاء الله لا فرق بين حاكم ومحكوم ، وبين غني وفقير ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦) .

سبب النزول :

"عن ابن زيد ^(١) قال : نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها قالوا : إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده فنزلت" ^(٢) .
فبين - سبحانه وتعالى - أن الأمر والحكم لله ورسوله ، فإذا اختار رسوله أمراً فعلى المؤمنين السمع والطاعة والانصياع إلى أمره سبحانه ، أما من خالف أوامر الله ورسوله ﷺ فقد انحرف عن طريق الهدى والرشاد ووقع في متهاتات الضلال المبين وابتعد عن منهج الحق والخير ^(٣) .

وحذر - سبحانه وتعالى - من مخالفة أمره فقال : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣) .

ونفى - سبحانه وتعالى - صفة الإيمان عن المعرضين عن حكم الله ورسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥) .

إن الإعراض عن حكم الله ورسوله يعد كفراً ونفاقاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (النور: ٤٨) .

(1) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، صحابي مشهور ، توفي سنة أربع وخمسين للهجرة ، تقريب التهذيب ، ترجمة ٣١٦ ، ص ٩٨ .

(2) لباب النقول ، ص ٢٢٢ .

(3) انظر التفسير المنير ، ج ٢٢ ، ص ٢٨ .

سبب النزول :

"نزلت هذه الآية في بشر المنافق دعاه يهودي في خصومة بينهما إلى رسول الله ﷺ ، ودعا هو اليهودي إلى كعب بن الأشرف ، ثم تحاكما إلى رسول الله ﷺ ، فحكم لليهودي لأنه صاحب الحق ، فلم يرض المنافق بقضائه ﷺ وقال نتحاكم إلى عمر رضي الله عنه ، فلما ذهباً إليه ، قال له اليهودي : قضى لي النبي ﷺ ، فلم يرض بقضائه ، فقال عمر للمنافق : أكذلك ، قال : بلى ، فقال : مكانكما حتى أخرج إليكما ، فدخل رضي الله عنه بيته ، وخرج بسيفه فضرب عنق المنافق حتى برد ، وقال : هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله ﷺ" (١) .

إن توجه الدول العربية إلى دول الكفر للتحكيم فيما بين المسلمين لهي منافية لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

إننا نعيش في زمن القضاء فيه للأقوى والحق مع الأقوى ، أما الضعيف فلا حق ولا أمن ولا أمان له ، إننا نعيش في زمن يتبجح فيه أعداء الله ويزعمون بأنهم أهل للعدالة والحرية والديمقراطية .

إن سيرتنا الحميدة مليئة بالصور العادلة بين الرئيس والرعية ، بل إن الله - عز وجل - أنصف اليهودي من المسلم كما وضحنا ذلك في مطلب سابق (٢) .
لقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إماماً عادلاً يحكم بين الرعية بالعدل لا فرق بين حاكم ومحكوم .

"بينما عمر بن الخطاب جالس إذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك ، فقال عمر : لقد عدت بمجير ، فما شأنك ؟ قال : سابقت على فرس ابناً لعمر بن العاص فسبقته ، فجعل يقمعني (٣) بسوطه

(1) التفسير المنير ، ج ١٨ ، ص ٢٧١ .

(2) انظر ص ٢٥٩ من هذا البحث .

(3) يقمعني : بمعنى يضربني .

ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ عمرو أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانطلقت منه ، فهذا الحين جئتك ، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وهو أمير على مصر ، : "إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان" وقال للمصري : "أقم حتى يجيء" ، فقدم عمرو فشهد الحج ، فلما قضى الحج وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه إلى جانب ، قام المصري فرمى إليه عمر بالدرة وضربه فلم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين ، فقال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت ، واشتفيت ، قال : ضعها على صلعة عمرو ، قال : يا أمير المؤمنين : قد ضربت الذي ضربني ، قال : أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع ، ثم قال لعمرو : "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" (١).

إن للإسلام أثراً كبيراً في إصلاح القضاء ، لذلك جعل الله - سبحانه وتعالى - للإمام العادل ثواباً عظيماً ، قال رسول الله ﷺ : "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل معلق قلبه بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه" (٢) .

وإن العدل يورث المنزلة الطيبة عند الله - سبحانه وتعالى - قال رسول الله ﷺ : "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - عز وجل - وكننا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" (٣) .

(1) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ، ص ١٥٧ .

(2) صحيح البخاري كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، ح ٦٦٠ ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(3) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، ح ١٨٢٧ ، ج ٣ ، ص ١٤٥٨ .

إن كثيراً من القضاة يحكمون بالأهواء والمصالح ، وقد توعد الله
- سبحانه وتعالى - أمثال هؤلاء القضاة بالعذاب الأليم في الدنيا بالابتعاد عن
معية الله وفي الآخرة بالعذاب الأليم ، قال رسول الله ﷺ : "القضاة ثلاثة ، اثنان
في النار وواحد في الجنة ، رجل عرف الحق ف قضى به فهو في الجنة ، ورجل
قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق وجار في الحكم
فهو في النار" (١) .

(1) سنن أبي داود كتاب الأفضية ، باب في القاضي يخطيء ، ح ٣٥٧٣ ، ج ٣ ، ص ١٥٤٦ ، حديث صحيح .

المطلب الثاني محبطات الإصلاح

ويشتمل على ثلاثة مسائل :

- المسألة الأولى : عدم المحافظة على الشعائر الدينية .
- المسألة الثانية : غياب تحكيم الشريعة .
- المسألة الثالثة : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المسألة الأولى : عدم المحافظة على الشعائر الدينية :

لقد توعد الله - سبحانه وتعالى - عباده الذين يتخاذلون عن أداء ما افترضه عليهم بالعذاب الأليم ، قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (الماعون: ٤-٥) ، والويل : وادي في جهنم للمنافقين الذين يصلون لا يريدون الله عز وجل بصلاتهم يتخافلون عنها ويضيعونها (١) ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٤٢) .

والمقصود بالنسيان هو أن يبقى ناسياً لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة ، وهذا لا يصدر إلا عن المنافق ، الذي يعتقد أنه لا فائدة في الصلاة ، أما المسلم الذي يعتقد أن فيها طاعة لله وقربة له سبحانه وتعالى فقد يسهو في بعض أجزاء الصلاة ، فالسهو في الصلاة من أفعال المؤمن ، أما السهو عن الصلاة فهو من أفعال المنافق (٢) .

وقد حكم النبي ﷺ بالكفر على تارك الصلاة ، قال رسول الله ﷺ :
"بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة" (٣) .

ولقد توعد - سبحانه وتعالى - للذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بالعذاب الأليم في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لَٰنَفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة: ٣٤-٣٥) .

عن ابن عمر قال : "إن كل مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر ، وإن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب يستحق وعيد الله إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه ، وإن قل إذا كان مما يجب فيه الزكاة" (٤) .

(1) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٥ ، ص ٣٩٧ .

(2) انظر التفسير الكبير ، ج ٣٢ ، ص ١٠٧ .

(3) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق الكفر على من ترك الصلاة ، ح ٨٢ ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٥ ، ص ٣٩٧ .

وقد بين النبي ﷺ نوع العذاب الذي يستحقه مانعو الزكاة يوم القيامة ، قال رسول الله ﷺ : "ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أُحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار" (١) .

والنبي ﷺ حث على كثرة الإنفاق في أوجه الخير حتى لا يكون المال وبالاً على صاحبه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر : "ما يسرني أن لي أحداً ذهباً تأتي علي ثلاثة وعندي منه دينارٌ إلا ديناراً أرصده لدين علي" (٢) .

ولقد رأى النبي ﷺ رجالاً معلقين من عراقبيهم تسيل أشداقهم دماً بسبب إفطارهم قبل انتهاء الوقت ، فكيف بمن يفطر في شهر رمضان عامداً متعمداً ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا نائم أتاني رجلان ، فأخذا بضبعي (٣) ، فأتيا بي جبلاً وعراً ، فقالا : اصعد ، فقلت : إني لا أطيقه ، فقال : إنا سنسهله لك ، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة قلت : ما هذه الأصوات ؟ قالوا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلق بي ، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقبيهم مشقة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دماً ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : الذين يفطرون قبل تحلة صومهم" (٤) .

ولقد حكم العلماء بتكفير جاحد الصوم ، "من ترك الصوم جحداً لوجوبه فهو كافر إجماعاً ، ومن تركه كسلاً وتهاوناً فلا يكفر ولكنه على خطر كبير بتركه ركناً من أركان الإسلام ، مجمع على وجوبه ، ويستحق العقوبة والتأديب من ولي الأمر بما يردعه وأمثاله ، بل ذهب بعض أهل العلم إلى تكفيره وعليه قضاء ما تركه مع التوبة إلى الله سبحانه" (٥) .

(1) صحيح مسلم كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، ح ٩٨٧ ، ج ٢ ، ص ٦٨٠ .

(2) صحيح مسلم كتاب الزكاة ، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ، ح ٩٩١ ، ج ٢ ، ص ٦٨٧ .

(3) بضبعي : بمعنى وسط العضد وقيل هو ما تحت الإبط ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٣ ، ص ٧٣ .

(4) صحيح الترغيب والترهيب للألباني كتاب الصوم ، باب الترهيب من إفطار شيء من رمضان من غير عذر ، ح ١٠٠٥ ، ج ١ ، ص ٥٨٨ .

(5) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان للدكتور سيد بن حسين العفاني ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

المسألة الثانية : غياب تحكيم الشريعة :

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥) .

لقد نفى - سبحانه وتعالى - صفة الإيمان عن الأمة التي تبتعد عن تحكيم شريعة الإسلام . إن غياب تحكيم شريعة الإسلام يفتح الباب على مصراعيه للسرقة والقتل والزنا وارتكاب الفواحش والمنكرات ، لأن مبدأ التحكيم في الإسلام قائم على المساواة .

إن الحكومات التي تنتسب في هذه الأيام إلى الإسلام لا تحكم الشريعة الإسلامية إنما تحكم العلمانية والقوانين الوضعية التي تحكم على مرتكبي الجرائم والفواحش بالسجن ، وهذه العقوبة وحدها لا تكفي لردع القتلة والسارقين والزناة إن صلاح الأمة لا يقوم إلا بتحكيم شريعة الإسلام القائمة على العدل والمساواة بين جميع أجناس البشر .

إن ما تعانيه الأمة العربية والإسلامية من شقاء وألم لهو أثر طبيعي لغياب تحكيم شريعة الإسلام ، قال رسول الله ﷺ : "وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وَيَتَخَيَّرُوا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم" (١) .

ولقد حذر النبي ﷺ أمته من الأئمة المضلين الذين لا يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه فقال رسول الله ﷺ : "وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة" (٢) .

ولقد حذرنا الله - سبحانه وتعالى - من التفاضل إلى أحكام الجاهلية والابتعاد عن تحكيم شريعة الإسلام ، قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠) .

فالجاهلية كما وصفها الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم هي حكم البشر للبشر وعبوديتهم للبشر ، والخروج من العبودية لله تعالى ، فالناس في كل

(1) سنن ابن ماجة كتاب الفتن ، باب العقوبات ، ح ٤٠١٩ ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ ، صحيح الإسناد .

(2) سنن أبي داود كتاب الفتن والملامح ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، ح ٤٢٥٢ ، ج ٤ ، ص ١٨١٧ ، حديث صحيح .

زمان ومكان إما إنهم يحكمون بشريعة الله ويقبلون بها ويسلمون بها ، وإما إنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر ويقبلون بها ، وهذا مفترق طرق عظيم ينقسم فيه الناس ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - يبين أن الخيرية لمن يستنير ويسلم إلى حكم الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠) .

فمن أعلم بأمور الناس وأحوالهم وما يصلح لهم وما يضر بهم ، أهم البشر أم رب البشر ، إن علم البشر القاصر لا يدرك المصلحة العامة للبشرية ، بل هو علم يقوم على هوى النفس أو هوى الشعوب .

إن الأمة التي لا تحكم بشريعة الإسلام فهي أمة قاصرة ، فماذا بوسع المسلمين عندما يقفوا بين يدي الله أن يقولوا له ، وهم يدعون الإسلام .

إن الطريق في تحكيم شريعة الإسلام واحدة ، فإما إسلام وإما جاهلية ، إما إيمان وإما كفر لا خيار بينهما ، والذين لا يحكمون بما أنزل الله هم الكافرون الظالمون الفاسقون ، والذين لا يقبلون حكم الله من المحكومين ما هم بمؤمنين (١) .

المسألة الثالثة : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن من محبطات الصلاح ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا توقف الدعاة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن عاقبتهم سيئة ، فلا بد أن يوافق القول العمل وإلا سيصبحون مثل بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨-٧٩) .

حينما وقع بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماءهم عن ارتكاب المحرمات ، وفي اليوم التالي جالسوهم وشاربوهم فضرب الله على قلوبهم ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : " إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل

(1) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٩٠٤-٩٠٥ .

لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه
وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض" (١) .

إن حياة الناس وموتها مرهونة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
فالأمر والنهي هما طريق النجاة ، قال رسول الله ﷺ : "مثل القائم على حدود الله
والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم
أسفلها ، وكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ،
فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا
هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" (٢) .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صمام الأمان للناس للحفاظ على
حياتهم ودينهم ، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع باستفاضة في مطلب سابق (٣) .

(1) انظر ص ١٨٦ من هذا البحث .

(2) انظر ص ٣٩ من هذا البحث .

(3) انظر ص ١٨٦ من هذا البحث .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

الفصل الأول : إصلاح الفرد في السياق القرآني :

أهم نتائج هذا الفصل :

- ١- إن دعوة الأنبياء جميعاً هي دعوة إلى العقيدة الصالحة ، ودعوة إلى العمل الصالح .
- ٢- شرائع الأنبياء تختلف ، فكل نبي له شريعة خاصة بقومه ، وأحكام تتعلق بهم أما شريعة الإسلام فهي الشريعة الخالدة العامة .
- ٣- ينبغي على الداعية أن يكون أشد الناس خشية لله تعالى ، وأن يصدق فعله قوله .
- ٤- إن خطر المنافقين على دعوة النبي ﷺ وأتباعه الإصلاحية أشد من خطر اليهود والنصارى ، لما يبثونه من سموم تمزق شمل الأمة ووحدة المجتمع المسلم .
- ٥- إن عداة أهل الكتاب للإسلام والمسلمين نابع من الحسد الكامن في قلوبهم .
- ٦- إن فساد أهل الكتاب هو فساد في الاعتقاد وفساد في السلوك .
- ٧- لم يؤمن من اليهود بدعوة النبي ﷺ الإصلاحية إلا الفئة القليلة بخلاف موقف النصارى ، فإن موقفهم غلب عليه الإيجابية والمودة .
- ٨- مساومة مشركي قريش للنبي ﷺ ، والظعن فيه لإبطال حجة القرآن وأنه من عند البشر .
- ٩- إن من عدل الله في هذا الكون أنه فرق بين المصلحين والمفسدين ، فجعل لكل منهم ميزاناً قائماً يزيد به أعماله .
- ١٠- إن الإيمان هو أساس الأعمال ، ولا يتحقق الإيمان إلا بالعمل الصالح .

- ١١- إن الرجال والنساء مطالبون بالإيمان والعمل الصالح ، ولا فرق بينهما من ناحية مبدأ التكليف .
- ١٢- إن السبب الذي من أجله خلق الإنسان هو العمل الصالح .
- ١٣- إن ثمن الجنة التي ينالها العبد هو العمل الصالح .
- ١٤- إن العمل الصالح شرط في قبول توبة المذنبين والمقصرين .
- ١٥- إن باب التوبة مفتوح لكل من أقبل على الله تعالى .
- ١٦- إن أساس إجابة الدعاء صلاح الأعمال .
- ١٧- إن الدعاء سلاح المؤمن وهو عدو البلاء .
- ١٨- إن الله - سبحانه وتعالى - يدافع عن أوليائه الصالحين ، إذا تعرضوا لمكروه .
- ١٩- إن الله - عز وجل - يبشر عباده الصالحين بالجنة من ساعة الاحتضار وهم في الدنيا .
- ٢٠- لا أحد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليعمل صالحاً إلا من قصر في دنياه والشهيد لما لاقى من أجر ونعيم الثواب عند الله سبحانه وتعالى .

الفصل الثاني : إصلاح المجتمع في السياق القرآني :

أهم نتائج هذا الفصل :

- ١- بعث الله - سبحانه وتعالى - النبي ﷺ في زمن انحرف فيه الناس عن الديانة الحنيفية السمحة ، وكثر الفساد في الأرض .
- ٢- إن الأسرة هي أساس بناء المجتمع الصالح النظيف الخالي من الانحرافات الأخلاقية والسلوكية .
- ٣- أعطى الإسلام المرأة حقها في تقرير مصيرها باختيار شريك حياتها .
- ٤- قدم الإسلام نكاح المرأة ذات الدين على صاحبة الجمال والمال .
- ٥- رغب الإسلام في الزواج من المرأة البعيدة النسب من أجل الحفاظ على قوة النسل ، فإن الزواج من الأقارب قد يترتب عليه تشوهات خلقية .
- ٦- أعطى الإسلام الرجل حق القوامة على النساء .

- ٧- سلك القرآن الكريم أسلوب التدرج في علاج المرأة الناشز .
- ٨- حث الإسلام الرجال على العدل بين نساءهم في النفقة والمبيت ، أما الميل القلبي فبيد الله تعالى .
- ٩- من مسئولية الآباء والأمهات تربية أبنائهم تربية إيمانية ، وسلوك أسلوب التدرج في تربيتهم .
- ١٠- من حق الأبناء على آبائهم العدل فيما بينهم في العطاء .
- ١١- إصلاح ذات البين من القضايا الهامة التي تصون المجتمع من الفرقة والاختلاف .
- ١٢- إصلاح ذات البين من الأمور المحببة إلى الله ، لذلك جعل المصلحين على منابر من نور يوم القيامة جزاءً لهم على إصلاحهم .
- ١٣- إن القرآن الكريم هو أساس التحكيم بين الفئات المتناحرة .
- ١٤- انتفاء صفة الإيمان عن يبتعد عن شريعة الإسلام .
- ١٥- أهم وسائل الإصلاح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما فيه من خدمة اجتماعية وصيانة للمجتمعات من الانزلاق في مزالق الشيطان .
- ١٦- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدعاة لنزول العذاب والطرده من رحمة الله تعالى .
- ١٧- لا بد للإسلام من قوة تحفظ نظامه الداخلي ، وتحافظ على أمنه الخارجي .
- ١٨- رغب الإسلام في إصلاح مناهج التعليم ليرتقي بالأمة المسلمة إلى مواكبة كل تقدم علمي وحضاري .
- ١٩- إن العلوم الشرعية هي أساس العلوم التي تحيي القلوب وتثير الطريق وتصلح المجتمع .
- ٢٠- إن صلاح علماء المسلمين هو أساس صلاح المجتمع .
- ٢١- حد الإسلام حدوداً ورسناً نظماً للأخذ على أيدي المجرمين .
- ٢٢- لقد حرم الله - عز وجل - الإسراف في المطاعم والمشارب وغيرها مما يدخل في دائرة المباحات .

٢٣- حرم الله - سبحانه وتعالى - التبذير وهو الإنفاق في المحرمات كالخمر والرشوة وغيرها .

الفصل الثالث : آثار الإصلاح ومحبطاته :

أهم نتائج الفصل :

- ١- لقد جعل الله - سبحانه وتعالى - صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله والإخلاص له بالعبادة سبباً من أسباب التوسيع في الرزق وعموم الرخاء الذي يعود على البشرية ، ويجلب الطمأنينة ، ويعصم النفس الإنسانية من اليأس وعدم القنوط .
- ٢- اليأس والقنوط صفة ذميمة يتخلق بها أصحاب القلوب المريضة .
- ٣- أعد الله - سبحانه وتعالى - الجنة - ووصفها بأوصاف متعددة - لعباده المؤمنين الذين التزموا بما أمرهم الله به من الأعمال الصالحة .
- ٤- إن أدنى أهل الجنة منزلة له أضعاف أغنى ملوك أهل الأرض .
- ٥- إن أفضل نعيم أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى .
- ٦- أراد الإسلام للأسرة أن تكون مكاناً للسكينة والراحة النفسية والاطمئنان الشعوري ، لا مكاناً للنزاع والخصام والشقاق .
- ٧- لقد جعل الله - سبحانه وتعالى - للشورى أثراً عميقاً في صلاح المجتمع وترابطه وتماسكه .
- ٨- لقد وضع الإسلام ضوابط ليتعامل بها المسلمون فيما بينهم ، وذلك بعداً للريبة والظن السيئ ليزداد تماسك المجتمع .
- ٩- أذاب الإسلام جميع الفوارق والاعتبارات بين أفراد المجتمع ووفر لهم جميع الشروط التي تحقق المساواة بين أفرادهم .
- ١٠- إن الله سبحانه وتعالى كفل العدل لجميع أجناس البشر لا فرق بين حاكم ومحكوم أو بين الناس في معاملاتهم ، أو بين المسلمين والكافرين .
- ١١- إن الإيمان والعمل الصالح ثمن استخلاف المؤمنين في الأرض .

- ١٢- إن الإيمان والعمل الصالح يجلب الطمأنينة ويجلب الأمن للنفس المؤمنة ويمكن لهم دينهم .
- ١٣- إن ضياع الدين وغياب العدل يعمل على تفرق المسلمين وتمزيق شملهم ، وتمكين أعداء الله منهم .
- ١٤- إن من أهم وسائل الإصلاح الحفاظ على العبادات التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده .
- ١٥- إن صلاح الفرد منوط بالالتزام بالفرائض والإكثار من النوافل فهما السبب في دخول الجنة وغفران الذنوب .

توصيات البحث :

- ١- أوصي قادة وحكام الأمة الإسلامية بأن يكون الإصلاح نابعاً من القرآن والسنة ، لا من قوانين الغرب وإملاءاتهم .
- ٢- كما أوصي الحكام بتحكيم شريعة الإسلام فهي المخلصة والمنجية في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .
- ٣- أوصي العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بأن يبثوا روح الإيمان في قلوب الأمة المسلمة وأن يقوموا بواجبهم الإصلاحي .
- ٤- أوصي كل أسرة مسلمة بأن تراعي أبناءها ، وأن تقيم دولة الإسلام في بيتها فالأطفال هم اللبنة الصالحة في المجتمع ، ونواة المجتمع في المستقبل .

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات .
- ثانياً : فهرس أطراف الأحاديث النبوية .
- ثالثاً : فهرس الأعلام .
- رابعاً : فهرس المصادر والمراجع .
- خامساً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية
سورة البقرة

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٢٢ ، ٤٦	١٦-٨	ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
٢٤٥ ، ٩٤	٢٥	وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات
١٨٩ ، ١٨٧	٤٤	أتأمرون الناس بالبر وتتسون أنفسكم
٥٩	٩٠-٨٩	ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم
٦٣	١٠٩	ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم كفاراً حسداً ...
٥٨	١٢٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
١٦	١٣٠	وإنه في الآخرة لمن الصالحين
١٤	١٣٢	ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب
١٧	١٣٦	قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا
٥٧	١٤٦	الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه
٧	١٥٢	فاذكروني أذكركم
٢٦٧	١٥٧-١٥٥	ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
١٠٩	١٦٠-١٥٩	إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى
٢١	١٧٢	يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
٩٣	١٧٧	ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
٢٦٢	١٧٨	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ..
٢١٦ ، ٢٠٠	١٧٩	ولكم في القصاص حياة
٢٨٠	١٨٣	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
١١٢	١٨٦	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
٢٨٣	١٩٧	الحج أشهر معلومات
٤٩	٢٠٦-٢٠٤	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا
٤١	٢٠٧	ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ...
٢٠٣ ، ٢٠٢	٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر
١٤٧	٢٢١	ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن
١٧٧	٢٢٤	ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم
٢٦٥	٢٥٠	ولما برزوا لجالوت وجنوده

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٢٣	٢٥٧	الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور
٢٢٦	٢٦٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا
٢٢٤ ، ١٣٩ ، ٢٨١	٢٧٦-٢٧٥	الذين يأكلون الربا
٢٧٦ ، ٩٥ ، ٢٨١ ، ٢٧٧	٢٧٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة ..
٢٣٠	٢٨٢	فإن كان الذي عليه الحق

سورة آل عمران

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
------------	-------	-----------

١٧٠ ، ١٦٤	٣٨	هنالك دعا زكريا ربه
١٤	٥٢	فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله
٦٨	٦١-٥٩	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم
٦٩	٦٤	قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
٥٩	٧٢	وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا
٢٦٩	٨٥	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً
١٠٦	٨٩-٨٦	كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم
٢٨٣	٩٧	و الله على الناس حج البيت
٦٤ ، ٥٩	٩٩-٩٨	قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
١٨١	١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعاً
١٨٢ ، ٣٧ ، ١٨٣	١٠٤	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
١٨٤ ، ١٨٣ ، ٢٨٥	١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس
٣٧	١١٥-١١٣	ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة
٢٦٥	١٢٦	وما النصر إلا من عند الله
٢٢٥	١٣٠	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا
٢٤٢	١٣٦-١٣٤	والذين ينفقون في السراء والضراء
٢٦٦	١٦٠	إن ينصركم الله فلا غالب لكم

سورة النساء

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٦٢	٣	فانكحوا ما طاب لكم من النساء
٢٢٩	٥	ولا تؤتوا السفهاء أموالكم
٢٣٠	٦	وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا
١٦٣	١٣	تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله
٢١١	١٥	واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
١٠٩	١٨	وليست التوبة للذين يعملون السيئات
٢١١	٢٥	ومن لم يستطع منكم طويلاً أن ينكح المحصنات

١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨	٣٥-٣٤	الرجال قوامون على النساء بما فضل الله
٢٦٣	٣٦	واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً
٢٠٣	٤٣	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ..
٦٠ ، ٥٩	٤٦-٤٤	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب
١٩٠	٥٩	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
٢٨٦ ، ١٧٦ ، ٢٩٣	٦٥	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما بينهم
١٢٢ ، ١٠٠	٧٠-٦٩	ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله ...
٢٥٤	٨٦	وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها
٢١٣	٩٢	وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً
٢١٣ ، ١٠٣	٩٣	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم
٨	٩٤	يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله
١٢٩	٩٧	إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم
٢٦٠	١٠٨-١٠٥	إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
١٠٦	١١٠	ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله
١٧٩	١١٤	لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة
١٠٢	١١٦	إن الله لا يغفر أن يشرك به
٩٥	١٢٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩٢	١٢٤-١٢٣	ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب
١٥٩ ، ٥ ، ٣	١٢٨	وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً
١٦٢	١٢٩	ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء
٢٥٨	١٣٥	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
١٧	١٣٦	يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب
١٠٦ ، ٥١	١٣٨-١٣٧	إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا
٢٩١	١٤٢	إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم

٥١	١٤٤	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء
٥١	١٤٥	إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار
٢٢٥	١٦١	وأخذهم الربا وقد نهوا عنه

سورة المائدة

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٥٤	٢	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
٢٦٩	٣	اليوم أكملت لكم دينكم
٢٥٨	٨-٩	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ..
٢١٤	٣٢	من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل
٢١٧	٣٣	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
١٠٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠	٣٨-٣٩	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
٢١٧ ، ٢١٦	٤٥	وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس
١٩	٤٨	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه
٢٩٤ ، ٢٩٣	٥٠	أفحكم الجاهلية يبغون
٤٥	٥١-٥٢	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء
١١٨	٥٤	يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله
٥٨	٥٩	قل يا أهل الكتاب هل تتقون منا إلا أن آمنا

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦٨ ، ١٣	٧٢	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم
٦٨	٧٣	لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
٢٩٤ ، ١٨٦	٧٨-٨١	لعن الذين كفروا من بني إسرائيل
٤١ ، ٤٠ ، ٦٧	٨٢-٨٥	لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
٢٠٣	٩٠	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر
٩٥	٩٣	ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما

		طعموا
٧٢	١٠٤	وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ..
١٨٤	١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم

سورة الأنعام

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣١	٢٨	بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا
١٠٨	٥٤	وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم
٢٦٨	٨٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
١٨٨	١٠٨	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
٩٢	١٢٢	أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً
٨٤	١٢٥	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
٢٢١	١٤١	وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ..
٦١	١٥٣	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه

سورة الأعراف

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧	٢٦	يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم
١٢	٣٥	يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي
٩٩	٤٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها
١٣٤	٥٣	هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٥٠ ، ٢٦	٥٦	ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها
١٣	٥٩	لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ...
١٦	٦٠	قال الملائكة من قومه إنا لنراك
٩٩	٦١	ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج
١٣	٦٥	وإلى عاد أخاهم هونداً قال يا قوم اعبدوا الله
١٣	٧٣	وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله

٢٣٣ ، ٤٨	٩٦	ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
٥٥	١٢٧	وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه
٢٦٤ ، ٥٦	١٢٨-١٢٩	قال موسى لقومه استعينوا بالله واصيروا
٢٦	١٣٧	وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض
٢٥	١٣٨	وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم
٦	١٤٢	وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتتمناها
٥٧	١٥٧	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
٤٠ ، ١٨	١٥٨	قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً
٤٣	١٧٠	والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة
٤٣	١٧٨	من يهد الله فهو المهتدي
١١٧	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها
٦ ، ٤	١٨٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فلما آتاها صالحاً جعل له شركاء فيما آتاها
٦	١٩٠	وهو يتولى الصالحين
١١٩ ، ٧	١٩٦	وهو يتولى الصالحين

سورة الأنفال

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧٦ ، ٧٥	٣٠	وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
٨٠	٣١	وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا
٢٣٧	٤٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا
١٩١ ، ١٩٠	٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
٨	٦١	وإن جنحوا للسلم فاجنح لها

سورة التوبة

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩١	١٨	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
٥٨	٣٠	وقالت اليهود عزير ابن الله
٢٩١	٣٥-٣٤	يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأبحار والرهبان ليأكلون
٢٨١	٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين

٥٢ ، ٥١	٧٧-٧٥	ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
٢	١٠٢	وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً
٥٢ ، ٨	١٠٣	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
١٠٦	١٠٤	ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده
٩٦	١٠٥	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .
٢٦٣ ، ٤٢	١١١	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
٤٣	١٢٠	ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب
٤٣	١٢١	ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة
١٨٤ ، ١٨٣	١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافة

سورة يونس

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٨٠	٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم
٨٢	٤	إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده
٢٣٧	٨-٧	إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا
٧٧	١٥	وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون ...
٢٤٨	٢٦	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
١١٩ ، ١١٨	٦٤-٦٢	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم
١٤	٧٢-٧١	واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم
٢	٨١	فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر عن الله سييئله
١٤	٨٤	وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا .
١٣١ ، ١٠٩	٩١-٩٠	وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
١٣١	٩٢-٩١	آلآن وقد عصيت قبل

سورة هود

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٣٨ ، ٩٦	١١-٩	ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة
٤	٤٦	قال يا نوح إنه ليس من أهلك
٣٦	٤٨	قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات
١١	٥٠	وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله
٩٦	٦١	وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله

٤	٦٢	قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً
٢٢	٨٥	ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط
٢٣	٨٧	قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك
٢٣ ، ٢٢ ، ٦	٨٨	قال يا قوم أرعيتم إن كنت على بينة من ربي
٢٧٨	١١٤	وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل
٣٦ ، ٢٦	١١٦	فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية
٢٧ ، ٦ ، ٣٦	١١٧	وما كان ربك ليهلك القرى بظلم

سورة يوسف

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٥	٩	اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً
٧	٥٢	ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب
١٨٨	١٠٨	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله

سورة الرعد

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٩ ، ٥ ، ١٧٨	٢٥-١٩	أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك كمن هو أعمى ..
٢٣٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧	٢٩-٢٨	الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله

سورة إبراهيم

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٨	٤	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
٩٧	١٨	مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشئتت
١٣٥	٤٤-٤٥	وأندر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ..

سورة الحجر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٠١	٣٩	قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض
١٠٢	٤٢	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان
٧١	٩٤	فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين

سورة النحل

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٢	٣٦	ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله
١٣٩	٥٨	وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً
٢٥١	٨٠	والله جعل لكم من بيوتكم سكناً
٢٤٦ ، ٩١ ، ٢٦٢	٩٧	من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى
٢١٥	١١	يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
٧ ، ٥	١٢٢	وآتيناه في الدنيا حسنة
١٨٩	١٢٥	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
٢٥٩	١٢٦	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عاقبتم به

سورة الإسراء

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦	٢٥	ربكم أعلم بما في نفوسكم
٢٢٣	٢٦-٢٧	وأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل
٢٢٣	٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
١٦٤	٣١	ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم

٧٨	٥٢-٤٩	وقالوا إذا كنا عظاماً ورفاتاً
رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧٩	٩٠	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً
٧٩	٩٣	أو يكون لك بيت من زخرف

سورة الكهف

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦	٨٢	وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
١٢٦ ، ٤٧	١٠٦-١٠٣	قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً
٢٧	١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ

سورة مريم

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٦	٤٢-٤١	واذكر في الكتاب إبراهيم
١٧	٤٥-٤٣	يا أبت إنني قد جاءني من العلم
١٠٨	٦٠-٥٩	فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة

سورة طه

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧٩	١٠٤-١٠٢	يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين
١٩٤ ، ١٥٢	١١٤	فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن
٧٩	١٢٦-١٢٥	قال رب لم حشرتني أعمى
٢٥٢ ، ١٦٧	١٣٢	وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها

سورة الأنبياء

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦٩	٢٢	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
٨٢	٤٧	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا
٣٩	٨٦	وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين
٦	٩٠	فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه
٢٦٥	١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر

سورة الحج

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٨٤	٢٩-٢٧	وأذن في الناس بالحج
٢٠٣	٣٠	ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له
١١٧	٣٨	إن الله يدافع عن الذين آمنوا
٢٧٣	٤١-٤٠	الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا
٩١	٧٧	يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا

سورة المؤمنون

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٠	٥١	يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً
١٣٠ ، ٦	١٠٠-٩٩	حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون

سورة النور

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٠٧	٣-٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
١٠٩ ، ١٠٨	٥-٤	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
٢١٣ ، ٢١٢	٢٥-٢٣	إن الذين يرمون المحصنات الغافلات
٢٠٨	٢٧	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم
٢٠٧	٣١-٣٠	قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا
١٤٤ ، ٥ ، ١٤٦	٣٢	وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم
١١٢ ، ٩٧	٣٩	والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة
٢٨٦	٤٨	وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم
٢٦٣ ، ٩٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦	٥٥	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
١٧٠	٥٩-٥٨	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم
٢٨٦	٦٣	فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم

سورة الفرقان

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٨	١	تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
٧٩	٨-٧	مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ..
١١٢	٢٣	وقدمنا إلى ما عملوا من عمل
٢٢٢ ، ٢٢١	٦٧	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا
٩٥ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٠٨	٧١-٦٨	والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر

سورة الشعراء

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٥	١٠٨-١٠٧	إني لكم رسول أمين
٨٥	٢٢٦-٢٢١	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين
٩٥	٢٢٧	الذين آمنوا وعملوا الصالحات

سورة النمل

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٣٩ ، ٧ ، ٥	١٩-١٨	حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة
١١٤	٣١-٣٠	إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٥٥	١٥	ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها
٥٥	١٦	قال رب إنني ظلمت نفسي
١١٩ ، ٥٥	١٧	قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون
٥٤	١٩-١٨	فأصبح في المدينة خائفاً يترقب
١٤٥ ، ٦	٢٧-٢٦	قالت إحداهما يا أبت استأجره
٢٦٣	٦١	أفمن وعدناه وعداً حسناً
١٢٧	٧٨	قال إنما أوتيته على علم عندي

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٢٧	٧٩	فخرج على قومه في زينته
١٢٧	٨١	فخسفنا به وبداره الأرض

سورة العنكبوت

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣	١٦	وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله
١٣	٣٦	وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله
٢٧٨	٤٥	اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة
٦	٥٨	والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
١٣٨	٦١	ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض

سورة الروم

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٦١	٢١	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً
٢٢٥	٣٩	وما أوتيتم من ربا ليربو في أموال الناس
٤٨	٤١	ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت

سورة لقمان

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٦٨	١٧-١٦	يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل
١٦٤	١٨-١٧	يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف

سورة السجدة

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣٤	١٣-١٢	ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ..
٢٤٨ ، ٢٤٧	١٧	فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
٨٥	٢٠-١٨	أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً

سورة الأحزاب

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٥٢	٣٣	وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى
١١٥	٣٥	والذاكرين الله كثيراً والذاكرات

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٨٦	٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله ...
٢٧١	٦٢	سنة الله في الذين خلوا من قبل

سورة سبأ

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٤	١١	أن اعمل سابغات وقدر في السرد
٢٤	١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
٢٣٥	١٧-١٥	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية
٤٠ ، ١٨	٢٨	وما أرسلناك إلا كافة للناس
١٢٨	٣٧	وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى ...

سورة فاطر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٢٦	٨	أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً
١١١	١٠	من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً
٨	١٨	ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى
١٩٥	٢٨	إنما يخشى الله من عباده العلماء
٨٢	٣٠	ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله
١٣٤	٣٦	والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
١٣٣	٣٧	وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً
٢٧١	٤٣	استكباراً في الأرض ومكر السيئ

سورة يس

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٣٢	٢٠	وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم
٣٢	٢٣-٢٢	ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون

سورة الصافات

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٤٦	٤٧	لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون
١٦٤	١٠٠	رب هب لي من الصالحين
١٦٤	١١٢	وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين
٢٧٢	١٧٣-١٧١	ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين

سورة ص

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٨٠	٤	وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون
٨٢ ، ٨٣ ، ٩٦	٢٨	أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
٨٣	٥٨-٥٧	هذا فليذوقوه حميم وغساق

سورة الزمر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٩٣	٩	قل هل يستوي الذين يعلمون
٢٣٦	٢٣	الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً
١٠١ ، ١٠٤ ، ٢٣٩	٥٣	قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم

سورة غافر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٣٣	٢٨	وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه
٣٣ ، ٣٤ ، ٩٠	٤٦-٣٨	يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع
٨٤	٥٨	وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا
١١٢	٦٠	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

سورة فصلت

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧٤	٤-١	حم * تنزيل من الرحمن الرحيم
٧٥	١٣	فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة
٧٧	٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
١٣١	٣٠	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
٣٤	٣٣	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
٣٥	٣٤	ولا تستوي الحسنة ولا السيئة

سورة الشورى

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٠١	٢٥	وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
٢٥٣	٤٠-٣٦	فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا

سورة الزخرف

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧٩	٣٠	ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر
١٣٤	٧٧	ونادوا يا مالک ليقض علينا ربك
١٣٨	٨٧	ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله

سورة الجاثية

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٨٥	١٥	من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها

سورة الأحقاف

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٦٥	١٥	ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً
١٦	٢١	واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف
١٩	٣٢-٢٩	وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن

سورة محمد

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٣ ، ٨٦ ، ٢٣٧	٢-١	الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
٨٧ ، ٨٥ ، ٢٤٦	١٢	إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
٢٤٦ ، ٨٧	١٥-١٤	أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء
٤٩	٢٢	فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض
٥٠	٣٠	ولو نشاء لأريناكنهم فلعرفتهم

سورة الفتح

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩٤	٢٩	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار

سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧ ، ٥ ، ٢٥٤ ، ١٧٣	١٠-٩	إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا
٢٥٦ ، ٢٥٥	١٢	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٥٥ ، ٨٢ ، ٢٦٢	١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
٩٠	١٤	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا

سورة الذاريات

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٧٦ ، ٢٤	٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

سورة الطور

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٧٦	٣٠	أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون

سورة الرحمن

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٤٣	٤٦	ولمن خاف مقام ربه جنتان

سورة الواقعة

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٤٦	١٩	لا يصدعون عنها ولا ينزفون
٢٤٧	٣٠	وظل ممدود

سورة الحديد

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣٢	١٢	يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم

سورة المجادلة

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٧٨	١٠-٩	يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا
١٩٣	١١	يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس .

سورة الحشر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦٦	٤-٢	هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب
٨٨	٢٠	لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة

سورة الصف

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٧١	٩-٨	يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم

سورة المنافقون

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣٢	١١	ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها

سورة الطلاق

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٩	١١	رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين

سورة التحريم

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٣٩	٤	إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما
١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٥١	٦	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

سورة نوح

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٥	٢-١	إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر
١٥	٥	قال ربي إنني دعوت قومي ليلاً ونهاراً
٢٣٣ ، ١١٣	١٢-١٠	فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً
١٦	٢٧-٢٦	وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ...

سورة المرسلات

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٤٦	١٥	ويل يومئذ للمكذبين

سورة الجن

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية
٨٥	١١	وإنا منا الصالحين ومنا دون ذلك
٢٣٤	١٦	وآلو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم

سورة التكويد

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
١٣٩	٨	وإذا الموعودة سئلت

سورة البئء

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
١١	١٠	وهءناه النءءءن

سورة التءن

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
٨٣	٦-٤	لقد خلقنا الإنسان فف أحسن تقوئم

سورة العلق

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
١٩٢	٥-١	اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان

سورة البءنة

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
٩١	٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم ءءر البرفة

سورة العصر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
٩٧ ، ٩٤	٣-١	والعصر ، إن الإنسان لفف ءسر

سورة الماعون

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
٢٩١	٥-٤	فوفل للمصلفن ، الذين هم عن صلاتهم ساهون

سورة النصر

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
٢٦٥	٣-١	إذا ءاء نصر الله والفتح

سورة المسء

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآفة
٧١ ، ١٨	٢-١	تبت فءا أبف لهب وتب

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
١٦٢	١. أبغض الحلال إلى الله الطلاق
٢٥٦	٢. أتدرون ما الغيبة
٢٠٦	٣. أتى برجل قد شرب الخمر
١٦٧	٤. أتيت إلى النبي ﷺ فقال ما اسمك
٧٣	٥. أتيت النبي ﷺ وهو متوسط بردة
٢١٦	٦. إذا التقى المسلمان بسيفيهما
١٠١	٧. إذا تقرب العبد إليّ شبراً
١٤٧	٨. إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه
١٧٧	٩. إذا حلفت على يمين
١١٠	١٠. إذا خلاص المؤمنون يوم القيامة من النار
٩٠	١١. إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
٢٦١	١٢. إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة
١٦٦	١٣. إذا مات الإنسان انقطع عمله
٢٧٨	١٤. أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً
٢٤٧	١٥. أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
٢٠٠ ، ٢٦٧	١٦. أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي
٣٢	١٧. أفضل الجهاد كلمة عدل
٢٠٠	١٨. إقامة حد بأرض خير لأهلها
٧٢	١٩. أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه
١٧٥	٢٠. ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام
٨٨	٢١. أما أهل النار الذين هم أهلها
٢٤٧ ، ١٢٣	٢٢. إن أهل الجنة يتراءون
٢٩٥ ، ١٨٦	٢٣. إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل
١٢٩	٢٤. إن الشيطان قال لن ينجو مني الغني
١١٩	٢٥. إن الله إذا أحب عبداً

الصفحة	طرف الحديث
١١٢	٢٦. إن الله حييٌ كريمٌ يستحيي إذا رفع الرجل
٢٦٤	٢٧. إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها
٢٣٥	٢٨. إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها
٢١١	٢٩. إن الله قد بعث محمداً بالحق
١٨٧	٣٠. إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة
٥٠	٣١. إن الله لا ينظر إلى أجسامكم
١٤٨	٣٢. إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم
٢٣٤	٣٣. إن الله ليملي للظالم
٩٧	٣٤. إن المؤمن إذا خرج من قبره
٢٨٨ ، ١٧٤	٣٥. إن المقسطين عند الله على منابر
١٨٤ ، ٣٧	٣٦. إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه
١٤٠	٣٧. إن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء
١٥٥	٣٨. إن امرأة أتته فقال ما حق الزوج على امرأته
١٨٢	٣٩. إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة
٢٦٠	٤٠. إن رجلاً من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق سرق درعاً
٢٤٨	٤١. أن رسول الله تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾
١٠٧	٤٢. إن عبداً أصاب ذنباً
٢٤٦	٤٣. إن في الجنة بحر الماء
٢٤٧	٤٤. إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة
٢٠١	٤٥. إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت
١٢٦	٤٦. إن لله عبداً من عبيده عبد الله
٢٨	٤٧. أنا أغنى الشركاء عن الشرك
١٦٦	٤٨. إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم
٢٧٩	٤٩. إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي
١٧٦	٥٠. إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ
١٤٩	٥١. إنما الدنيا متاع

٥٢. إنه خطب بعرفات ببطن الوادي

١٥٧

طرف الحديث

الصفحة

٥٣. إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ١٢٧
٥٤. إنها بعثت إلى رسول الله ﷺ بقدر من لبن ٢١
٥٥. إنهم قالوا لما استمعوا إلى قراءة أبي بكر ٧٧
٥٦. إني فقير ليس لي شيء ولي يتيم ٢٢٤
٥٧. إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً ١٠٥
٥٨. أي النساء خير ١٥٣ ، ١٤٩
٥٩. إياكم والظن ٢٥٦
٦٠. آية المنافق ثلاث ٥٣
٦١. أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ٢١
٦٢. اتق الله حيثما كنت ١٠٢
٦٣. اتق دعوة المظلوم ٢٦١
٦٤. اجتنبوا السبع الموبقات ٢١٣
٦٥. اضمنوا لي ستاً من أنفسكم ٢٠٨
٦٦. اعدلوا بين أبنائكم ١٦٩
٦٧. الأكثرون مالاً هم الأقلون يوم القيامة ١٢٨
٦٨. الأنبياء أخوة من علات ١٧-١٣
٦٩. الجارية ينكحها أهلها ١٤٦
٧٠. الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل ٢٨٠
٧١. القضاة ثلاثة ٢٨٩
٧٢. اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً ٢٠٣
٧٣. المؤمن القوي الذي يخالط الناس ٩٨
٧٤. المؤمن للمؤمن كالبنيان ١٨١
٧٥. المؤمن يأكل في معي واحد ٨٦
٧٦. المسلم أخو المسلم ٢٥٦ ، ٢١٤
٧٧. المسلم إذا كان مخالطاً للناس ٢٥٧

٧٨. انصر أخاك ظالماً
١٧٩
٧٩. بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً
٢٧٢

طرف الحديث الصفحة

٨٠. بني الإسلام على خمس
٢٧٦
٨١. بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة
٢٩١
٨٢. بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي
٢٩٢
٨٣. تخيروا لنطفكم
١٥٠
٨٤. تزوجوا الودود الولود
١٥١
٨٥. تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم
٢٧١
٨٦. تقبل توبة العبد ما لم يغرغر
١٠٩
٨٧. تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً
٢٠١
٨٨. تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون
٢٧٢
٨٩. تتكح المرأة لأربع
١٥٠ ، ١٤٨
٩٠. ثلاث وددت أن رسول الله لم يفارقنا
٢٢٦
٩١. ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين
١٩
٩٢. جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار
٤٣
٩٣. جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور
٧٣
٩٤. جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها
١٤٦
٩٥. جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة
٢٨٥
٩٦. خرج رسول الله على حلقه من أصحابه فقال : ما أجلسكم؟
٢٣٦
٩٧. رأيت الليلة رجلين أتياي فأخرجاني إلى أرض مقدسة
٢٢٨
٩٨. رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه
١٣٨
٩٩. رأيت ليلة أسري بي على أبواب الجنة
٢٢٨
١٠٠. رخص رسول الله في أمره فتنزه عنه ناس من الناس
١٨٩
١٠١. رسول الله قرأ يوماً هذه الآية ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾
٢٤٣
١٠٢. رفع عن أمتي الخطأ والنسيان
٩٩
١٠٣. سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة
٢٤٨

- ١٧٠ . ١٠٤ . سألت أُمِّي بعض المواهب لي
 ٩٦ . ١٠٥ . سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل
 ٢٨٨ . ١٠٦ . سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله

الصفحة

طرف الحديث

- ١٧٨ . ١٠٧ . سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم
 ٦٩ . ١٠٨ . سمعت رسول الله ﷺ يقرأ اتخذوا أحبارهم
 ٢٧٠ . ١٠٩ . شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة
 ١٨ . ١١٠ . سعد النبي ﷺ على الصفا
 ٧١ . ١١١ . سعد على الصفا فجعلت ينادي يا بني فهر
 ٢٧٩ . ١١٢ . صلاة الرجل في جماعة
 ٢٠٩ . ١١٣ . صنفان من أهل النار لم أرهما
 ٢٠٢ . ١١٤ . طاف بالبيت وصلى ثم لف رداءً له من بُرد فوضعه
 ١٩٣ . ١١٥ . طلب العلم فريضة
 ٢٣٩ . ١١٦ . عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير
 ٣١ . ١١٧ . عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط
 ١٧١ . ١١٨ . فكنت أدخل بغير استئذان
 ٢٣٤ . ١١٩ . فوالله لا الفقر أخشى عليكم
 ٢٤٤ . ١٢٠ . قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل
 ١٠٢ . ١٢١ . قدم على النبي ﷺ سبي
 ٢٧٨ . ١٢٢ . قم يا بلال فأرحنا بالصلاة
 ١٥ . ١٢٣ . كان بين آدم ونوح عشرة قرون
 ١٦٢ . ١٢٤ . كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه
 ١٠٥ . ١٢٥ . كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً
 ١٧٥ . ١٢٦ . كل سلامى من الناس عليه صدقة
 ٢٠٣ . ١٢٧ . كل مخمر خمرة
 ٢٥٣ ، ١٦٦ . ١٢٨ . كلكم راع ومسئول عن رعيته
 ٢٢٢ . ١٢٩ . كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف

- ١٢٢ .١٣٠. كنت أبيت عند رسول الله ﷺ فأتيته بوضوءه
- ١٦٨ .١٣١. كنت رديف النبي ﷺ على دابة
- ٢٧٨ .١٣٢. كنت عند النبي فجاءه رجل فقال يا رسول الله إني أصبت حداً
- ١٧٥ .١٣٣. لا تباغضوا ولا تحاسدوا

الصفحة

طرف الحديث

- ١٧٠ .١٣٤. لا تدعو على أنفسكم
- ٢٧١ .١٣٥. لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق
- ١٤٩ .١٣٦. لا تزوجوا النساء لحسنهن
- ٢٢٢ .١٣٧. لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل
- ١٤٧ .١٣٨. لا تتكح البكر حتى تستأذن
- ١٨٢ .١٣٩. لا يحقرن أحدكم نفسه
- ٢١٤ .١٤٠. لا يحل دم امرئ مسلم
- ٢٥٤ .١٤١. لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ
- ٢٠٨ .١٤٢. لا يخلون رجل بامرأة
- ٢٣٤ .١٤٣. لا يزيد في العمر إلا البر
- ١١٦ .١٤٤. لا يغني حذر من قدر
- ١١٠ .١٤٥. لتؤذن الحقوق إلى أهلها
- ٢١٤ .١٤٦. لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم
- ٢٢٨ .١٤٧. لعن رسول الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه
- ١٠٨ .١٤٨. لله أشد فرحاً بتوبة عبده
- ١٥٧ .١٤٩. لم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل
- ٦٢ .١٥٠. لو آمن بي واتبعني وصدقني عشرة من اليهود
- ٢٣٣ .١٥١. لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
- ١٥٣ .١٥٢. لو كنت امرأةً أحد أن يسجد لأحد
- ٢٦٩ ، ٤٠ .١٥٣. ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار
- ١٤٤ .١٥٤. ليتخذ أحدكم قلباً شاكرًا
- ١٧٧ .١٥٥. ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس

١٥٦. ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ٢٠٤
 ١٥٧. ما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة ١٩١
 ١٥٨. ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له ١٤٤
 ١٥٩. ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة ١١٦
 ١٦٠. ما من أمير يلي أمر المسلمين ١٧٤

الصفحة

طرف الحديث

١٦١. ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها ٢٤٤
 ١٦٢. ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه ٢٩٢
 ١٦٣. ما نحل والد ولداً من نحل ١٦٧
 ١٦٤. ما يسرني أن لي أحداً ذهباً تأتي على ثلاثة ٢٩٢
 ١٦٥. ما يصيب المؤمن من وصب ٢٣٨
 ١٦٦. متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ٢٨٨
 ١٦٧. مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ٢٩٥ ، ٢٥٧ ، ٣٨
 ١٦٨. مثل المؤمنين في توادهم ١٨٠ ، ١٨١ ،
 ٢٥٤
 ١٦٩. مر رجل على رسول الله ﷺ فقال ما تقولون في هذا ٨١
 ١٧٠. مروا الصبي بالصلاة ١٦٧
 ١٧١. من توضعاً نحو وضوئي هذا ٢٤٤
 ١٧٢. من جرح في جسده جراحةً فتصدق بها ٢١٧
 ١٧٣. من حج لله فلم يرفث ولم يفسق ٢٨٤ ، ٢٤٤
 ١٧٤. من رأى منكم منكراً فليغيره ٢٨٥ ، ١٨٢
 ١٧٥. من سره أن يبسط له في رزقه ٢٣٤
 ١٧٦. من عادى لي ولياً ٢٧٦ ، ١٠٠
 ١٧٧. من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ٢٤٧
 ١٧٨. من قتل تحت راية عمية ٢١٥
 ١٧٩. من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما ١٦٢
 ١٨٠. من لزم الاستغفار ١١٥

٢٨٠. ١٨١. من لم يدع قول الزور والعمل به
 ٢٨٦. ١٨٢. نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط
 ١٥٠. ١٨٣. نساء قریش خیر نساء رکن الإبل
 ١٥٠. ١٨٤. هل نکحت یا جابر
 ١٩١. ١٨٥. وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
 ٢٩٣. ١٨٦. وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين
 ٢٧٣. ١٨٧. وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض

الصفحة

طرف الحديث

١٩. ١٨٨. والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي
 ١٨٥ ، ١١٥. ١٨٩. والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
 ٢٤٠. ١٩٠. والذي نفسي بيده لو أخطأتم
 ١٥٤. ١٩١. والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته
 ٢٩٣. ١٩٢. وما لم تحکم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا
 ١٣١. ١٩٣. ويل لأهل المعاصي من أهل القبور
 ١٨٨. ١٩٤. يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب
 ١٧٥. ١٩٥. يا أبا أيوب ألا أدلكم على صدقة يحبها الله ورسوله
 ٢٥٥. ١٩٦. يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد
 ١٤١. ١٩٧. يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية
 ٢١٠. ١٩٨. يا رسول الله إن ابني كان عسيفاً
 ١٤٢. ١٩٩. يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت
 ١١٤. ٢٠٠. يا رسول الله ادع الله أن يجعلني
 ٢٥٩. ٢٠١. يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
 ٢٧٠. ٢٠٢. يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها
 ٢٠٨. ٢٠٣. يا علي لا تتبع النظرة النظرة
 ٢٠٩. ٢٠٤. يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن
 ١٨٢. ٢٠٥. يد الله مع الجماعة
 ٣١. ٢٠٦. يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم

ثالثاً : فهرس الأعلام

رقم الصفحة	اسم العلم	الرقم
١٤٤	أبو أمامة البلوي	١-
١٢٨	أبو ذر الغفاري	٢-
٢٨٦	أسامة بن زيد بن حارثة	٣-
١٤٦	أمينة بنت أنس بن مالك	٤-
٢٦٩	تميم بن أوس الداري	٥-
٢٢٨	جابر بن عبد الله بن عمرو	٦-
٦٧	جعفر بن أبي طالب	٧-
١٨٥ ، ١١٥	حذيفة بن اليمان	٨-
٢٧٠	خباب بن الأرت	٩-
١٦٠	رافع بن خديج	١٠-
١٢٢	ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي	١١-
٢١٠	زيد بن خالد الجهني المدني	١٢-
١١٤	سعد بن أبي وقاص	١٣-
١٦٠	سعيد بن المسيب بن حزن	١٤-
١١٢	سلمان الفارسي	١٥-
١٥٩	سودة بنت زمعة	١٦-
٢١	شداد بن أوس الأنصاري	١٧-
١١٦	عبادة بن الصامت	١٨-
١٢٢	عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري	١٩-
١٢٨	عبد الرحمن بن عوف	٢٠-
٢٧٠ ، ٧٠	عدي بن حاتم الطائي	٢١-
١٨٦	عدي بن عميرة الكندي	٢٢-
١٤٠	عروة بن الزبير بن العوام الأسدي	٢٣-
١٣٨	عمر بن لحي بن حارثة	٢٤-
١٦١	عمران بن حطان السدوسي	٢٥-

رقم الصفحة	اسم العلم	الرقم
٦٧ عمرو بن أمية الضمري	- ٢٦
١٧٥ عويمر بن زيد قيس الأنصاري	- ٢٧
٢٦٠ قتادة بن النعمان	- ٢٨
١٦٠ محمد بن مسلمة الأنصاري	- ٢٩
١٥١ معقل بن يسار المزني	- ٣٠
٢٤٨ المغيرة بن شعبة	- ٣١
١٢٨ موسى بن نافع الأسدي	- ٣٢
١٧٠ ، ٣٩ النعمان بن بشير الأنصاري	- ٣٣

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

١. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ ، دار الفكر .
٢. أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بأبن العربي المتوفى ٥٤٣هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .
٣. أحكام النساء لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٤. أسباب النزول للإمام الشيخ أبي الحسن الواحدي النيسابوري ، المتوفى ٤٦٨هـ ، تحقيق الدكتور السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
٥. إسلامنا ، السيد سابق ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
٦. إصلاح الوعظ الديني ، محمد عبد العزيز الخولي ، المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الخامسة ١٣٨٠هـ-١٩٦١م .
٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، المتوفى ١٣٩٣هـ ، وتنتمه لتلميذه عطية محمد سالم ، اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العاللي دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
٨. أهداف الأسرة في الإسلام ، حسين محمد يوسف ، دار الإصلاح ، ودار الاعتصام ، بدون طبعة .
٩. أوجز التفاسير من تفسير ابن كثير للحافظ عماد الدين بن كثير المتوفى ٧٧٤هـ ، اختصار الشيخ خالد عبد الرحمن العك ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، دار ابن عصا ، دمشق ، دار البشائر .
١٠. إيجاز البيان عن معاني القرآن ، محمود بن أبي الحسن النيسابوري المتوفى ٥٥٣هـ دراسة وتحقيق الدكتور علي بن سليمان العبيد ، مكتبة التوبة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
١١. أيسر التفاسير لعلام العلي الكبير ، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير ، لأبي بكر الجزائري ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ، مكتبة أضواء المنار ، الناشر محمد الخولي .

١٢. الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
١٣. الأدب المفرد محمد بن إسماعيل البخاري ، تأليف فضل الله الجيلاني ، المكتبة السلفية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .
١٤. الإسلام ، سعيد حوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
١٥. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفى ١٥٠هـ ، تحقيق د. عبد الله محمود شحاته ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
١٦. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ، دكتور محمد ياسين ، ط٣ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
١٧. الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع ، للدكتور محمد الشرقاوي ، دار الجيل بيروت ، مكتبة الزهراء بحرم جامعة القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
١٨. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى ٧٥٤هـ ، دار الفكر ، بدون طبعة .
١٩. البداية والنهاية للإمام الحافظ بن كثير المتوفى ٧٧٤هـ ، اعتنى بها عبد الرحمن اللادقي ، ومحمد غازي بيضون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
٢٠. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي ، توفي ٧٩٤هـ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
٢١. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، بدون طبعة .
٢٢. التسهيل لتأويل التنزيل تفسير سورة آل عمران في سؤال وجواب ، تأليف أبي عبد الله مصطفى العدوي ، دار ابن رجب ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
٢٣. التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد الكلبي ، ضبطه محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
٢٤. التعريفات للجرجاني لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

٢٥. التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .
٢٦. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ، المتوفى ٦٠٤هـ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٢٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
٢٨. التفسير الواضح ، د. محمد حجازي ، دار التفسير للطباعة والنشر ، بدون طبعة .
٢٩. التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، إعداد بسام رشدي الزين ، إشراف محمد عدنان سالم ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .
٣٠. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ ، تحقيق أحمد بن محمد آل نبعة ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٣١. الرسل والرسالات ، د. عمر الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، الطبعة الثامنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
٣٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
٣٣. الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف للدكتور يوسف القرضاوي شوال ١٤٠٢هـ ، بدون طبعة .
٣٤. العقائد الإسلامية للسيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
٣٥. الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
٣٦. الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
٣٧. القصص القرآني ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، بدون طبعة .
٣٨. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعة .

- ٣٩ . الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي المتوفى ١٠٩٤هـ - ٦٨٣م ، القسم الثالث ، دار الكتاب الإسلامي ط ٢ ، ٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٤٠ . المجتمع المسلم كما يبينه الإسلام في الكتاب والسنة للدكتور محمد علي هاشمي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ٤١ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي المتوفى ٥٤٦هـ ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- ٤٢ . المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تأليف علي بن إسماعيل بن سيدة ، توفي ٤٥٨هـ ، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، ط ١ ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م نشرته شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٤٣ . المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله النيسابوري ، المتوفى ٤٠٥هـ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- ٤٤ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المتوفى ٧٧٠هـ ، ط ٣ ، المطبعة الأميرية بمصر ١٩١٢م .
- ٤٥ . المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط ٢ ، بدون تاريخ .
- ٤٦ . المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم في الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- ٤٧ . الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ، مكتبة المتنبّي ، القاهرة ، بدون طبعة .
- ٤٨ . النبوة والأنبياء ، دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ، محمد علي الصابوني ، بدون تاريخ .
- ٤٩ . النكت والعيون ، تفسير الماوردي ، لأبي حسن الماوردي البصري المتوفى ٤٥٠هـ تعليق السيد بن عبد المقصود ، مؤسسة الكتب الثقافية .
- ٥٠ . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير المتوفى ٦٠٦هـ ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناجي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٥١. انظر هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب ، لأبي بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، ومكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
٥٢. بحوث في التربية الإسلامية دكتور عبد الرحمن النقيب ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
٥٣. بصائر لذوي التمييز للفيروزآبادي ، المكتبة العلمية .
٥٤. تبصير المؤمنين ، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم للدكتور علي محمد الصلابي ، مكتبة الصحابة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
٥٥. تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم الجوزية المتوفى ٧٥٢هـ ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٥٦. تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام ، الطبعة الثلاثون ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
٥٧. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة أبي السعود العمادي المتوفى ٩٥١هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
٥٨. تفسير الشعراوي ، للشيخ محمد متولي الشعراوي ، أخبار اليوم ، قطاع الثقافة .
٥٩. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، حقه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، المتوفى ١٣٣٢هـ-١٩١٤م ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
٦٠. تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن كثير ، المتوفى ٧٧٤هـ ، تحقيق مصطفى السيد محمد ، محمد السيد رشاد ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٦١. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسني .
٦٢. توضيح العقائد في علم التوحيد ، عبد الرحمن الجزيري ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الإرشاد .
٦٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن السعدي ، المتوفى ١٣٧٦هـ ، تحقيق محمد زهري النجار ، الرياض ، الرئاسة العامة لإرادات البحوث العلمية ، والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤١٠هـ .

٦٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار ابن حزم ، دار الإعلام ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٦٥. جمهرة اللغة لابن دريد ، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ، توفي ٣٢١هـ ، دار صادر ، ط ١ ، في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٥هـ .
٦٦. حاشية الشهاب المسماة غاية القاضي وكفاية الراضي ، للقاضي شهاب الدين أحمد الخفاجي .
٦٧. حجة الله البالغة للشيخ أحمد الدهلوي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٦٨. خلق المسلم ، محمد الغزالي ، دار القلم ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٦٩. دراسة في السيرة ، د. عماد الدين خليل ، دار النفائس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة عشر ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٧٠. دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، د. محمد بيومي مهران أستاذ تاريخ مصر والشرق القديم ، ١٩٩٥م ، دار المعرفة الجامعية .
٧١. روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن للشيخ محمّد علي الصابوني ، دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٧٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين الألوسي المتوفى ١٢٧هـ ، دار الفكر ، بيروت ، بدون طبعة .
٧٣. زهرة التفاسير للإمام محمد أبو زهرة المتوفى ١٩٧٤م ، دار الفكر ، بدون طبعة .
٧٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٧٥. سنن أبي داود للحافظ أبي داود المتوفى ٢٧٥هـ ، تحقيق عبد القادر الخير ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٧٦. سنن ابن ماجة للإمام أبي الحسن السندي ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيجا ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٧٧. سنن الترمذي الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن سورة ، تحقيق د. مصطفى الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٧٨. سنن الدارمي للإمام الدارمي ، تحقيق د. مصطفى البيغا ، دار القلم ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
٧٩. صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد البخاري المتوفى ٢٥٦هـ ، حقق أصولها الشيخ عبد العزيز بن باز ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .
٨٠. صحيح الترغيب والترهيب ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٨١. صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٨٢. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ ، علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م .
٨٣. صحيح وسنن ابن ماجة ، تأليف محمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .
٨٤. عمدة الحفاظ في تيسير أشرف الألفاظ (معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم) ، صنفه الشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى ٧٥٦هـ ، حققه وعلق عليه د. محمد التونجي عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
٨٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد آبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعة .
٨٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ ، اعتنى به وراجعته يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
٨٧. فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين مصطفى بن العدوي ، دار بن رجب ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
٨٨. في ظلال القرآن سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية السابعة عشر ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
٨٩. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للفقهاء المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني ، تحقيق عبد العزيز سيدي لأهل ، ط ٣ ، مايو ١٩٨٠م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

٩٠. كتاب الشريعة للأجري الشافعي المتوفى ٣٦٠هـ ، تحقيق مكتب التحقيق في مؤسسة الريان ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٩١. كتاب المُعَرَّب في ترتيب المُعَرَّب للإمام أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الفقيه الحنفي الخوارزمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ولد سنة ٥٣٨هـ ، وتوفي سنة ٦١٦هـ .
٩٢. كشف اصطلاحات الفنون ، تأليف الشيخ العلامة محمد علي بن علي التهانوي الحنفي ، المتوفى بعد سنة ١١٥٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
٩٣. كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد المتوفى ٨٨٧هـ ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون طبعة .
٩٤. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، خرج أحاديثه محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
٩٥. لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف .
٩٦. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، السيد أبي الحسن الندوي ، دار القلم ، الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .
٩٧. مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية محمد عبد الوهاب ، دار الفكر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ .
٩٨. مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع ، تأليف محمد بن جميل زينو ، دار الصميعة للنشر والتوزيع ، بدون طبعة .
٩٩. مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة ، إعداد عدنان صالح باحارث ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
١٠٠. مسند الإمام أحمد الموسوعة الحديثية ، المشرف على إصدارها الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، والمشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ، مؤسسة الرسالة .
١٠١. مسند عبد بن حميد ، لعبد ابن حميد بن نصر الكسي المتوفى ٢٤٩هـ ، دار النشر مكتبة السنة ، القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، الطبعة الأولى ، تحقيق صبحي البدري السامرائي ، ومحمود الصعيدي .

١٠٢. مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية للدكتور عباس مدني ، مكتبة المنارة ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
١٠٣. مع الأنبياء في القرآن الكريم ، د. عفيف طيارة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان الطبعة الرابعة .
١٠٤. معارج التفكير ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
١٠٥. معالم التنزيل في التفسير والتأويل للبغوي المتوفى ٥١٠هـ ، دار الفكر ، بدون تاريخ .
١٠٦. معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، عبد الوهاب الديلمي ، دار المجتمع السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
١٠٧. معجم البلدان للشيخ شهاب الدين البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
١٠٨. معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، المتوفى ٥٠٣هـ ، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين ، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٠٩. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ .
١١٠. مفتاح دار السعادة ومنشورات إرادة أهل العلم والإرادة لابن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ ، تحقيق علي بن حسن الأثري ، راجعه الشيخ بكر بن عبد الله ، دار بن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
١١١. مقدمة في التربية الإسلامية للدكتور محمود خليل أبو دف ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
١١٢. من هدى سورة النساء حنان لحام ، دار الهدى ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
١١٣. منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ، دار الكتب السلفية ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .
١١٤. منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع للدكتور عبد الحلیم محمود ، دار الرشاد ، بدون طبعة .
١١٥. نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان للدكتور سيد بن حسين العفاني ، مكتبة معاذ بن جبل ، الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

١١٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعي المتوفى ٨٨٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
١١٧. إنترنت موقع مؤسسة البلاغ www.balagh.com .
١١٨. مجلة الأزهر ، الجزء الحادي عشر ، السنة التاسعة والخمسون ، ذي القعدة ١٤٠٧هـ- يوليو ١٩٨٧م .
١١٩. مجلة الإسراء ، العدد الثاني والعشرون ، محرم - صفر - ١٤٢٠هـ .
١٢٠. مجلة الاعتصام ، جمهورية مصر العربية ، العدد ٢٥ .
١٢١. مجلة البحوث الإسلامية ، العدد التاسع ، ص ٢٦٥ ، صلاحية التشريع الإسلامي ، د. عبد الله بن محمد العجلان .
١٢٢. مجلة البيان ، السنة السابعة عشر ، العدد ١٨٣ .
١٢٣. مجلة البيان ، العدد السابع والخمسون ، جمادى الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
١٢٤. مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) أثر الحج في النفس والمجتمع للدكتور عبد الرحمن بله علي ، العدد الثاني ، السنة الحادية عشرة ، ذي الحجة ١٣٩٨هـ .
١٢٥. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، المسؤولية بين الفرد والمجتمع ، الشيخ محمد أبو فرحة ، العدد الثاني ، السنة الرابعة شوال ١٣٩١هـ- نوفمبر ١٩٧١م .
١٢٦. مجلة الرابطة ، دور المرأة المسلمة في رعاية الطفل ، للدكتورة سميرة محمود ، العدد ٤٣٦ ، السنة ٣٩ صفر ١٤٢٢هـ مايو ٢٠٠١م .
١٢٧. مجلة الصراط ، العدد السابع ، السنة الأولى ربيع أول ١٤٠٧هـ - تشرين الثاني ١٩٨٦م .
١٢٨. مجلة النور ، الربا وأثره في حياة المجتمعات ، صلاح شاهين ، العدد الأول محرم ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .
١٢٩. مجلة الوعي الإسلامي ، السنة السابعة عشر ، العدد ١٩٦ ، ربيع الثاني ١٤٠١هـ - فبراير ١٩٨١م .
١٣٠. مجلة سلسلة البحوث الإسلامي ، السنة الثامنة ، العدد ٨٢ ، ذو القعدة سنة ١٣٩٦هـ - نوفمبر سنة ١٩٧٦م ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، الدعاء ، تأليف د. محمد طنطاوي .
١٣١. مجلة منبر الإسلام ، أصول العدالة في الإسلام للدكتور طه عبد السلام خضير ، العدد السادس ، أكتوبر ١٩٩٨م ، السنة ٥٧ .

١٣٢. مجلة نور اليقين ، العدد ٩٨ ، ربيع ثاني ١٤١٨هـ .
١٣٣. مجلة هدى الإسلام ، العدد الثاني ، السنة الثانية عشرة ، ربيع أول / ربيع ثاني ١٤١٤هـ - آب / أيلول ١٩٩٣م .
١٣٤. مجلة هدى الإسلام ، روابط المجتمع كما يرسمها الإسلام (كلمة العدد) العدد السادس جمادى الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
١٣٥. منبر الإسلام ، العدد ٢ السنة ٥٤ ، صفر ١٤١٦هـ - يوليو ١٩٩٥م .
١٣٦. منبر الإسلام ، العدد ٤ ، السنة ٤٥ ، ربيع الآخر ١٤٠٧هـ- ديسمبر ١٩٨٦م .
١٣٧. منبر الإسلام ، العدد ٩ ، السنة ٤٢ ، رمضان ١٤٠٤هـ-يونيو ١٩٨٤م .

خامساً : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١	التمهيد
٢	المسألة الأولى : مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح
٢	أولاً : الإصلاح في اللغة
٤	ثانياً : الإصلاح في الاصطلاح
٥	المسألة الثانية : وجوه الإصلاح في القرآن
٥	* وجوه مادة الإصلاح
٧	المسألة الثالثة : نظائر مصطلح الصلاح
٩	الفصل الأول
	إصلاح الفرد في السياق القرآني
١٠	المبحث الأول : الإصلاح دعوة جميع الأنبياء ومواقف الناس من الدعوة إلى الإصلاح
١١	المطلب الأول : الإصلاح دعوة جميع الأنبياء
١١	المسألة الأولى : دعوة الرسل إلى إصلاح العقيدة عند الفرد
١٥	- نوح عليه السلام
١٦	- إبراهيم عليه السلام
١٧	- رسالة النبي ﷺ
١٩	- اختلاف الشرائع
٢٠	المسألة الثانية : دعوة الرسل إلى إصلاح الأعمال
٢٢	- نماذج من دعوات الأنبياء إلى إصلاح الأعمال
٢٢	أولاً : شعيب عليه السلام
٢٤	ثانياً : داود عليه السلام
٢٥	ثالثاً : موسى عليه السلام
٢٦	رابعاً : محمد ﷺ
٣٠	المطلب الثاني : مواقف الناس من الدعوة إلى الإصلاح
٣٠	المسألة الأولى : المؤمنون وتجاوبهم مع دعوة الإصلاح

رقم الصفحة	الموضوع
٤٤	المسألة الثانية : المنافقون وادعائهم للإصلاح
٥٤	المسألة الثالثة : اتهام أهل الباطل أهل الحق بعدم الإصلاح
٥٧	المسألة الرابعة : أهل الكتاب وموقفهم من الإصلاح
٥٧	تمهيد
٥٧	أولاً : موقف اليهود من دعوة الإصلاح
٥٨	الأول : فساد اليهود الاعتقادي
٦٣	الثاني : فساد اليهود السلوكي
٦٧	ثانياً : موقف النصارى من دعوة الإصلاح
٦٨	الأول : فساد النصارى الاعتقادي
٧٠	الثاني : فساد النصارى السلوكي
٧١	المسألة الخامسة : المشركون وموقفهم من دعوة الإصلاح
٨١	المسألة السادسة : التفريق بين المصلحين والمفسدين سنة إلهية
٨٩	المبحث الثاني : الإصلاح وأثره في علاقة العبد بربه
٩٠	المطلب الأول : ارتباط الإيمان بالعمل الصالح
٩٤	- القسم الأول : ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالجزاء
٩٥	- القسم الثاني : ارتباط الإيمان والعمل الصالح بأعمال أخرى
٩٩	- أقسام العمل الصالح
٩٩	- القسم الأول : الواجب
٩٩	- القسم الثاني : النوافل
١٠١	المطلب الثاني : العمل الصالح شرط من شروط التوبة وغفران الذنوب
١٠٨	- وقت قبول التوبة
١١١	المطلب الثالث : دور العمل الصالح في إجابة الدعاء وقبول الأعمال
١١٧	- شروط إجابة الدعاء
١١٧	المطلب الرابع : الصالحون أولياء الله
١٢٤	المبحث الثالث : حال المقصرين في عمل الصالحات
١٢٥	المطلب الأول : اغترار المقصرين بأعمالهم في الحياة الدنيا
١٢٥	أولاً : اغترار المقصرين بالعمل الصالح

- ١٢٦ ثانياً : اغترار المقصرين بعملهم السيء
- ١٣٠ **المطلب الثاني** : تمني المقصرين العمل الصالح عند الاحتضار
- ١٣٣ **المطلب الثالث** : تمني المقصرين العود إلى الدنيا لعمل الصالحات
- ١٣٦ **الفصل الثاني**
- إصلاح المجتمع في السياق القرآني**
- ١٣٧ **التمهيد** : واقع الأمة العربية قبل البعثة وبعدها
- ١٣٨ أولاً : واقع الأمة العربية قبل البعثة
- ١٣٨ - الشق الأول : انحراف في العقيدة
- ١٣٩ - الشق الثاني : انحراف في السلوك والأخلاق
- ١٤١ ثانياً : واقع الأمة العربية بعد البعثة
- ١٤٣ **المبحث الأول** : دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة
- ١٤٤ **المطلب الأول** : اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح
- ١٤٨ - بواعث الزواج
- ١٤٨ أولاً : الدين
- ١٤٩ ثانياً : الجمال
- ١٤٩ ثالثاً : نكاح البكر
- ١٥٠ رابعاً : أن تكون المرأة حسيبة
- ١٥٠ خامساً : أن تكون المرأة حانية على الصغار محافظة على مال زوجها
- ١٥١ سادساً : أن تكون المرأة ولوداً
- ١٥١ سابعاً : الاغتراب في الزواج
- ١٥١ **المطلب الثاني** : الإصلاح في نشوز المرأة
- ١٥١ - النشوز في اللغة
- ١٥٢ - النشوز في الاصطلاح
- ١٥٤ من مظاهر نشوز المرأة
- ١٥٤ من أسباب نشوز المرأة
- ١٥٥ طرق علاج النشوز بين الزوجين
- ١٥٥ أولاً : الوعظ

رقم الصفحة

الموضوع

- ١٥٦ ثانياً : الهجر في المضاجع
- ١٥٦ ثالثاً : الضرب غير المبرح
- ١٥٨ رابعاً : التحكيم بين الطرفين
- ١٥٩ **المطلب الثالث** : الإصلاح في علاج نشوز الرجل
- ١٦٠ أسباب نشوز الرجل من المرأة
- ١٦٣ **المطلب الرابع** : دور الآباء والأمهات في إصلاح الأبناء وتربيتهم
- ١٦٦ من الآداب الحسنة التي ينبغي مراعاتها في تربية الأبناء
- ١٦٦ أولاً : تسمية الأبناء بأسماء حسنة
- ١٦٧ ثانياً : التعليم
- ١٦٨ ثالثاً : مراقبة الله
- ١٦٩ رابعاً : التأديب
- ١٦٩ خامساً : العدل بين الأبناء
- ١٧٠ سادساً : النهي عن الدعاء على الأبناء
- ١٧٠ سابعاً : تعليم الأبناء آداب الاستئذان
- ١٧٢ **المبحث الثاني** : دعوة القرآن إلى إصلاح المجتمع
- ١٧٣ **المطلب الأول** : وجوب الإصلاح بين المسلمين الممتازين
- ١٧٦ وسائل الإصلاح بين المسلمين
- ١٧٦ أولاً : تحكيم الشريعة الإسلامية
- ١٧٦ ثانياً : تقوى الله سبحانه وتعالى
- ١٧٦ ثالثاً : جواز الكذب للمصلحين بين الناس
- ١٧٧ رابعاً : الصبر على أذى الناس
- ١٧٨ خامساً : تنازل أصحاب الحقوق عن شيء من حقوقهم للإصلاح
- ١٧٨ سادساً : المناجاة في الخير
- ١٧٩ سابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١٧٩ ثمار الإصلاح بين الناس
- ١٨٠ **المطلب الثاني** : الإصلاح صيانة للمجتمع من الفرقة والاختلاف
- ١٨٢ **المطلب الثالث** : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

رقم الصفحة

الموضوع

- ١٨٨ ضوابط التغيير - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١٩٠ **المطلب الرابع** : الأخذ بأسباب القوة
- ١٩٠ أولاً : الأمن الداخلي
- ١٩١ ثانياً : الأمن الخارجي
- ١٩٢ **المطلب الخامس** : إصلاح المناهج والتعليم
- ١٩٧ **المبحث الثالث** : الإصلاح التشريعي والمالي
- ١٩٨ **المطلب الأول** : الإصلاح التشريعي
- ١٩٩ **المسألة الأولى** : تحريم السرقة وحدها
- ١٩٩ أولاً : تحريم السرقة
- ٢٠٠ ثانياً : حد السرقة
- ٢٠١ - نصاب السرقة
- ٢٠٢ **المسألة الثانية** : تحريم الخمر ومشروعية حد شارب الخمر
- ٢٠٥ - حد شارب الخمر
- ٢٠٧ **المسألة الثالثة** : تحريم الزنا ومشروعية حد الزنا وحد القذف
- ٢٠٧ أولاً : تحريم الزنا
- ٢٠٩ ثانياً : حد الزنا
- ٢١٢ ثالثاً : حد القذف
- ٢١٣ **المسألة الرابعة** : تحريم القتل ومشروعية القصاص
- ٢١٦ - مشروعية القصاص
- ٢١٧ **المسألة الخامسة** : حد الحرابة
- ٢٢٠ **المطلب الثاني** : الإصلاح المالي
- ٢٢١ **المسألة الأولى** : الاعتدال في النفقة وتحريم الإسراف
- ٢٢٣ **المسألة الثانية** : تحريم التبذير
- ٢٢٤ **المسألة الثالثة** : تحريم الربا
- ٢٢٨ أثر التعامل بالربا على المجتمعات والشعوب
- ٢٢٩ **المسألة الرابعة** : الحجر على مال السفية

آثار الإصلاح ووسائله ومحبطاته

المبحث الأول : أثر العمل الصالح على الفرد في الدنيا

المطلب الأول : العمل الصالح سبب في جلب الرزق

المطلب الثاني : العمل الصالح سبب في جلب الطمأنينة

المطلب الثالث : العمل الصالح يعصم النفس الإنسانية من اليأس

المبحث الثاني : أثر العمل الصالح على الفرد في الآخرة

المطلب الأول : العمل الصالح سبب في المغفرة وتكفير الذنوب

الأعمال الصالحة المكفرة للذنوب

١ - الوضوء

٢ - الصلاة

٣ - الحج والعمرة

٤ - الجهاد في سبيل الله

المطلب الثاني : ثواب العمل الصالح في الآخرة

المبحث الثالث : أثر العمل الصالح على المجتمع

المطلب الأول : التماسك بين أفراد الأسرة

المطلب الثاني : التماسك بين أفراد المجتمع

الخصائص التي تعمل على ترابط المجتمع وتماسكه

المطلب الثالث : العدالة بين الناس

- صور العدل

المطلب الرابع : الاستخلاف في الأرض

المطلب الخامس : الأمن بعد الخوف

المطلب السادس : التمكين في الدين

المبحث الرابع : وسائل الإصلاح ومحبطاته

المطلب الأول : وسائل الإصلاح

المسألة الأولى : المحافظة على أداء الشعائر الدينية (الصلاة - الزكاة

(الصيام - الحج)

رقم الصفحة

الموضوع

٢٧٦

التمهيد

٢٧٧

أولاً : الصلاة

٢٧٩

ثانياً : الصيام

٢٨١

ثالثاً : الزكاة

٢٨٣

رابعاً : الحج

٢٨٥

المسألة الثانية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٨٦

المسألة الثالثة : القضاء العادل

٢٩٠

المطلب الثاني : محبطات الإصلاح

٢٩١

المسألة الأولى : عدم المحافظة على الشعائر الدينية

٢٩٣

المسألة الثانية : غياب تحكيم الشريعة

٢٩٤

المسألة الثالثة : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٩٦

الخاتمة

٣٠٢

فهرس الآيات القرآنية

٣٢١

فهرس الأحاديث النبوية

٣٢٩

فهرس الأعلام

٣٣١

فهرس المصادر والمراجع

٣٤٢

فهرس الموضوعات

٣٤٩

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

- 12- The Islamic science is the origin of the sciences, which enlightens the hearts, clarifies the way & reconciliates the society.
- 13- God prohibits the extravagance & wasting money is nonsense unless you expense it in the good or allowed deeds.

Chapter 3: The impacts of reconciliation & its nullers

The deductions of this chapter

- 1- The amendment of heart & the sincerity in religion is one of the reasons of prosperity & welfare of society; also it brings the tranquility of heart & expels the despair & frustration.
- 2- God has prepared & paved the paradise for those who were committed to the good deeds in the life of this world.
- 3- One of the most marvelous graces given to believers in heavens is to look directly to the face of their God.
- 4- The consultancy in Islam (Alshoorah) has the great deal in keeping the society in tact & prosperity.
- 5- Islam has organized strictly the relations in society to prevent any doubts & divisions in it.
- 6- Islam has deleted all the reasons of inequality among the individuals of the society, providing them with all the reasons of unity & contrast.
- 7- The belief & good deeds are the way for well-governing the world & bringing the security to it.
- 8- The absence of religion & the loss of justice lead to disbursing the society & enabling the mischief makers to dominate.
- 9- One of the most important methods for society amendment is to keep on worshipping God as he ordered.
- 10- The amendment of individual is strictly joined with obeying God in what he ordered to do & following the prophet in (Sunna).

- 13- No one hopes to return to the life of this world except those who didn't make good deeds in their life & the martyr as he finds of fortune from his God.

Chapter 2: Amending the society in the Quranic context

The deduction of this chapter:

- 1- The family in the base of constructing an amended, clean society of no misconducts.
- 2- Islam has given the women the full right to choose her husband.
- 3- Islam has persuaded to choose a wife of those who are not your relatives.
- 4- Quran recommends the gradual method in treating the case of the deserted women.
- 5- Islam asserts on doing justice between wives in expense & being in once house as being at the other's, regardless of the heartal love.
- 6- The parents have to carry their duty in raising their children on belief, & follow the gradual means in education, as they should never prefer one son than an other.
- 7- The reconciliation between rivals is one of the important issues which sustain the society from being torn up.
- 8- The holy Quran is the base of judgment between all of rivals.
- 9- Belief is denied from those who deprive them selves from Islamic constitution (Alshariyah).
- 10- Quitting enjoining what is right & forbidding the wrong would leads to God's curse & to get his punishment.
- 11- Islamic nations should amend the educational curriculum to upgrade their level on both scientific & moral fields.

Reformation & its trace on society& individual

The conclusion

The most important deductions ended up by the researcher

Chapter 1: Amending the individual inQuranic context

The deductions of this chapter:

- 1- All the prophets propagated for the goodness in belief & deeds.
- 2- The hypocrites are more dangerous on the prophet Mohammed & his reconciliative propagation than the Jews & Christians, as they tend to poison the Islamic society & tears its integrity.
- 3- The corrupted belief leads to a corrupted behavior.
- 4- The believers among Jews towards the Prophet Mohammed's reconciliative propagation were so few, whereas the Christians were more positive & comprehensive.
- 5- The disbelievers tended to refute the Quran by the bargains & forges.
- 6- One of the clearest aspects of the God's justice is to differentiate between mischief-makers & peace makers, as he made a scale for the bad & good deeds.
- 7- The belief is the principle of the deeds, while this belief can't be achieved without the good deeds.
- 8- Men & women are demanded to do well with no difference between them in duties.
- 9- Man kind was created to do good deeds & this is the price of paradise.
- 10- The good deed is stipulated to accept repentance from guilt doers.
- 11- Repentance is always accepted from those who repent to God.
- 12- God defends for his good believers & gives them the good news of having paradise even when they are on the hands of death.